

مَجْمُوعَةُ الْيَوْمِ حَيْدَرُ

الشيوخ الإسلام

يُتَقَى الدِّينَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشُّوكَايَ
أُمُّ الدَّعْوَةِ التَّحْدِيثِيَّةِ

قَدَمَلَه

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

خالد بن مسعود الرومي

عَصُوهُنَّ التَّالِيَةِ كَلِمَةُ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

فَهْدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْإِمْرَانِ

القاضي محكمة الاشياء وافقكم بالانجيزة

قِرَاءُ وَضَبَطَ نَصَبُ وَخَرَجَ إِجَارِيَةٌ وَعَلَى عَلَيْهِ

البوشعيب

طارق بن عبد الواحد بن علي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ بِرَحْمَةٍ وَاجْتِنَانِهِ

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

للنشر والتوزيع

مَجْمُوعَةُ التَّوْحِيدِ

١



عنوان المصنف: مجموعة التوحيد

تأليف: شيخ الإسلام

رقم الإيداع: ٢٨٥١٤/٢٠٢١

الترقيم الدولي: ٦-٠٧٤-٨٠٤-٩٧٧-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

مكتبة الملك عبدالعزيز
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام - شرف النفق
الإدارة والبيانات: ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٩٦٦٥٦١٥٠٥٨ - ٠٠١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣
الإسكندرية - ١٧٥ طيبة سبرنج بجوار مسجد القديس هانف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جبرال: ٠١١٦٨٣٣٥٥١
القاهرة - ٦٥٠ شارع مصر من بين البطار - خلف الجامع الأزهر الشريف هانف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢
جبرال: ٠٣٤٣٨١٥٠٩ - فاكس: ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - ٠١١٦٨٣٣٥٥٠
البريد الإلكتروني: d.alhijaz@gmail.com

مَجْلَدُ التَّوْحِيدِ

لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ

يَقِيَّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشُّوكَانِي أُمَّةُ الدَّعْوَةِ الْبَيْتِيَّةِ

قَدَّمَ لَهُ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

خَالِدُ بْنُ مُسَاعِدِ الرَّوَيْتِ

عُضْوُ هَيْئَةِ التَّأْلِيفِ وَكَتَابَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

فَهْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنِي الْعِمَارِيِّ

الْقَائِمُ بِمَكْتَبَةِ الرَّسَائِلِ وَأَمْرِ كِتَابَةِ الْكَلَامِ

قِرَاءَةُ وَضَبْطُ نَصْبِهِ وَجَرَحُ إِجَارَتِهِ وَعَلَى غَايَةِ

أَبُو شُعَيْبٍ

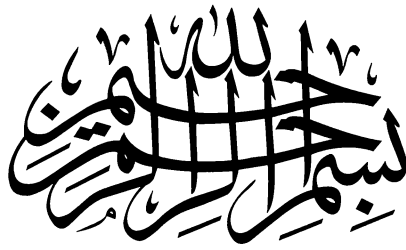
طَارِقُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَلِيٍّ

عَقَبًا لِلَّهِ عَنْهُ بِرَحْمَةٍ وَاحْتِسَابٍ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

مَكْتَبَةُ دَارِ الْحَجَّةِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

﴿ مقدمة فضيلة الشيخ خالد بن مساعد الرويتع ﴾

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام].

والحمد لله الذي لا يُؤدّي شكر نعمةٍ من نِعَمِهِ إلا بنعمةٍ منه توجب على مؤدّي ماضي نعمه بأدائها نعمةً حادثةً، يجب عليه شكره بها. ولا يبلغ الواصفون كُنه عظمته، الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه.

أحمده حمداً كما ينبغي لكرم وجهه وعِزِّ جلاله، وأستعينه استعانةً من لا حول له ولا قوة إلا به، وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه، وأستغفره لما أزلفت وأخّرت؛ استغفار من يُقر بعبوديته، ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيّه منه إلا هو.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله^(١)، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فما بذل العلماء جهدهم، وصنف الراسخون تصانيفهم، في شيء

(١) مقتبس من افتتاحية الإمام الشافعي لكتابه «الرسالة»، وقد شرح شمس الدين ابن القيم هذه الافتتاحية في مقدمة كتابه «الصواعق المرسلة». وانظر: «مناقب الإمام الشافعي» للبيهقي (٤١٤/١).

أحق من توحيد الله، والدعوة إليه؛ إذ هو أساس الملة، وبلاغ الله للناس، وعنوان رسالاته إلى خلقه، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢١٥].

وقد عهد الناصحون لأنفسهم بإعطاء هذا الباب حقه من التعظيم والاهتمام، فجادت قريحتهم بالكتابة فيه، والتأليف في مسائله، والمنافحة عنه وحمايته، وكان لأئمة الدعوة - وعلى رأسهم الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦هـ) رحمه الله رحمة واسعة - خصوصية فيه، سارت بها الركبان، ورفرفت بها الأعلام.

وقبله الإمام العلم، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) الذي تُعدُّ كتبه في هذا الباب مناهل صافية، وأنواراً ساطعة، لم يستغن عنها مريدٌ للحق.

وبين يدي هذه المجموعة المباركة «مجموعة التوحيد»، أربت صفحاتها على ألفٍ وثمانمئة صحيفة، امتلأت بالمفيد والنافع، وضمت عدداً من الكتب والرسائل في أبواب التوحيد وبيانها، مما لا يسع المسلم جهله، ولا يليق بطالب العلم إغفاله، فإن طالب العلم مهما بلغ من المراتب، فإن هذا الباب «توحيد الله» ينبغي أن يكون رفيقه وأنيسه، وصاحبه ورفيقه، ولا يُحفظ العلم بمثل إدامة النظر فيه، وخير ما يديم فيه طالب العلم نظره ما كان معرّفاً بالله، سائفاً إليه، مزيلاً للجهل به.

وقد قام الشيخ طارق بن عبد الواحد بن علي - وفقه الله - بالاعتناء بهذه المجموعة النافعة، وحين اطلعتُ على مواطن من عمله وجدته قد بذل طاقته ووسعته في إخراجها على أتم وجه، سالمةً من شوائب التصحيف والتحريف. ولا أعدُّ هذا العمل إلا من

توفيق الله له؛ إذ الاعتناء بأمثال هذه المؤلفات والرسائل من أعظم ما تُصرف فيه الأوقات.

وقبل أن أختم حديثي أقول: لشيخنا العلامة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله رحمةً واسعة - ولشيخنا العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله رحمةً واسعة - مؤلفاتٌ ورسائل وأجوبة محررة في أبواب توحيد العبادة. والمقترح أن ينتخب منها عيونها، وأن يضمَّه لمجموعة التوحيد في طبعة لاحقة؛ ليكتمل العقد، وتتم الفائدة. والله الموفق.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خالد بن مساعد الرويتع

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض



مقدمة فضيلة الشيخ فهد بن يحيى العماري

القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة المكرمة



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .
فقد اطلعت على هذا المجموع القيم «مجموعة التوحيد»، والتي
تحتوي مجموعة من نفيس الرسائل لشيخ الإسلام تقي الدين ابن
تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، وكذا للإمام العلم محمد بن عليّ
الشوكاني وأئمة الدعوة النجدية - عليهم جميعاً رحمة الله تعالى -،
وقد قام أخونا الشيخ طارق بن عبد الواحد بن عليّ بخدمتها عن
طريق الرجوع إلى النسخ المعتمدة لتلك الرسائل قدر طاقته، ونبّه
على العديد من الأخطاء التي قعت في الطبقات السابقة، إضافةً إلى
تخريج الأحاديث، والتعليق بما تيسر؛ من شرح الغريب، ومناقشة
بعض الشبهات، وتفنيدها، وغير ذلك.

وقد بذل جهداً مشكوراً في خدمة تلك المجموعة من تراث أئمة
الدعوة التي نفع الله ﷻ بها في أصقاع الأرض، وما ذاك إلا لأجل
قصدها إلى تحقيق رسالة المرسلين، وغاية الخلق أجمعين، وهو
توحيد الله ﷻ جَلَّ وَعَلَا، ببيان حقيقته ومعناه ومفرداته، وتوضيح مقابله
- وهو الشرك -، وإظهار أفراده؛ ليحذر الخلق صغيره وكبيره،
جليه وخفيه، ولا شك أن الدعوة النجدية هي امتدادٌ لمدرسة شيخ
الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ؛ العالم المجدد في الأصول والفروع، والذي
أنقذ الله به الأمة من الشرك والبدع والخرافة في العصور الوسطى

في أنواع التوحيد الثلاثة، وقد وضع الله تعالى لهذه الدعوة القبول في الأرض، وقد قام المعادون والمخالفون لها بتشويهها والافتراء عليها، واتهامها بالباطل، وهي ليست معصومةً من الخطأ، فما وافق الحق أخذ، وما خالفه تُرك، كسائر المذاهب وأقوال العلماء، وما يُرتكب من أخطاء في التطبيق والممارسة من بعض أتباعها فلا ينسب إليها؛ وهذا عينُ الحق والعدل والإنصاف لمن طلبه، وتجرد عن الهوى.

وفق الله الجميع لتحقيق التوحيد ونصرته، واجتناب الشرك والتحذير منه ومحاربته، وتقبّل الله هذا السّفر، وجعله عملاً صالحاً مباركاً نافعاً، وصدقةً جاريةً لمؤلفيه والمعتني به على مرّ الأزمان والعصور.

والحمد لله رب العالمين.

فهد بن يحيى العقّاري

القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة المكرمة

(٢٥ جمادى الأولى ١٤٤٢)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة خادم الكتاب

الحمد لله الواحد القهَّار، العزيز الغفَّار، مُبدع الليل والنهار، مسير الأكوان بحكيم الأقدار، أرسل فضائله على العباد كالغيث المِدرار، وبشَّر الموحِّدين بأعلى النعيم في دار القرار، وحذَّر المشركين من عظيم العذاب في سَعير النار، قَسَم عباده إلى متقين أبرار، وأشقياء فجَّار، حكمةً بالغةً ورحمةً تامةً وعدلاً وافيًا من عظيم ذي اقتدار.

وأشهد ألاَّ إله إلاَّ الله شهادةً موحِّدٍ أوَّاه، مقرِّ بذنوبه وخطاياهم، مَنْ علم يقينًا - بفضلِهِ ورحمته - أنه لا إله غيرُهُ ولا ربَّ سواه، آملًا منه الثبات على الإيمان إلى يوم البعث ومنتهاه، رجاءً ضارِعٍ إلى من هو أرحم بعبده من أمِّه وأباه^(١).

وأشهد أن محمدًا عبده المجتبى، ورسوله المصطفى، المبعوث بالنور والحقِّ والتَّقوى، عاش حياته الطاهرة مجاهدًا في سبيل ربِّ الأرض والسما، أرسله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ على حين انقطاع من الرسل وفترةٍ من الهدى، فاستنارت الأرض بأنوار دينه في شتَّى الأمصار والقرى.

(١) نصب «أباه» على لغة القَصْر.

صلى الله وسلم وبارك عليه ما بقيت بحاراً أو دامت وهذا أو
ثبتت رُبِّي، وعلى آله وصحابه الأبرار أهل الأنوار والثَّقَى، وعلى
من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم العرض على رب الأرض والسموات
الْعُلَا.

أها بعد:

فإن «توحيد الألوهية» هو أعظم نعمة أنعم الله ﷻ بها على
عباده، ومن أجله قامت السماوات والأرض، وأرسل الله صفوة
خلقه إلى الناس، وأنزل أشرف كتبه عليهم ليعرفوا لماذا خلُقوا،
ومن أجله - أيضاً - قامت سوقُ الجهاد، وشُرع الولاء والبراء،
وانقسم الخلقُ إلى شقيّ وسعيد، ومقبولٍ وطريد. وقد قطع ربُّنا
العظيم على نفسه عهداً صارماً أنه لن يَغفر لمن لقيه مشرّكاً به
كافراً، وفتح أبواب رحمته لمن رَحَل إليه مؤمناً موحداً ولو سقط
في عديدٍ من المخالفات؛ إلا أن ما معه من توحيد ربّه والإيمان
به يشفعُ له في الخروج من هاوية العذاب - لو كُتب عليه دخولها
ببعض ما كسبت يداه -.

وهذه النعمة الجليلة - توحيد الألوهية - قضى الله تعالى وقدر
بعظيم حكمته وكمال علمه أن يَضِلَّ عنها جُلُّ الثقلين - من إنسي
وجان -، وألَّا يُنعمَ بها إلَّا على من اصطفاهم من العالمين، فحريٌّ
بمن أدرك قيمة هذه النعمة التي امتنَّ عليه بها أرحمُ الراحمين،
وعلم أنه لا ينفع شيءٌ دونها أبداً أن يَعَصَّ عليها بالنواجذ، وأن
يستمسك بعراها في ليله ونهاره، وأن يتدارس أصولها وقواعدها
وضوابطها بين حينٍ وحين؛ حتى يلقى ربّه الكريم ﷻ على أحسن
حال وأرفع مقام.

ومنذ أن أرسى الحبيب ﷺ دعائم الإسلام، وبَيَّن أعظم واجب لله تعالى على عباده - وهو هذا التوحيد العظيم -، وأتباعه الصادقون عبر العصور - بدءً من الصحابة الأطهار ﷺ وإلى قيام الساعة - يعملون على إكمال المسير، والدعوة إلى ما دعا إليه ربُّهم جَلَّ وَعَلَا ونبیهم ﷺ، وما دار بخلدِهم يوماً أن يُهمَلوا الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من ألوان الشرك بالربِّ المجيد، وكيف يهملون ذلك، وهم يوقنون أن القلوب بدون تمكُّن التوحيد منها تتحول إلى مستنقع خبيث، لا تصلح معه لمجاورة الله ﷻ في دار كرامته، فضلاً عن عقوبات العظيم الجليل ومقتته المخيف التي ستصيب من أهملوا وأهدروا هذا الركنَ الركين، فمن ثم جدُّوا واجتهدوا - بل حاربوا وجاهدوا - لإرساء دعائم التوحيد، وبيان القدر العظيم لأنصاره وأتباعه، والتحذير من الشرك وبلاياه، والكشف عن عاقبة أفراخه وأشياعه.

ولما أهملت جُلُّ الدعوات - التي تزعم العمل للإسلام^(١) - هذه

(١) والعمل للإسلام لا يكون «عملاً للإسلام» إلا إذا قام على مبادئ وقواعد الإسلام كتاباً وسنة بفهم سلف الأمة، أما من ابتدع وانحرف، واكتفى في عمله ودعوته بما تراه العقول والأهواء، فلن يكون عمله عملاً للإسلام - وإن زعم بلسانه ما زعم -، بل سيكون عملاً لنفسه وهواه، أو لحِزبه وفرقته التي أعطاه صفةً يده وثمره قلبه؛ فإن العمل للإسلام باختصار معناه: «تنفيذ ما أَرَادَهُ مَنْ أَنْزَلَ الْإِسْلَامَ ﷻ»، وهذا راجعٌ إلى ما قرره السلف الأطهار - وتبعهم عليه الخلف الأبرار -: أن شَرْطِيَّ العمل المقبول هما: «الإخلاص والاتباع»، فإذا اختلَّ أحدهما لم يصبح عمل صاحبه مبروراً ولا سعيه مشكوراً؛ بل لن يكون - إذ =

النعمة العظمى والمِنَّة الجُلَى، ونبذتها وراء ظهورها، عمَّ الشركُ والخلل، وفشت البلايا والعلل في جسد الأمة الجريحة؛ وصَدَعَ الجاهلون المفتونون من هؤلاء بأن الدعوة إلى التوحيد سببٌ في تفرُّق الأمة وضعف تماسُّكها، وأن «فقه الأولويات» يحثُّ النظر إلى «مقتضيات العصر الحديث»، أو الانشغال بقضايا الأمة الحاضرة، والاهتمام بترقيق القلوب، أو الدعوة إلى ما سمَّوه: «الحاكمية»؛ فإن هذا - بزعمهم - يحبِّب الناس في الإسلام، ويقرِّبهم من الله، وأنه لا بد أن نشرح صدورهم أولاً ونحبِّبهم في الدين، ثم بعد ذلك نكلّمهم عن التوحيد وسائر أركان الإسلام!!

وقد كَذَّبوا على الله ورسوله فيما يزعمون، وخانوا أمانة الدعوة - التي خدعوا السدّج بأنهم لها يعملون - حين حَقَرُوا ما عَظَّمَ الله، وأهملوا ما رفعه الله، وأَخَرُوا ما قَدَّمَ الله، وكأنَّ هؤلاء أعلمُ بدين الله ممن أنزله ﷻ وجاء به ﷺ! ^(١)

= ذاك - عملاً صالحاً يُبتَغى به وجهُ الله ﷻ؛ وهذا - بدوره - يجعلنا ندرك تمام الإدراك أنه لا بد في كل خطوةٍ نخطوها في حياتنا أن ننهل من العلم النافع؛ فمن عبد الله بغير علم، أو دعا إليه بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ولا بد أن نتذكر جيداً - كذلك - أنه لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. وبالله تعالى التوفيق والهداية.

(١) والدليل على بطلان مزاعم هؤلاء: أنهم بعد أن يُقنعوا الناس بالانضمام إليهم والانضواء تحت فِرَقهم وأحزابهم، تراهم - أيضاً - لا يتكلمون معهم عن التوحيد، ولا التحذير من الشرك، ولا غير ذلك من أصول الإسلام والدعوة المحمدية؛ بل يكتفون منهم بالانضمام إليهم، وطاعة أوامرهم، والعمل على تكثير أحزابهم، وهذا واقعٌ لا ينكره منصف!

وزادوا الأمر سوءً وشرًّا حينما عادوا دعاة التوحيد وأهل السنة، ونبذوهم بالألقاب المنفّرة، واتهموهم بتخريب عقول المسلمين، وبأنهم لا يفهمون «فقه الواقع»، وأن منهاج «أهل السنة» في الدعوة إلى التوحيد ومتعلقاته ونبذ الشرك ومفرزاته نفّر الناس من الإسلام، ودفعهم للبعد عنه والانصواء تحت لوائه!

ولا عجب من كلّ هذا؛ فإن شرّ المصائب الجهل، وشرُّ منه الجهل بالجهل! وهذه هي النتيجة المحتومة حينما يتصدر للدعوة والتوجيه من أفسدوا في الأرض باسم صلاحها، وزيّنوا الباطل في قلوب العوام والمساكين. وقد زادهم تماديًا فيما هم فيه أن رأوا كثرة أعدادهم، ووفرة أشياعهم، فظنّوا - جهلاً - أنهم على الحق المبين والصراط المستبين.

ولا أريد أن أسهب في الكلام عن جناية هؤلاء على الإسلام ودعاته وعوام المسلمين؛ فقد أطلتُ النفس عنهم في موضع آخر، وبيّنت الخلل المستطير والخراب الكبير الذي تسبّبوا فيه لما دَعَوْا بغير علم، وأهمّلوا المنهاج النبوي الطاهر في الدعوة إلى الله ﷻ (١).

فمن كلّ هذا لا بد لكل من صدّق الله تعالى في إيمانه، وصدّق رسوله ﷺ في اتباعه أن يجعل التوحيد أولى الأولويات، وغاية الغايات، وأن يذكر به نفسه والمسلمين من حوله بين آنٍ وآن، يقوِّده العلم والإخلاص وصدق الاتباع في مسيرته المباركة؛ حتى

(١) راجع - مشكورًا - كتابي: «جماعة الدعوة والتبليغ في ميزان أهل السنة والجماعة».

يُحشر في زمرة إمامه وحبابه ﷺ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم .
وعلى هذا النهج المبارك سار أئمة الإسلام والسُّنة عبر العصور
- كما تقدم - ، وجاهدوا في سبيل الله تعالى حقَّ جهاده ، وأدَّوا
الأمانة تامةً لمن معهم وبعدهم على الوجه الأكمل ، وفصلوا وبيَّنوا
معاني الكتاب والسنة في هذا الباب المبارك - باب التوحيد - بيانًا
شافيًا تامًا وافيًا .

وهذا المجموع المبارك الذي بين أيدينا «مجموعة التوحيد»
- والذي شرَّفني ربي ﷻ أعظم الشرف ، وامتن عليَّ أعظم المِنَّة
بخدمته - يدورُ حول ذلكم الأصل الأصيل والركن الركين في الدعوة
إلى الله ﷻ ، وهو الأمر بالتوحيد ، والتحذير من الإشراك بالرب
المجيد ، صنَّفه زمرةٌ جليَّةٌ من علماء أهل السنة والجماعة في عصورٍ
مختلفة ، كشيخي الإسلام تقي ابن تيمية ، ومحمد بن عبد الوهَّاب ،
والإمام محمد بن عليٍّ الشوكاني ، وغيرهم ممن سار على الدرب
الطاهر والنهج الزاهر ؛ صادعين بدعوة التوحيد - دعوة الكتاب
والسنة بفهم سلف الأمة - ، نُصحًا للإسلام والمسلمين ، ودعايةً صادقةً
للاستمساك بغرس النبي الأمين ﷺ في أعظم أصلٍ من أصول الدين .

﴿مجموعة التوحيد﴾ :

معرفتي بهذا المجموع النفيس تعود إلى قرابة خمسة عشر عامًا ،
حيث اقتنيت نسخةً منه من إحدى المكتبات ، ومع مرور الزمان
وقفتُ على ثلاثة نسخٍ أخرى ، وهي على الترتيب كالاتي :

- نسخة «وزارة الأوقاف السعودية» ، بتعليق الشيخ رشيد رضا .

- نسخة كُتِبَ عليها من الخارج : «طبع دار التوحيد» .

- نسخة «دار البيان بدمشق»، بتحقيق الشيخ بشير عيون، ومراجعة العلامة عبدالقادر الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ.

- نسخة ليس عليها اسم الناشر.

وهذه النسخ جميعًا - بلا استثناء - مليئة بالطوام والدواهي من السقط والتحريفات والتصحيفات التي - في بعض الأحيان - أحالت^(١) التوحيد شركًا، والشرك توحيدًا! وبالرغم من نفاسة الرسائل الموجودة في هذا الجمع المبارك، إلا أن ناشريها - جزاهم الله خيرًا وعفا عنهم - لم يعتنوا بها الاعتناء اللائق؛ بالرغم من تعلقها بأخطر باب على الإطلاق من أبواب الشريعة المباركة، وهو باب التوحيد، ولكن كان أمر الحكيم الخبير قَدْرًا مقدورًا.

ولما رأيتُ ما رأيتُ، ووقفتُ على ما ذكرتُ، وكانت همتي قد اتجهت إلى العناية ببعض كتب أئمتنا= أحببتُ أن أخرج نسخة جديدة لهذا الكتاب المبارك، تكون عملاً صالحًا لي في حياتي وبعد مماتي - بإذن ربي -؛ أتلافى فيها تلك الأخطاء الفادحة قدر طاقتي، فبدأتُ بصفِّ الكتاب صفًّا جديدًا، ثم رجعتُ إلى عدة نسخ مفردة للرسائل المثبتة فيه، وكنتُ أقارنُ بين نسخ تلك الرسائل - التي تفاوتت بالطبع في دقَّتْها وجودتها -، حتى أصل إلى أفضل صورة ممكنة لنسختي، ولم أهتمَّ اهتمامًا كبيرًا بذكر ما سلف من تصحيفاتٍ وتحريفاتٍ في النسخ المطبوعة للكتاب؛ إذ لم أرَ لذلك كبير فائدة في عملي، وإنما صببتُ اهتمامي على تصحيح نسختي فحسب، وأحيانًا قليلة إذا رأيتُ اختلافًا في نسخ الرسائل التي وقفتُ عليها، أثبتها في الحواشي للبيان والتذكير.

(١) أحالت: حوّلت.

وقد أخذ مني هذا العمل المبارك قرابة سبع سنوات - على فتراتٍ عديدات -، أعطيته كلَّ اهتمامي وتركيزي - قدر طاقتي -، وراجعتُ الكتاب قرابة خمس مرات، محاولاً تجنُّب التصحيفات والتحريفات قدر المستطاع، ولا أخفي على القارئ الكريم أنني في كلِّ مرة كنتُ أراجعُ فيها الكتاب أحسُّ في صدري انشراحًا جميلًا، وسعادةً عظمى وأنا أقرأ رسائل علمائنا في هذا الباب العظيم المبارك، وكيف لا! وأعظم وأجمل ما يحبُّه أهل السنة والجماعة هو الكلام عن توحيد ربِّهم العظيم ﷻ؛ الذي يبعث في النفس والقلب والعقل راحةً وجمالاً وطمأنينةً عجيبةً، وهذا مصداق لما قاله علماؤنا: «شرف العلم تابعٌ لشرف معلومه»، والتوحيد متعلِّقٌ بالحبيب الأعظم ﷺ؛ الذي غاية أمانِي المؤمن أن ينال منه الرضا، ويراه غداً ويتنعم بقربه في جنة المأوى.

ولا أدعي - مع هذا - الكمال في عملي، فحسبي أنني معتنٍ ليس إلّا، وحتماً سيظهر في عملي التقصير والخلل، لكن ليس كلُّ خلل يُتسامح فيه، ولا كله يؤاخذ به صاحبه. وحسبي - أيضاً - أنني بذلتُ كلَّ ما أستطيع في إخراج هذا المجموع المبارك على وجهٍ مرضيٍّ، واللَّهُ تعالى يعلمُ أنني لم أدخر وسعاً، ولم آلُ جهداً في خدمته، راجياً منه ﷻ أن يتقبله مني بقبول حسن.

تنبيه مهمٌ على النسخ المطبوعة:

لما بدأتُ عملي، وأخذت في مقابلة النسخ المطبوعة على بعضها البعض، وجدتُ أمراً غريباً يتلخص فيما يلي:

١ - نسخة «وزارة الأوقاف السعودية» انفردت عن بقية النسخ

بعددٍ من الكتب، وعلى رأسها كتاب «قرة عيون الموحّدين»، للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُمَا اللهُ، في حين خلت الطبعات الأخرى منها. وقد اشتهرت هذه الطبعة لدى طلبة العلم باسم: «مجموعة التوحيد النجدية».

٢ - انفردت النسخ الأخرى بكتب ليست موجودة في طبعة «وزارة الأوقاف»، مع حذف عدة كتب منها - كذلك -، وعلى رأسها كتاب «قرة العيون» - أيضًا -.

والظاهر - شبه المتيقّن - أن نسخة «وزارة الأوقاف السعودية» هي النسخة الأصلية، وأن أحدهم أخذها، وانتقى منها بعضها، وحذف الأخرى، ثم أضاف من عنده رسائل ليست فيها؛ وأخرج هذا المجموع - أيضًا - باسم «مجموعة التوحيد».

ولعله استساغ هذا لأن هذه الرسائل لا يُعلم من جمعها أصالةً، وليس لها مؤلف واحد؛ فرأى أن يحذف بعض الرسائل المتشابهة، ثم يضيف إليها ما فيه زيادة نفع. واللّه أعلم بالحال.

عمل في الكتاب:

١ - لما رأيتُ هذا الاختلاف بين نسخ الكتاب، وقعتُ في حيرةٍ من أمري: هل أُخرج «المجموعة النجدية» وحدها، أم أضُم جميع الرسائل في سائر الطبعات لتعميم الفائدة؟ ثم استقر الحال على الاقتراح الثاني؛ فضممت جميع الرسائل في النسخ المختلفة مع بعضها، على أن تكون بداية الكتاب متوافقةً مع نسخة «وزارة الأوقاف السعودية» تمامًا، بحيث لم أخالف بين ترتيب الرسائل من بداية الكتاب وحتى نهاية كتاب «قرة عيون الموحّدين»، اللهم إلا

في رسالة واحدة قمت بحذفها كليةً - كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى - .

والمقصود أنني بدأت الكتاب - كما ذكرت - على نفس ترتيب طبعة «وزارة الأوقاف السعودية»، وبالتالي ستكون بداية الكتاب وحتى نهاية «قرة عيون الموحدين» من طبعتنا هذه هي بذاتها «المجموعة النجدية»؛ باستثناء الرسالة المحذوفة. ثم بعد ذلك وضعتُ بقية الرسائل الموجودة في النسخ الأخرى، والتي تحتوي على مؤلفات لعلم الأمة في زمنه شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذا العلامة الشوكاني وغيرهما رَحِمَهُمُ اللهُ.

٢ - أضفتُ زيادة في الفائدة - أيضاً - رسالتين للإمام الشوكاني رَحِمَهُمُ اللهُ؛ وهما:

- شرح الصدور بتحريم رفع القبور.

- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.

٣ - حذفت رسالة «شروط الصلاة» - كما تقدم^(١) -؛ وكلُّ منصف يدرك أن وضعها ضمن «مجموعة التوحيد» أمرٌ غير مستساغ، ولكم أن تتصوروا كتاباً في الفقه يدور حول أحكام الطهارة والصلاة والزكاة، ثم في وسط ذلك رأيتُم رسالة من صفحتين تحديث - مثلاً - عن الإيمان بالقضاء والقدر! وكذا ماذا تقولون - مثلاً - في كتاب عن رجال الحديث، مثل «تقريب التهذيب»، ثم رأيتُم وسط التراجم ورقتين تتحدثان - مثلاً - عن أحكام الصيام! ومعلومٌ أن العلوم الشرعية قد رُتبت في مصنفاتها، الفقه مع الفقه، والعقيدة مع

(١) وكانت موجودة في سائر الطبعات.

العقيدة، والحديث مع الحديث... وهكذا. وحقيقةً لا أدري لماذا أُقحمت هذه الرسالة ضمن مجموعة التوحيد، فلم يكن من المناسب - مطلقاً - وضعها مع هذا الجمع المبارك، ومن أرادها فلينظرها في «الدرر السنية» (١٥٥/٤).

وكذلك - أيضاً - حذفت رسالة لم تكن موجودةً في «المجموعة النجدية» أصلاً، وإنما وُجدت في النسخ الأخرى، وليس لها علاقةٌ - كذلك - بالتوحيد والشرك، وهي رسالة في «مقادير زوال الشمس»، وهي من إضافات المعدّل على «المجموعة النجدية»، ولم أقف على هذه الرسالة في «الدرر السنية» ولا غيرها.

٤ - تكررت رسالة «القواعد الأربعة» للإمام محمد بن عبد الوهّاب رَحِمَهُ اللهُ مرتين في غير طبعة «وزارة الأوقاف»، وهو أمرٌ عجيب، فاكتفيت بإثباتها مرةً واحدة.

٥ - في غير طبعة «وزارة الأوقاف السعودية» كانت هناك رسالة تحتوي على عديدٍ من الأذكار الموظفة والمطلقة في آخر الكتاب -؛ لا يُدرى من أَلْفَها، فحذفتُها، ووضعتُ بدلاً منها: «حصن المسلم» للشيخ سعيد بن وهف القحطاني رَحِمَهُ اللهُ، هذا الكتاب المبارك ذائع الصيت، والذي وضع اللهُ ﷺ له - حسب ظني - القبول في الأرض، فرأيتُ أنه أشمل وأصح من الرسالة التي قمت بحذفها؛ لا سيما وقد شَرَّفَني اللهُ تعالى بالاعتناء بـ«حصن المسلم» - مراجعةً وتدقيقاً - قبل وفاة مؤلفه الفاضل، وصدرت تلك النسخة في دار الحجاز خاصةً بالمؤلف رَحِمَهُ اللهُ، وهي ما أثبتُّها هنا في هذا المجموع المبارك.

٦ - أضفتُ في نهاية الكتاب ورقاتٍ من عندي؛ تحتوي على مجموعةٍ من أدعية الكتاب والسنة؛ بمثابة مناجاةٍ لله ﷻ ليقراها

المسلم بين حينٍ وآخر، خاصةً في الأوقات الفاضلة والمواسم الشريفة؛ ختمتُ بها هذا المجموع المبارك.

فهذا ما قمتُ به من ناحية «إثبات الرسائل» في هذا المجموع الطيب. وبعد ذلك:

٧ - قمتُ بتصحيح رسائل الكتاب على نسخها المطبوعة المفردة لا سيما النسخ المحققة المتقنة، أو الموجودة في مجموعات الفتاوى، ك«الدرر السنية» ونحوها، وقد اجتهدتُ في الوصول إلى نصٍّ صحيح خالٍ من التصحيف والتحريف قدر طاقتي؛ وهذا من أصول إخراجي لهذه المجموعة المباركة.

٨ - أحياناً قليلةً أضيفُ كلمةً أو عبارةً بين حاصرتين [] إتماماً للكلام، أو إظهاراً للمراد.

٩ - قمتُ بضبط ما رأيته بحاجةٍ إلى ذلك من نصوص الكتاب بالشكل، حتى يتضح المراد للقارئ الكريم.

١٠ - قمتُ بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة تخريجاً وسطاً؛ حسب منهجي السائد في كافة أعمالي.

١١ - بينتُ معاني الكلمات الغريبة مما رأيتُ الكتاب بحاجةٍ إلى بيانه.

١٢ - علقتُ على أهمِّ المواضع التي رأيتها بحاجةٍ إلى انتقادٍ وتعليق، باستثناء تعليقٍ طال مني بضعة صفحات - وكان لابد منه - على رسالة الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»؛ فوضعتُه عقب رسالة الإمام في الجزء الثالث.

١٣ - صنعتُ فهرساً لأطراف الأحاديث النبوية.

١٤ - صنعتُ فهرسًا تفصيليًا وآخر إجمالًا لموضوعات الكتاب .
وفي الختام أسألُ اللهَ جَلَّ ثَنَاهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنِّي هذا العمل - وسائر أعمالِي - بقبول حسن، وأن يجعله سببًا في عفوهِ وغفرانه ورحمته وإحسانه بعبده الحقير الضئيل، وأن يرضى به عني يوم القدوم عليه؛ إنه خيرُ مسؤول وأكرم مأمول.

وما كان من توفيقٍ وسدادٍ في شتَّى أعمالِي فهو من مَنَّةِ أرحم الراحمين، وما كان من زللٍ وخللٍ فهو بما كسبت يداي، ويعفو ربي عن كثير.

ولا أنسى أن أزوجي جميلَ شكري وامتناني لزوجي الكريمة أم شعيب - حفظها الله، وبارك فيها، ورضي عنها في الدارين - على ما تكبَّدته وتكبَّده من معاناةٍ في سبيل مساعدتي على أعمالِي - مع ما هي فيه من أعباء الحياة -؛ سائلًا اللهَ ﷻ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهَا صبرها الكريم وجهدها الكبير في إعانتِي على طلب العلم.

كما أزوجي عاطرَ حُبِّي وسلامي وشكري وامتناني لأخي الحبيب أحمد بن سامي - أبي عمر الذهبي -، الذي كانت - ولا زالت - معرفتي به من أجمل ما مرَّ عليَّ في حياتي، وهو من طلاب العلم المتقنين النبهاء، ولو أنه تفرَّغ للعلم - تمامًا - لرأينا منه كلَّ نفعٍ وخيرٍ وبركةٍ - إن شاء الله تعالى - على طلاب العلم في المشارق والمغارب، وقد انتفعتُ منه انتفاعًا عظيمًا في عددٍ من مواضع هذا الكتاب، لا سيما في الناحية الحديثية، وكنت أستشيرُهُ في بعض ما يتبدَّى لي من تعليقات، أو يلتبس عليَّ من كلمات، فكان لا ييخلُ ولا يتأخَّرُ في إفادتي مما أفاده الله، فجزاه الله تعالى عن الإسلام وعني خير الجزاء، وأسأله ﷻ أَنْ يُتِمَّ عَلَيْنَا نعمة أخوة الإيمان،

وأن يجمعنا في دنيانا وأخرانا على ما يحبُّه ويرضاه .
والصدر منشرحٌ دومًا لكلِّ نقدٍ بَنَاءً، فمن رأى في هذا العمل ما
يحتاج إلى تعديل أو إصلاح؛ فلا ييخل علينا بنصيحتة، وله مني
جزيل الشكر حتى آخر عمري .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم
وبارك على حبيبنا وإمامنا محمد، وعلى آله وصحابته والتابعين
لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وكتبه: خادم التوحيد

(أبو سعيد)

طارق بن عبد الواحد بن علي

- عفا الله عنه برحمته وإحسانه

جمهورية مصر العربية

(٠١١١١/٣٨٥٣٩٥)

(٠١٠/٢١٣١٨٨٥٧)



[١]

كتاب التوحيد

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❦ [١] كتاب التوحيد ❦

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

□ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلی الله علیه وسلم التي عليها خاتمه^(١)؛ فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾ الآية [الأنعام: ١٥٣].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف^(٢) النبي صلی الله علیه وسلم على حمار، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا

(١) أي: التي عاش ومات عليها صلی الله علیه وسلم.

(٢) الرديف: الذي يركب خلف صاحبه.

يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». قلت: يا رسول الله، أفلا أبشّرُ الناس؟ قال: «لا تبشّرهم فيتكلوا». أخرجاه في «الصحيحين»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه^(٢).

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله؛ ففيه معنى قوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون].

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنى قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الثامنة: أن الطاغوت عامٌّ في كل ما عُبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن الثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل؛ أولها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٤٦).

(٢) أي: الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم من الكافرين.

مَذْهُورًا ﴿٣١﴾ [الإسراء]. وَنَبَّهَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عَظَمِ شَأْنِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ
بِقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى: «آية الحقوق العشرة»؛
بَدَأَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته .

الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا .

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدّوا حقه .

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشرة: استحباب بشاراة المسلم بما يسرُّه .

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»^(١) .

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الحادي والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار، مع الإرداف عليه .

الثاني والعشرون: جواز الإرداف على الدابة .

الثالث والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل رضي الله عنه .

الرابع والعشرون: عظم شأن هذه المسألة .



(١) والصحيح أن هذا الكلام يقال في حياة النبي ﷺ، أما بعد وفاته ﷺ فلا يقال إلا: «اللَّهُ أَعْلَمُ» - فقط - .

[٢] باب: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شهد ألاَّ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبدُ اللَّهِ ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم ^(١)، وروحُ منه ^(٢)، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». أخرجه ^(٣).

ولهما في حديث عثبان رضي الله عنه: «فإنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النار من قال: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يبتغي بذلك وجه اللَّه» ^(٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى: يا رب، علِّمني شيئًا أذكرُك وأدعوك به. قال: قل - يا موسى -: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قال: يا رب، كلُّ عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السماوات السبع وعامرهنَّ ^(٥) غيري، والأرضين السبع في كِفَّةٍ، ولا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» في كِفَّةٍ = مالت بهن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». رواه ابن حبان والحاكم وصححه ^(٦).

(١) سُمي عيسى ﷺ «كلمة» لأنه خُلق بقوله تعالى: «كُن».

(٢) أي: روح مخلوقة من اللَّه جَلَّ وَعَلَا، وهذه إضافة تشريف، وهذا نفْي لآلهيته ﷺ - كما يزعمه ضلال النصارى -.

(٣) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٤) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

(٥) عامرهن: جميع سكانهن.

(٦) ضعيف: رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٩١٣)، وفي «عمل اليوم» (٨٣٤)، =

وللترمذي - وحسنه - عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض ^(١) خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة» ^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل الله.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة.

= وأبو يعلى (١٣٩٣)، وابن حبان (٦٢١٨)، والحاكم (٥٢٨/١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٨٥)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٠)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ في «فتح الباري» (٢٠٨/١١). وفيه نظر. وقال الهيثمي في «المجمع» (٨٢/١٠): «رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف» اهـ. وضعفه الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط؛ كلاهما عند ابن حبان، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٥١/٢٠).

(١) أي: ما يقارب سعتها.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٣١/٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤٣٠٥)، وابن شاهين في «الترغيب» (١٧٩)، والضياء في «المختارة» (١٥٧١)، وقال الإمام الترمذي: «حسن غريب»، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٢٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند الترمذي (٤٣/٦).

وفي الباب عن أبي ذر رضي الله عنه. فانظر «مسند الإمام أحمد» (٣٧٥/٣٥).

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده، تبين لك معنى قول «لا إله إلا الله»، وتبين لك خطأ المغرورين^(١).

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان^(٢).

الثامنة: كون الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إله إلا الله».

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخفّ ميزانه.

العاشر: النصّ على أن الأرضين سبعٌ كالسماوات.

الحادية عشرة: أن لهن عُمَارًا.

الثانية عشرة: إثبات الصفات، خلافًا للمعطلة^(٣).

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَتَغْنِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»: أنه تركُ الشرك^(٤)، ليس قولها باللسان.

(١) وهذا يبين لنا أن طالب العلم الأمين على دينه إذا أراد الحكم على مسألة ما - بعد كونه متأهلاً -، فإنه يجمع الأدلة في الباب الواحد، ولا يكتفي بما يراه أو يسمعه فقط، دون بحثٍ واستقصاءٍ قدر طاقته لأدلة الباب أو المسألة. وبسبب إهمال هذا الأصل الأصيل من أصول العلم والإنصاف، حدثت تعديات ومخالفات صارخة لدين الله تعالى، واتسعت رقعة الخلاف بين أبناء الأمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

(٢) يعني بالشرط قوله ﷺ: «يَتَغْنِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ».

(٣) في بعض النسخ: «للأشعرية»، والمثبت أعظم.

(٤) يعني بالفعل.

الرابعة عشرة: تأمُّلُ الجمع بين كون عيسى ومحمد عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَبْدَي اللَّهِ ورسوليه .

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة: معرفة كونه رُوحًا منه .

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار .

الثامنة عشرة: معرفة [معنى] قوله : «على ما كان من العمل» .

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كِفَتَانِ .

العشرون: معرفة ذِكْرِ الوجه .



❁ [٣] باب: مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ❁

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل].

وقال: وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّقُونَ﴾ [٥٧] وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ [٥٨] وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ [٥٩] [المؤمنون].

وعن حصين بن عبدالرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير؛ فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقضى البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إنني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: «لا رقية إلا من عين أو حمة^(١)». فقال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع^(٢). ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت علي الأم، فرأيت النبي ومعه الرهط^(٣)، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد؛ إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقبل لي: هذا موسى وقومه. فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقبل لي: هذه

(١) الحمة - بضم الحاء وتخفيف الميم المفتوحة -: ذوات السموم.

تنبيه: ليس المراد قَصَرَ الرقية على لدغات ذوات السموم، وإنما المراد أنها من أولى ما فعلت من أجله الرقية. وانظر: «شروح كتاب التوحيد»، وشروح الحديث - أيضًا -.

(٢) أي: من وقف عند العلم الذي سمعه، ولم يُفْتِ بغير علمٍ فقد أحسن غاية الإحسان.

(٣) الرهط: الجماعة دون العشرة.

أُمَّتُكَ، ومَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك؛ فقال بعضهم: فلعلهم الذين صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فلم يشركوا بالله شيئاً. وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخبروه، فقال: «هم الذين لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتُونُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فقام عكاشة بن محصن؛ فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت منهم». ثم قام رجل آخر؛ فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «سبقك بها عكاشة»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه؟

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرقية والكَيِّ من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمق فهم الصحابة لمعرفة أنهم لم ينالوا ذلك إلا

بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى عليه السلام.

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

- الحادية عشرة: عرضُ الأمم عليه ﷺ.
- الثانية عشرة: أن كل أمة تُحشر وحدها مع نبيها.
- الثالثة عشرة: قلّة من استجاب للأنبياء.
- الرابعة عشرة: أن من لم يُجبه أحدٌ يأتي وحده.
- الخامسة عشرة: ثمرةُ هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلّة.
- السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحُمّة.
- السابعة عشرة: عمقُ علم السلف؛ لقوله: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا»؛ فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني.
- الثامنة عشرة: بُعدُ السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه ^(١).
- التاسعة عشرة: قوله ﷺ: «أنت منهم» علّم من أعلام النبوة.
- العشرون: فضيلة عكاشة.
- الحادية والعشرون: استعمال المعارض ^(٢).
- الثانية والعشرون: حُسن خلقه ﷺ.



(١) لأن حصين بن عبدالرحمن ذكر في الحديث أنه لم يكن في صلاة؛ حتى لا يوهم للناس أنه كان في تهجد بالليل.

(٢) يعني قوله ﷺ: «سبقك بها عكاشة».

❦ [٤] باب: الخوف من الشرك ❦

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم].

وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر». فسل عنه، فقال: «الرياء». رواه أحمد والطبراني والبيهقي^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن مات وهو يدعو من دون الله نَدًّا دخل النار». رواه البخاري^(٢).

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن لقي الله لا يُشرك به شيئًا دخل الجنة، ومَن لقيه يشركُ به شيئًا دخل النار»^(٣).

(١) حسن: رواه أحمد (٤٢٨/٥)، وابن أبي شيبة (٤٨١/٢)، وابن خزيمة (٩٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٦٤١٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٣٥)، وإسماعيل بن جعفر في «حديثه» (٣٨٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٥٣/٤)، من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه. وقال الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢١٠/٣): «رجاله ثقات»، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٢٩٠/١): «رجاله رجال الصحيح»، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٩٥١)، و«صحيح الجامع» (١٥٥٥)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٥٠١/١)، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣٩/٣٩).

(٢) رواه البخاري (٤٤٩٧).

(٣) رواه مسلم (٩٣).

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يُخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد على عملٍ متقارب في الصورة.

السابعة: أنه مَنْ لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار، ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر؛ لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

العاشرة: فيه تفسير «لا إله إلا الله»، كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة مَنْ سَلِمَ من الشرك.



❁ [٥] باب: الدعاء إلى شهادة ألا إله إلا الله ❁

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله - وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله -؛ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». أخرجاه ^(١).

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه». فبات الناس يدوكون ^(٢) ليلتهم: أيهم يُعطاها؟ فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها؛ فقال: «أين علي بن أبي طالب؟»، ف قيل: هو يشتكي عينيه. [قال]: «فأرسلوا إليه»، فأتى به، فبصق في عينيه؛ ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع. فأعطاه الراية؛ فقال: «انفذ على رسلك» ^(٣) حتى تنزل بساحتهم،

(١) رواه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

(٢) يأتي بيانها في نهاية الأثر.

(٣) أي: انطلق على مهل.

ثم ادْعُهُم إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ؛ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ^(١)»^(٢).
يدوكون: أي: يخوضون.

فيه مسائل:

الأولى: أَنْ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ طَرِيقُ مَنْ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.
الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لَأَنْ كَثِيرًا لَوْ دَعَا إِلَى الْحَقِّ، فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ^(٣).

الثالثة: أَنْ البصيرة من الفرائض.

الرابعة: مِنْ دَلَائِلِ حَسَنِ التَّوْحِيدِ: أَنَّهُ تَنْزِيَهُ لِلَّهِ تَعَالَى عَنِ الْمَسَبَّةِ.
الخامسة: أَنْ مِنْ قُبْحِ الشَّرْكِ كَوْنُهُ مَسَبَّةً لِلَّهِ.

السادسة - وهي من أهمها -: إِبْعَادُ الْمُسْلِمِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ؛ لئلا يصير منهم، ولو لم يُشْرِكْ.

السابعة: كَوْنُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ.

الثامنة: أَنَّهُ يُبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى الصَّلَاةِ.

التاسعة: أَنْ مَعْنَى: «أَنْ يُوْحِّدُوا اللَّهَ» مَعْنَى شَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

العاشرة: أَنْ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا^(٤)،

(١) حُمْرِ النَّعَمِ: النوق الحمراء، وكانت من أنفس أموال العرب.

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٣) ومثلهم تمامًا من يدعون إلى الأحزاب والجماعات البدعية، التي فرقت الأمة، واعدت الانتماءات، وجلبت المحن والمخازي.

(٤) ضمير التأنيث عائد على كلمة التوحيد.

أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مَصْرِفُ الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تُحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين ﷺ

وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: «لأعطين الراية...» إلخ عِلْمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: تَفْلُهُ في عينيه عِلْمٌ من أعلامها - أيضًا -.

الحادية والعشرون: فضيلة عليٍّ عليه السلام.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دَوْكِهِم تلك الليلة، وشُغْلِهِم عن

بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقَدَر، لحصولها^(١) لمن لم يَسْع لها،

ومنعها عن سعي.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «على رسلك»^(٢).

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الله وإلى الإسلام قبل القتال.

(١) يعني الراية.

(٢) يقصد: لأنه أمره بالتمهل والتأني.

السادسة والعشرون: أنه مشروعٌ لمن دُعا قبل ذلك وقوتلوا.
السابعة والعشرون: الدعوةُ بالحكمة؛ لقوله: «أخبرهم بما يجب عليهم».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام.
التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجلٌ واحد.
الثلاثون: الحلف على الفتيا.



❦ [٦] باب: تفسير التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله ❦

وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿١٧﴾﴾ [الزخرف].

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرّم ماله ودمه، وحسابه على الله»^(١).

وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

❦ فيه أكبر المسائل وأهمها:

وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة؛ وبينها بأمور واضحة:

منها: آية الإسراء؛ بيّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة، بيّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وبيّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء

(١) رواه مسلم (٢٣)، من حديث طارق بن أشيم رضي الله عنه.

والْعَبَاد فِي الْمَعْصِيَةِ، لَا دَعَاؤُهُمْ إِلَيْهِمْ.

ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي [الزخرف]؛ فاستثنى من المعبودين الله ربه.

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاتة هي: تفسير شهادة
أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨) [الزخرف] (١).

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة] (١٧). ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله؛ فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً، ولم يدخلهم [هذا] في الإسلام. فكيف بمن أحب الله أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الله وحده ولم يحب الله؟

ومنها: قوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه». وهذا من أعظم ما يبين معنى «لا إله إلا الله»؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك؛ بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له؛ بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه.

فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحنة ما أقطعها للمنازع!



(١) أي: جعل كلمة التوحيد أصلاً يدعو إليه، ووصى بها أبناءه ليؤصوا بها من بعدهم كذلك.

❦ [٧] باب: من الشرك لبس الحلقة والخيطة ونحوهما ❦

رفع البلاء أو دفعه^(١)

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْسِكَتُ رَحْمَتِيهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صُفر^(٢)، فقال: «ما هذه؟»، قال: من الواهنة. فقال: «انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهناً؛ فإنك لو ميتٌ وهي عليك ما أفلحت أبداً». رواه أحمد بسندٍ لا بأس به^(٣).

وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: «من تعلّق تميمةً فلا أتمَّ الله له، ومن تعلّق ودعةً فلا ودّع الله له^(٤)»^(٥).

(١) الرفع: بعد نزوله. الدفع: قبل نزوله.

(٢) الصُفر: النُّحاس.

(٣) ضعيف: رواه أحمد (٤/٤٤٥)، وابن ماجه (٣٥٣١)، والطبراني (١٨/٣٤٨)، وابن حبان (٦٠٨٨)، والحاكم (٤/٢١٦)، والبيهقي (٩/٣٥٠)، والبزار (٣٥٤٥)، والرويانى (٧٢)، وصحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الإمام البوصيري في «الزوائد»، بينما ضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣٣/٢٠٤)، وفي «سنن ابن ماجه» (٤/٥٥٦)، وكذا الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٠٢٩).

(٤) أي: لا تركه الله تعالى في راحةٍ وهناءةٍ بال.

(٥) حسن: أحمد (٤/١٥٤)، وابن عبدالحكم في «فتوح مصر» ص (٢٨٩)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٤/٣٢٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» =

وفي رواية: «من تعلق تميمة فقد أشرك»^(١).

□ ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه: «أنه رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحمى، فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف]».

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. [و] فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يُعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة، بل تضر؛ لقوله: «لا تزيدك إلا وهناً».

= (١٦٢/١٧)، وأبو يعلى (١٧٥٩)، والدولابي في «الكنى» (١١٥/٢)، وابن حبان (٦٠٨٦)، والحاكم (٢١٦/٤)، والطبراني في «الكبير» (٨٢٠/١٧)، وابن عدي في «الكامل» (٢٤٦٠/٦)، والبيهقي (٣٥٠/٩)، وصححه الحاكم والذهبي، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠٢/٥): «رجاله ثقات»، وجوّده الشيخ حسين الداراني في تحقيقه (٣١١/١١)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٦٢٣/٢٨).

(١) صحيح: رواه أحمد (١٥٦/٤)، والحاكم (٢١٩/٤)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٥/١٧)، والحاكم في «مسنده» (٥٦٣)، من حديث عقبة رضي الله عنه - أيضًا -. وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٧٥/٥): «رجاله ثقات»، وقوّاه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٦٣٧/٢٨)، وصحّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤٩٢)، وفي «صحيح الجامع» (٦٣٩٤)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٣١٢/١١).

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئاً وُكل إليه ^(١).

السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمةً فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحُمَى من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليلٌ على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابنُ عباس رضي الله عنهما في آية البقرة ^(٢).

العاشرة: أن تعليق الودع عن العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمةً أن الله لا يُتَمُّ له، ومن

تعلق ودعةً فلا ودع الله له، أي: [فلا] ترك الله له.



(١) نعم أحاديث الباب تشير إلى هذا؛ لكن «التصريح» سيكون في الباب القادم في حديث عبد الله بن عكيم رضي الله عنه. والله تعالى أعلم.

(٢) يقصد قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وراجع مقدمات كتاب: «الحكم بغير ما أنزل الله»، للعلامة الشيخ عبدالرحمن المحمود.

❦ [٨] باب: ما جاء في الرُقَى والتَّمَائِمِ ❦

في «الصحيح» عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره؛ فأرسل رسولاً: «أَلَا يَبْقَيْنَ في رِقْبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ من وَتَرٍ^(١)، أو قِلَادَةٌ^(٢) إِلَّا قُطِعَتْ»^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرُقَى والتَّمَائِمَ والتَّوَلَةَ شُرْكٌ». رواه أحمد وأبو داود^(٤).

«التَّمَائِم»: شيء يعلّق على الأولاد يتقون به العين؛ لكن إذا كان المعلّق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و«الرُقَى»: هي التي تسمى العزائم، وخَصَّ منها الدليل ما خلا من الشرك^(٥)؛ فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمّة^(٦).

(١) الوَتَر: أوتار القوس.

(٢) هذا شك من الراوي: هل القِلَادَةُ من وَتَرٍ خاصةً، أو قِلَادَةُ من أي شيء كان؟

(٣) رواه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٣٨١/١)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأبو بكر الخلال في «السنة» (١٤٨٥)، وأبو يعلى (٥٢٠٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٢٤٠)، وابن حبان (٦٠٩٠)، والحاكم (٤١٧/٤)، والطبراني في «الكبير» (١٧٤/٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/٣٥٠)، وصحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصحّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٣١)، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (١١٠/٦).

(٥) رواه مسلم (٢٢٠٠)، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٦) راجع الحديث في أول الباب رقم [٢].

و«التَّوَلَّ»: شيء يصنعونه؛ يزعمون أنه يحبُّ المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وعن عبد الله بن عُكَيْم مرفوعاً: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكُلَّ إِلَيْهِ». رواه أحمد والترمذي^(١).

وروى أحمد عن زُوَيْفِع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا زُوَيْفِع، لعل الحياة ستطولُ بك، فأخبرِ الناس أن من عَقَدَ لِحِيَّتَهُ^(٢)، أو تَقَلَّدَ وَتَرًا^(٣)، أو استنَجَى برجيع دابةٍ أو عَظْمٍ = فإن محمداً بريءٌ منه»^(٤).

(١) حسن: رواه أحمد (٣١٠/٤)، وابن أبي شيبة (١٣/٧)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٢١٦/٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/٣٨٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٣٥١/٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥٧٦)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٤٤١٩)، وابن قانع في «معجمه» (١١٧/٢)، وأشار الإمام الترمذي إلى ضعفه، وسكت عليه الحاكم والذهبي، وحسنه الشيخ الألباني عند الترمذي، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٧٨/٣١)، وعند الترمذي (١٥٧/٤).

(٢) عَقَدَ اللحية: قيل: هو معالجتها حتى تنعقد وتتجدد. وقيل: كانوا يعقدونها في الحروب، فأمرهم - صلوات الله عليه - بإرسالها، لما فيها من التشبه بالنساء.

(٣) تقلد وترًا: قال أبو عبيدة: «الأشبه أنه نهى عن تقليد الخيل أوتار القسي لئلا تصيبها العين، أو مخافة اختناقها به - لا سيما عند شدة الركض - . فأمر ﷺ بقطع الأوتار من أعناق الخيل تنبيهاً به على أنها لا ترد شيئاً من قدر الله، وأن الله هو الصارف للبلايا، والحافظ عن المكاره» اهـ. «مرقاة المفاتيح» (٣٨٢/١).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٠٩/٤)، وأبو داود (٣٦)، والنسائي (٥٠٦٧)، وفي «الكبرى» (٩٢٨٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٧٥٢)، =

□ وعن سعيد بن جُبَيْر قال: «من قطع تميمةً من إنسانٍ كان كَعَدْلِ رَقبة». رواه وكيع^(١).

□ وله عن إبراهيم [النَّخعي] قال: «كانوا يكرهون التمايم كلها، من القرآن وغير القرآن».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقي والتمايم.

الثانية: تفسير التَّوَلَة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء: هل

هي من ذلك أم لا؟

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب من العين^(٢) من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على من تعلق وترًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمةً من إنسان.

= والطبراني في «الكبير» (٤٤٩١)، والبيهقي في «الكبرى» (١٧٨/١)،
والبغوي في «شرح السنة» (٢٦٨٠)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٢٧٠٤)،
وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٩٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني
في «السنن»، وكذا الشيخ شعيب الأرناؤوط عند أبي داود (٢٨/١).
(١) أي: كأنما أعتق رقبة، ولكن تحديد ثواب لعمل ما لا بد له من نصٍّ
صحيح عن المعصوم ﷺ. والظاهر أن سعيداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنما أراد تعظيم ثواب
قاطع التميمة.

(٢) أي: خشية العين.

التاسعة: أن كلام إبراهيم [النَّخَعِي] لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحابُ عبد الله بن مسعود^(١).



(١) أي: ليس مراده الصحابة والتابعين عمومًا.

❦ [٩] باب: من تبرَّك بشجرٍ أو حجرٍ ونحوهما ❦

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۚ﴾ [النجم].

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين - ونحن حُدثاءُ عهدٍ بكفر -، وللمشركين سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عندها، وَيُنْوَطُونَ^(١) بها أسلحتهم - يقال لها: ذاتُ أنواط -، فمررنا بِسِدْرَةٍ؛ فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط؛ فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السُّنن؛ قلتُم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ فَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف]! لَتَرْكِبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رواه الترمذي وصححه^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

(١) ينوطون: يعلِّقون.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٨/٥)، والتَّرمذي (٢١٨٠)، والطيالسي (١٣٤٦)، والحميدي (٨٤٨)، وابن أبي شيبة (١٠١/١٥)، وأبو يعلى (١٤٤١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٦)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٤٥/٩)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١٧٢/١)، وابن حبان (٦٧٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٣٢٩٢)، وقال الإمام التَّرمذي: «حسن صحيح»، وصحَّحه الشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق «المسند» (٢٢٦/٣٦).

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبّه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم في الأمر؛ بل رد عليهم بقوله: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ؛ لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». فغلط الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾.

التاسعة: أن نفي هذا من معنى «لا إله إلا الله»، مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشر: أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر»، فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك^(١).

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب، خلافاً لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

(١) يقصد أن غيرهم من السابقين - الذين ليسوا حدثاء عهد بكفر - يعلمون الحكم الشرعي، وهذا يدل على فضيلة المداومة على حضور مجالس العلم، وأن من أمضى فيه وقتاً طويلاً ليس كحال حديث العهد به. والله تعالى أعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبُّه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية لقوله: «إنها السُّنن»^(١).

الثامنة عشرة: أن هذا عِلْمٌ من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كلَّ ما ذمَّ الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه متقرَّرٌ عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أما «من ربُّك؟» فواضح، وأما «من نبيُّك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب. وأما «ما دينُك؟» فمن قولهم: «اجعل لنا» إلى آخره.

الحادية والعشرون: أن سُنَّةَ أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه، لا يؤمَّنُ أن يكون في قلبه بقيةٌ من تلك العادة، لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».



(١) أي: عادة السابقة.

❦ [١٠] باب: ما جاء في الذبح لغير الله ❦

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي^(١) وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
(١٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَرْ

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لغير الله. لعن الله مَنْ لعن والدَيْهِ. لعن الله مَنْ آوَى مُحَدِّثًا؛ لعن الله مَنْ غَيَّرَ مَنْارَ الْأَرْضِ». رواه مسلم^(٢).
وعن طارق بن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجلٌ في ذباب، ودخل النار رجلٌ في ذباب». قالوا: وكيف ذلك - يا رسول الله -؟ قال: «مرَّ رجلانِ على قومٍ لهم صنمٌ، لا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يَقْرَبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قال: ليس عندي شيءٌ أَقْرَبُ. قالوا له: قَرِّبْ وَلَوْ ذَبَابًا. فَقَرَّبَ ذَبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ؛ فَدَخَلَ النَّارَ. وقالوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ. فقال: ما كُنْتُ لِأَقْرَبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ ﷻ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ؛ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ». رواه أحمد^(٣).

(١) التُّسْك: الذبح في الحج. وقيل: الدِّين.

(٢) برقم (١٩٧٨).

(٣) صحيح موقوفًا: رواه أحمد في «الزهد» (١٥)، وابن أبي شيبة (١٧)/

(٥٣٧)، وأبو نُعَيْم في «الحلية» (٢٠٣/١)، وابن الأعرابي في «معجمه»

(١٧٩٦)، والبيهقي في «شُعَبُ الْإِيمَان» (٦٩٦٢)، والخطيب في «الكفاية»

(١٨٥)، وحسنه محقق «الشعب» موقوفًا على سلمان الفارسي رضي الله عنه،

وصحَّحه الشيخ دغش العجمي في تحقيقه لـ «كتاب التوحيد» ص (١٥٥)،

وكذا الشيخ زائد النشيري في تحقيق «الداء والدواء» للإمام ابن القيم =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

الثانية: تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحَرَّ﴾.

الثالثة: البداءة بلعنة مَنْ ذبح لغير الله.

الرابعة: لعنُ من لعن والديه، ومنه: أن تلعن والدي الرجل؛ فيلعن والديك.

الخامسة: لعنُ من آوى مُحَدَّثًا؛ وهو الرجل يُحَدِّثُ شيئًا يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يُجيره من ذلك^(١).

السادسة: لعن من غيّر منار الأرض، وهي المراسيم^(٢) التي تُفَرِّق بين حَقِّك وحق جارك، فتغيّرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده؛ بل

= ص (٧٦ - ط: عالم الفوائد).

تنبيه: لم أقف على الحديث مرفوعًا للنبي ﷺ. وإنما ذكر أنه مرفوع الإمام ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء» - الموضع السابق -. والظاهر أنه وهمٌ منه. والله تعالى أعلم.

(١) هذا بناءً على ضبط كلمة «محدّثًا» - بكسر الدال -، وقد جاءت الرواية - أيضًا - بالفتح: «محدّثًا»، أي: الحدّث نفسه، بمعنى: من تلبّس ببدعة.

(٢) المراسيم: الحدود.

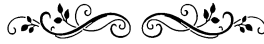
فعله تَخَلُّصًا من شرهم^(١).

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافرًا لم يقل: «دخل النار في ذباب»^(٢).

الثانية عشرة: فيه شاهدٌ للحديث الصحيح: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»^(٣).

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم، حتى عند عبدة الأوثان.



(١) جاء في النسخة المحققة - بتحقيق الشيخ دغش العجمي - ص(١٥٦): «لا يفهم من هذه المسألة أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لا يعذر بالجهل مطلقًا؛ فقد قال في رسالته لأحمد بن عبد الكريم: وغاب عنك قوله تعالى في عمّار ابن ياسر وأشباهه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، إلى قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]، فلم يستثن الله ﷻ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وقلبه مطمئن بالإيمان، بشرط طمأنينة قلبه، والإكراه لا يكون على العقيدة، بل على القول والفعل؛ فقد صرّح بأن من قال المكفر أو فعله فقد كفر، إلا المكروه بالشرط المذكور؛ وذلك بسبب إيثار الدنيا لا بسبب العقيدة» اهـ. وانظر - أيضًا - شروح «كتاب التوحيد».

(٢) لأن الكافر يدخل النار بكفره أصالةً.

(٣) رواه البخاري (٦٤٨٨)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

[١١] باب: لا يُذبح لله بـمكانٍ يُذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (١٠٨)

[التوبة].

وعن ثابت بن الضحّاك رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة^(١)، فسأل النبي ﷺ، فقال: «هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟»، قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟»، قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «أوفٍ بنذرِك؛ فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم». رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾^(٣).

- (١) بوانة: موضعٌ بقرب مكة، وهي معروفة إلى اليوم بهذا الاسم، تقع بين ينبع وبين أملج على ساحل البحر.
- (٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٣١٣)، والطبراني في «الكبير» (٧٥/٢)، والبيهقي في «الكبرى» (١٤٢/١٠)، و«الصغرى» (١٢٠/٤)، و«المعرفة» (٢١٤/١٤)، وصحّحه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (١٤٧/١)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٨١٩/٥)، وابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (٣٠٩)، وابن حجر في «بلوغ المرام» (١٣٧٨)، وفي «التلخيص» (١٨٠/٤)، وكذا صحّحه الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضاً - (٢٠١/٥).
- (٣) يأتي بيانه في «قرة عيون الموحّدين» - إن شاء الله -.

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشككة إلى المسألة البيّنة؛ ليزول الإشكال^(١).

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به، إذا خلا من

الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثنٌ من أوثان الجاهلية، ولو بعد

زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيدٌ من أعيادهم، ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نُذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر

معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.



(١) كجمع الأدلة في الباب الواحد؛ كما أشرنا ص (٣٤).

❁ [١٢] باب: من الشرك النذر لغير الله ❁

وقول الله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِرِ﴾ [الإنسان].

وقوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾

[البقرة: ٢٧٠].

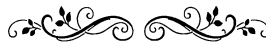
وفي «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نذر أن يطيع الله فليطعه؛ وَمَنْ نذر أن يعصي الله فلا يعصه»^(١).

❁ فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادةً لله، فصرُّه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.



❦ [١٣] باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله ❦

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(١) [الجن].

وعن حولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رواه مسلم^(٢).

❦ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه^(٣) من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث؛ لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة. قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية - من كف شر

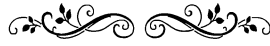
(١) الرَّهَقُ: الطغيان.

قال أهل العلم: كان الإنس إذا سافروا في الصحاري، فأرادوا النزول بوادٍ استعاذوا بالجن الموجودين فيه، وقالوا: «نعوذ بسيد هذا الوادي من شرِّ سفهاء قومه»، فلما رأت الجنُّ خوف الإنس منهم زادهم هذا طغيانًا وكبرًا.

(٢) برقم (٢٧٠٨).

(٣) يعني: التعوذ بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه سواه ﷻ.

أو جلب نفع - لا يدلُّ على أنه ليس من الشرك.



❦ [١٤] باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله، ❦

أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ (١٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴿١٧﴾ [يونس].

وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ (٥) وَإِذَا حُيِّرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف].

وقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق؛ فقال النبي ﷺ: «إنه لا يُستغاثُ بي؛ إنما يستغاثُ بالله» (١).

فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على

(١) ضعيف: رواه أحمد (٣١٧/٥)، والطبراني في «الكبير» - كما في «المجمع» (٢٤٦/١٠) -، وابن سعد في «الطبقات» (٣٨٧/١)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٢٤٦/١٠): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة؛ وهو حسن الحديث»، وضعفه الشيخ حسين الداراني في تحقيقه (٣٩٩/٢٠)، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٨٠/٣٧).

الخاص^(١).

الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾.

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو فعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا، مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تُطلب إلا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشر: أنه لا أضلّ ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه^(٢) غافلٌ عن دعاء الداعي، لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سببٌ لبغض المدعو للداعي، وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادةً للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: هي سبب كونه أضلّ الناس.

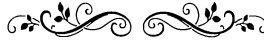
السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

(١) لأن الاستغاثة نوع دعاء، وهي الدعاء حال الشدة والكرب.

(٢) يعني: المدعو من دون الله جلّ شأنه.

السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرارُ عبدةِ الأوثان أنه لا يجب المضطر إلا الله؛ ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد، والتأدب مع الله ﷻ.



﴿١٥﴾ [باب: قول الله تعالى: ﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ﴾ (١١١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٢﴾] [الأعراف]

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ نَادَعُوا مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) ^(١) إِنَّ نَادِعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر].

وفي «الصحيح» عن أنس رضي الله عنه قال: شَجَّ النبي ﷺ يوم أُحُد، وكُسرت رِبَاعِيَّتُهُ ^(٢)، فقال: «كيف يُفْلَح قومٌ شَجُّوا نَبِيَّهم؟»، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ^(٣).

وفيه: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول - إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر -: «اللهم العن فلاناً وفلاناً» - بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» -، فأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾ الآية ^(٤).

وفي رواية: «يدعو على صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾» ^(٥).

(١) ﴿قِطْمِيرٍ﴾: القشرة الرقيقة الشفافة التي تكون على نواة التمرة.

(٢) الرِّبَاعِيَّة - بتخفيف الياء -: السنُّ التي بين الثنية والناب. والثنية: إحدى السَّيْنَيْنِ اللتين في مقدِّمة الفم.

(٣) رواه مسلم (١٧١٩)، وعلقه البخاري في «صحيحه» (قبل الحديث: ٤٠٦٩).

(٤) رواه البخاري (٤٠٦٩).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٩٣/٢)، والترمذي (٣٠٠٤)، والطبري في «تفسيره» =

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء]؛ فقال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها -، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبدالمطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفية - عمة رسول الله ﷺ -، لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين، وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها: شجهم نبيهم، وحرصهم على قتله. ومنها: التمثيل بالقتلى، مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، فتاب عليهم فآمنوا.

= (٧٨١٩)، وقال الإمام الترمذي: «حسن غريب»، وصححه الشيخ الألباني

عنده، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٤٨٧/٩).

والحديث رواه البخاري (٤٠٧٠)، عن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرسلًا.

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعين في القنوت.

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

الثانية عشرة: جدّه ﷺ^(١)؛ بحيث فعل ما نُسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن^(٢).

الثالثة عشرة: قوله ﷺ للأبعد والأقرب: «لا أغني عنكم من الله شيئاً»، حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً». فإذا صرح - وهو سيد المرسلين - بأنه لا يُغني شيئاً عن سيدة نساء

(١) أي: اجتهاده في الدعوة إلى الله ﷻ.

(٢) إي وربي، وقد روى عمر بن صالح رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «قال لي أبو عبد الله [أحمد بن حنبل]: يا أبا حفص، يأتي على الناس زمانٌ يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة، ويكون المنافق يشارُ إليه بالأصابع! فقلت: يا أبا عبد الله، وكيف يشارُ إلى المنافق بالأصابع؟! فقال: يا أبا حفص، صيِّروا أمر الله فضولاً! وقال: المؤمن إذا رأى أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهى، يعني قالوا: هذا فضول! والمنافق كل شيء يراه قال: بيده على فمه، فقالوا: نعم الرجل، ليس بينه وبين الفضول عمل» اهـ. «الأمر بالمعروف» للخلال ص (٣٦).

قلت: ومراد الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ من «الفضول»: التطفُّل والتدخُّل فيما لا يعنيه، وهكذا حال الناس، إذا أمرهم أهل السنة بالحق ونهواهم عن الباطل والضلال - حتى ولو بأعلى صور الأدب والحكمة -، طعنوا فيهم، ونفَّروا ونفَّروا عنهم، وإذا تركهم دعاة الباطل على باطلهم مدحواهم وأثنوا عليهم، ورفعواهم فوق الرؤوس. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم = تبين له التوحيدُ وغربة الدين.



﴿١٦﴾ باب: قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾

قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ [سبا]

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله^(١)، كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه، فحرفها وبدد بين أصابعه -، فيسمع الكلمة، فيلقياها إلى من تحته، ثم يلقياها الآخر إلى من تحته، حتى يلقياها على لسان الساحر أو الكاهن. فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقياها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء»^(٢).

وعن النّوّاس بن سميان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي، فأخذت السماوات منه رجفة - أو قال: رعدة - شديدة خوفاً من الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام؛ فإذا سمع ذلك أهل السماوات صَعِقُوا، وخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام، فيكلّمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمرّ جبريل على الملائكة، كلما مر بسماءٍ سألها ملائكتها: ماذا قال ربُّنا - يا جبريل -؟ فيقول جبريل: قال الحقّ، وهو العليّ الكبير، فيقولون كلُّهم مثلما قال جبريل،

(١) خَضَعَانًا: طاعةً وانقيادًا. وضبطت - أيضًا -: «خُضَعَانًا».

(٢) رواه البخاري (٤٨٠٠).

فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبرائيل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال: كذا وكذا».

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبرائيل.

السابعة: أنه يقول [هذا] لأهل السماوات كلهم؛ لأنهم يسألونه.

(١) ضعيف: رواه الطبري في «التفسير» (٩١/٢٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢١٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص (٩٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٦/١) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٥٢/٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٠٠/٢)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٩١)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩٥/٧): «رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح، وقد وثق، وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات»، وضعفه الشيخ الألباني في «ظلال الجنة» (٥١٥)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «مجمع الزوائد» (٣٤٧/١٤).

ويغني عنه رواية أبي هريرة رضي الله عنه في «صحيح البخاري» (٤٨٠٠). وعليه فعزو المصنف رحمه الله للرواية أعلاه إلى «الصحيح» فيه نظر. والله تعالى أعلم.

الثامنة: أن الغشي يعمُّ أهل السماوات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام الله.

العاشر: أن جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضاً.

الثالثة عشرة: سبب إرسال الشُّهب.

الرابعة عشرة: أنه تارةً يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارةً يُلقِيها

في أُذن وليّه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدّق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يَكْذِبُ معها مئةَ كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يُصدّق كَذِبُهُ إلا بتلك الكلمة التي سُمعت من

السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة، ولا

يعتبرون بمئة كذبة؟!

التاسعة عشرة: كونهم يتلقّى بعضهم من بعض تلك الكلمة،

ويحفظونها، ويستدلُّون بها.

العشرون: إثبات الصفات، خلافاً للمعطلة.

الحادية والعشرون: أن تلك الرجفة والغشي خوفٌ من الله ﷻ.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سُجَّدًا.



❦ [١٧] باب: الشفاعة ❦

وقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضًى﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [٢٢] وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. [سبأ].

□ قال أبو العباس^(١): «نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك، أو قسط منه، أو يكون عوناً لله. ولم يبق إلا الشفاعة؛ فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]؛ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة - كما نفاها القرآن -، وأخبر النبي ﷺ: «أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمده» - لا يبدأ بالشفاعة أولاً - . ثم يقال له: «ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع»^(٢).

وقال له أبو هريرة: مَنْ أسعدُ الناس بشفاعتك؟ قال: «مَنْ قال:

(١) يعني الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) رواه البخاري (٤٤٧٩)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»^(١).

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص؛ فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليُكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع. وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. اه كلامه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى؛ وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً، بل يسجد؛ فإذا أذن له شفع.

السادسة: من أسعد الناس بها؟

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.



﴿١٨﴾ **باب: قول الله تعالى:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ [القصص]

وفي «الصحيح» عن ابن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله». فقالا له: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا. فكان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة]. وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

الثالثة - وهي المسألة الكبرى - : تفسير قوله ﷺ: «قل: لا إله إلا الله»، بخلاف ما عليه من يدعي العلم (٢).

(١) رواه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤)، من حديث المسيب بن حزن

رضي الله عنه.

(٢) كالذين فسروها بتوحيد الربوبية: أنه لا خالق ولا رازق ولا محيي =

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: «قل: لا إله إلا الله»؛ فقَبَّحَ اللهَ مَنْ أبو جهل أعلمُ منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جُدُّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يُغفر له، بل نُهي عن ذلك.

الثامنة: مضرةُ أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرةُ تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك؛ لاستدلال الجاهلية بذلك^(١).

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كِبَر هذه الشبهة في قلوب الضالين^(٢)؛

لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.



= ولا مميت إلا الله ﷻ، وهذا ليس تفسير كلمة التوحيد؛ بل مرادها: لا معبود بحق إلا الله، وهو الذي استكبر عنه المشركون.

(١) يقصد شُبْهَةُ المبطلين في تعظيم الأسلاف هي استدلال أبي جهل بذلك في قوله: «أترغب عن ملة عبد المطلب؟».

(٢) يقصد تعظيم الأسلاف والأكابر. أفاده وما قبله العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ في «القول المفيد» (١/٣٦٠).

❦ [١٩] باب: ما جاء في أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ❦

وقول الله ﷻ: ﴿يَتَأْهَلِ الْكَتَبِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

□ وفي «الصحيح» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح]؛ قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت».

□ وقال ابن القيم: «قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُطْرُونِي كما أطرت النصارى ابنَ مريم؛ إنما أنا عبدٌ؛ فقولوا: عبدُ الله ورسولُهُ».

أخرجاه ^(١).

و[عن ابن عباس رضي الله عنهما] ^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» ^(٣).

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥)، من حديث الفاروق رضي الله عنه. وليس في «صحيح مسلم».

(٢) زيادة مني.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢١٥/١)، وابن سعد (١٨٠/٢)، والنسائي (٣٠٥٧)، وفي «الكبرى» (٤٠٤٩)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأبو يعلى (٢٤٢٧)، وابن الجارود (٤٧٣)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، وابن حبان (٣٨٧١)، والحاكم =

ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون». قالها ثلاثاً^(١).

فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده = تبين له غربته الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض: أنه شبهة الصالحين^(٢).

الثالثة: أول شيء غيّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك؟ مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع، مع كون الشرائع والفطر تردّها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين. والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جبلّة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل

يزيد.

= (١/٤٦٦)، والطبراني (١٢٧٤٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/٢٢٣)، وصحّحه الحاكم، وأقرّه الذهبي، وصحّحه الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣/٣٥٠).

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم.

(١) رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٢) أي: بشبهة محبتهم، ثم انجرت الأجيال التالية إلى عبادتهم؛ بتقديس قبورهم، ودعائهم من دون ربهم جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

الثامنة: فيه شاهدٌ لما نُقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفةُ الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حُسِن قصدُ الفاعل.

العاشر: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفةُ ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرّةُ العكوف على القبر لأجل عملٍ صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة - وهي أعجب وأعجب -: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال [فقط]^(١).

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوّروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «لا تُطْرُونِي كما أطرتِ

(١) الزيادة من عندي للإيضاح، ثم وجدتُ كلامًا مشابهاً للعلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ يُؤيد ما رجَّحْتُه، ولله الحمد والمنة. فانظر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» (٣٨٩/١).

ولعل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يشير إلى أفعال بعض المنتسبين إلى العلم من تعظيم القبور، واستحباب الدعاء عندها، ونحو ذلك.

النصارى ابن مريم». فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تُعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده^(١).

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.



(١) وبعد كل هذا نرى بعض من يدعون الفطنة والفهم يزعمون أن العلم صاّد للقلوب عن العبادة والتعلق بالله جلّ شأنه؛ سواءً بصورة قولية، أو بصورة فعلية؛ عن طريق هجر العلم والتعلم، وتحذير أتباعهم منه ومن أهله. نعوذ بالله من فتنة القلوب.

❦ [٢٠] باب: ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند ❦

قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده^(١)؟!

في «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها: أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور؛ فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرارُ الخلق عند الله»^(٢).

فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: لما نزل^(٣) برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة^(٤) له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها؛ فقال - وهو كذلك -: «لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». يُحذَرُ ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً. أخرجاه^(٥).

ولمسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلاً - كما اتخذ إبراهيم خليلاً - . ولو

(١) أي: فكيف إذا عبد صاحب القبر نفسه؛ وذلك بدعائه، وسؤاله قضاء الحاجات، وتفريج الكربات... ونحو ذلك؟!

(٢) رواه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

(٣) أي: الموت.

(٤) الخميصة: نوعٌ من الكساء.

(٥) رواه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٢٩).

كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَا تَخَذُتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا. أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ؛ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنَهَاكُم عَنْ ذَلِكَ»^(١).

فقد نهى عنه في آخر حياته. ثم إنه لعن - وهو في السياق - مَنْ فَعَلَهُ. والصلاة عندها من ذلك - وإن لم يُيَنَّ مسجد -، وهو معنى قولها: «خشي أن يتخذ مسجداً»؛ فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قُصِدَت الصلاة فيه فقد اتُّخِذَ مسجداً؛ بل كل موضع يصلَّى فيه يسمى «مسجداً»، كما قال ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»^(٢).

ولأحمد - بسندٍ جيد - عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ». ورواه أبو حاتم في «صحيحه»^(٣).

(١) رواه مسلم (٥٣٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤٥٣/١)، وابن أبي شيبه (١٨٦/١)، وأبو يعلى (٥٣١٦)، والبزار (١٧٢٤)، والشاشي (٥٢٨)، وابن خزيمة (٧٨٩)، وابن جبان (٢٣٢٥)، والطبراني في «الكبير» (١٨٨/١٠)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١٧٨/١)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/٢٦): «رواه البزار بإسنادين؛ في أحدهما عاصم بن بهدلة، وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وحسنه الشيخ حسين الداراني في تحقيقه (٥٥٢/١٥)، وكذا الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣٦٠/٧)، وكذا الشيخ مشهور آل سلمان في تحقيقه لـ «إعلام الموقعين» (٢٠١/٤).

فيه مسائل:

الأولى: ما ذَكَرَ الرسول ﷺ فيمن بنى مسجداً يُعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التماثيل، فإذا اجتمع الأمران تغلظ الأمر.

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك؛ كيف بيّن لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمسٍ قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتفِ بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سُنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده ﷺ تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنى اتخاذها^(١) مسجداً.

العاشرة: أنه قَرَنَ بين من اتخذها مساجد، وبين من تقوم عليه الساعة؛ فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكر في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع؛ بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقةً، وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور؛ وهم أول من بنى عليها المساجد.

= والحديث رواه البخاري (٧٠٦٧) - تعليقاً .

(١) يعني القبور عامةً.

الثانية عشرة: ما بُلي به ﷺ من شدة النَّزع.

الثالثة عشرة: ما أكرم به ﷺ من الخُلَّة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصِّديق ﷺ أفضل الصحابة ﺭﺯﻯ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻬﻢ.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته ﺭﺯﻯ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻪ.



❦ [٢١] باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين ❦ يَصِيرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

روى مالك في «الموطأ»: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١).

□ ولابن جرير بسنده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفْرَيْتُمْ أَلَلَّتْ وَالْعَزَى﴾ [النجم]، قال: «كان يَلُتُّ لهم السَّويق»^(٢)، فمات، فعكفوا على قبره.

□ وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كان يَلُتُّ السَّويق للحاج».

□ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور،

(١) صحيح: رواه مالك (٤١٦)، وعبدالرزاق في «المصنّف» (٤٠٦/١)، وابن سعد في «الطبقات» (٢٤٠/٢)، عن عطاء بن يسار مرسلاً، وصحّحه الشيخ الألباني في «المشكاة» (٧٥٠).

ورواه - بنحوه - أحمد (٢٤٦/٢)، وأبو يعلى (٦٦٨١)، والحميدي (١٠٥٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٢٤١/٢)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣١٧/٧)، والبيهقي في «المعرفة» (٧٨٢٢)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٤٣/٥)، والمفضل الجندي في «فضائل المدينة» (٦٦/١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصحّحه الشيخ الألباني في «تحذير الساجد» ص (٢٣)، والشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق «المسند» (٣١٤/١٢).

(٢) السَّويق: طعام يُتخذ من القمح والشعير وغير ذلك.

والمتخذينَ عليها المساجد والشُّرُج». رواه أهل السنن^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرُّه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة - وهي من أهمها -: معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

(١) حسن: رواه أحمد (٢٢٩/١)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣)، وفي «الكبرى» (٢١٨١)، وابن ماجه (١٥٧٥)، وابن جِبَّان (٣١٨٠)، والحاكم (٣٧٤/١)، والطيالسي (٢٨٥٢)، وابن الجعد في «مسنده» (١٥٠٠)، والطبراني في «الكبير» (١٤٨/١٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٧٢٠٦)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٤٧٤١)، وصحَّحه الإمامان ابن حبان، والحاكم، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٤٩/٢٤)، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرناؤوط - دون ذكر الشُّرُج - في «المسند» (٤٧١/٣)، وعند أبي داود (١٣٩/٥)، بينما ضعَّفه الشيخ الألباني في «السنن»، و«الضعيفة» (٢٢٥).

تنبيهان:

الأول: وردت رواية الحديث عند بعض المخرِّجين بلفظ: «والمتخذات عليها» بدل: «والمتخذين».

الثاني: لَعْنُ زوارات - أو زائرات - القبور منسوخٌ على الأرجح، فالصحيح جواز زيارة النساء للقبور بالضوابط الشرعية. وليس هذا محلَّ التفصيل.

- السابعة: معرفة أنه قبرُ رجل صالح.
- الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.
- التاسعة: لعنه زوّارات القبور.
- العاشرة: لعنه من أسرجها.



❁ [٢٢] باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ ❁

جَنَابَ التَّوْحِيدِ، وَسَدَّهُ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشَّرِكِ

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ^(١) حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [التوبة].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». رواه أبو داود بإسنادٍ حسن، ورواته ثقات^(٢).

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ؟ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليّ؛ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم». رواه في «المختارة»^(٣).

(١) أي: يعز عليه ما يشق عليكم، فلا يريد بكم إلا اليسر.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٦٧/٢)، وأبو داود (٢٠٤٢)، وأبو يعلى (٤٦٩)، والبيهقي في «الشَّعَب» (٣٨٦٥)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٦/٢٨٣)، والبزار (٥٠٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٠٣٠). وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٢٦)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٣٨٥/٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ» (١٨٦/٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٨/٥)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده [ﷺ] أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقررٌ عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بُعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه [ﷺ] في البرزخ تُعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.



= [ﷺ] (٣٠)، وأبو يعلى (٤٦٩)، والضياء في «المختارة» (٤٦٨)، وصححه الإمام السخاوي في «القول البديع» ص (٢٢٨)، والشيخ الألباني في «تحذير الساجد» ص (٩٥).

[٢٣] باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يَعْبُدُ الْأَوْثَانِ

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ^(١)﴾ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا^(٢)﴾ [الكهف].

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ^(٣)»، حتى لو دخلوا جُحَرَ ضُبٍّ لدخلتموه^(٤). قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟». أخرجاه^(٥).

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ زَوْي^(٦) لِي الْأَرْضِ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنْ أُمْتِي سَيَلَّغُ مُلْكُهَا مَا زَوْي لِي مِنْهَا. وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ. وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمْتِي أَلَّا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ بَعَامَةٍ^(٧)»، وَأَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ؛ فَيَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ^(٨). وَإِنْ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءَ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي

(١) أي: هل أخبركم بشرٍّ جزاءً عند الله يوم القيامة.

(٢) القُدَّة: ريشة السهم، وهي الجزء العلوي الحاد منه. والمراد: ستتبعونهم بدقة متناهية.

(٣) الضب: حيوان صحراوي معروف.

(٤) رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٥) زوى: ضمَّ وجمَعَ.

(٦) السَّنة: المجاعة.

(٧) يبيضتهم: جماعتهم. وتطلق - أيضًا - على العِزِّ والمُلْك.

أَعْطَيْتُكَ لَأَمْتِكَ أَلَّا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةٍ عَامَةٍ، وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سَوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(١).

ورواه البرقاني في «صحيحه»، وزاد: «وإنما أخافُ على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيفُ لم يُرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحقَ حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئامٌ من أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلُّهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتمُ النبيين - لا نبي بعدي - . ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورَةً؛ لا يضرُّهم مَنْ خذلهم ولا مَنْ خالفهم حتى يأتي أمرُ الله»^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة - وهي من أهمها - : ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت؟

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٧٨/٥)، وأبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وابن حبان (٧٢٣٨)، والحاكم (٤٤٩/٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٨٩)، وفي «الدلائل» (٤٦٤)، وأبو عوانة (٧٥٠٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٨١/٩)، وفي «الدلائل» (٥٢٦/٦)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكذا الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٣)، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٧٩/٣٧).

هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟

الخامسة: قولهم: إن الكفار - الذين يعرفون كفرهم - أهدى سبيلاً من المؤمنين.

السادسة - وهي المقصودة بالترجمة -: أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد^(١).

السابعة: التصريح بوقوعها - أعني عبادة الأوثان - في هذه الأمة في جموع كثيرة.

الثامنة: العجب العجيب: خروج من يدعي النبوة، مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه أنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق. وفيه: أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يُصدَّق في هذا كله مع التضاد الواضح! وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى؛ بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى: أنهم مع قتلهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة:

- منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر

بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال.

- وإخباره بأنه أُعطي الكنزين.

- وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.

- وإخباره بأنه مُنع الثالثة.

- وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يُرفع إذا وقع.

- وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا، وسبّي بعضهم بعضًا.

- وخوفه على أمته من الأئمة المضلين.

- وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة.

- وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة.

وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدةٍ منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصرُ الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.



❁ [٢٤] باب: ما جاء في السحر ❁

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ^(١)﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

□ قال عمر: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان».

□ وقال جابر: «الطواغيت كهانٌ كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حيٍّ واحد».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات^(٢).

وعن جندب مرفوعاً: «حدُّ الساحر ضربُه بالسيف». رواه الترمذي، وقال: «الصحيح أنه موقوف»^(٣).

(١) الخلاق: النصيب.

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٢)، ومسلم (٨٩).

(٣) ضعيف: رواه الترمذي (١٤٦٠)، والحاكم (٣٦٠/٤)، والدارقطني (٤/١٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١٦١/٢)، والبغوي في «المعجم» (٣٦٥)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٥٨٠/٢)، وابن قانع في «معجمه» (١/١٤٤)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٤٨٥)، وضعفه الترمذي، وقال الحاكم والذهبي: «غريب صحيح»، وضعفه الشيخ الألباني عند الترمذي، والشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضاً - (٢٨٧/٣).

□ وفي «صحيح البخاري» عن بَجَالَةَ بْنِ عَبْدِ قَالَ: «كتب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر».

□ وصَحَّ عن حفصة رضي الله عنها: «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت».

□ وكذلك صح عن جندب رضي الله عنه.

□ قال أحمد: «عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يُقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟



= وصَحَّ غير واحدٍ من العلماء وقفه على جُندب رضي الله عنه. فانظر: «الكبائر» للذهبي ص (١١)، و«الضعيفة» للألباني (١٤٤٦).

[٢٥] باب: بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قُطْنُ بن قَبِيصَةَ، عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: «إن العيافة والطَّرْقَ والطَّيْرَةَ من الجِبْتِ»^(١).

□ قال عوف: «العيافة: زجر الطير. والطَّرْق: الخط يُخَطُّ بالأرض».

والجبت:

□ قال الحسن: «رنة الشيطان». إسناده جيد.

ولأبي داود والنسائي وابن حبان في «صحيحه» المسندُ منه^(٢).
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ شَعْبَةً

(١) حسن - إن شاء الله -: رواه أحمد (٤٧٧/٣)، وعبدالرزاق (١٩٥٠٢)، وأبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٠٨)، وابن سعد (٧/٣٥)، وابن أبي شيبة (٤٢/٩)، والحربي في «الغريب» (١١٧٧/٣)، والدولابي في «الكنى» (٨٦/١)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٤/٣١٢)، وابن حبان (٦١٣١)، والطبراني (٩٤١/١٨)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٥٨/٢)، والبيهقي (١٣٩/٨)، وفي «الآداب» (٤٧٠)، وحسنه النووي في «رياض الصالحين» (٦٣٧)، وابن تيمية في «الفتاوى» (١٩٢/٣٥)، وجوَّده ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣٦٥/٣)، بينما ضَعَّفَه الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضًا - (٥٢/٦).

(٢) يعني أن هؤلاء رووا الحديث مقتصرين على المرفوع منه، ولم يذكروا كلام عوفٍ رضي الله عنه. قاله في «تيسير العزيز الحميد» (٧٠٩/٢).

من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السّحر، زاد ما زاد^(١). رواه أبو داود، وإسناده صحيح^(٢).

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ عَقَدَ عَقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ. وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكُلَّ إِلَيْهِ»^(٣).

(١) أي: كلما زاد من علم النجوم زاد له من الإثم مثل إثم الساحر. كذا في «فيض القدير» (٨٠/٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٢٧/١)، وابن أبي شيبة (٦٠٢/٨)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وعبد بن حميد (٧١٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٢٥٠ - تهذيب)، والطبراني في «الكبير» (١١٢٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٩٧)، وحسنه الشيخ الألباني عند أبي داود، وصحّحه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٤٥٤/٣).

فائدة: جاء في تحقيق المصدر الأخير: «والمنهي عنه من علم النجوم هو علم التأثير، الذي يقول أصحابه: إن جميع أجزاء العالم السفلي صادر عن تأثير الكواكب والروحانيات، فهذا محرّم لا شك فيه؛ لأنه ضُرب من الأوهام، وما سوى ذلك من علم الفلك فتعلّمه مباح لا حرج فيه، بل هو فرض كفاية لا بُدَّ أن يقوم به نفر من المسلمين ليرفع الإثم عن عامتهم، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكُمُ الْوَيْلَ وَالْجَمِّ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١) [النحل]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] اهـ.

(٣) ضعيف: رواه النسائي (٤٠٧٩)، وفي «الكبرى» (٣٥٢٨)، والطبراني في «الأوسط» (١٤٦٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣٤٢/٤)، وضعّفه الذهبي في «الميزان» (٣٧٨/٢)، والمنذري في «الترغيب» (٤٦٠٤)، وضعّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٧٠٢)، و«ضعيف الترغيب» (١٧٨٨)، وكذا وضعّفه محققو «المسند» (٨٧/٣١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما العُضَةُ؟ هي النَمِيمةُ، القالَةُ بين الناس». رواه مسلم ^(١).
ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لَسِحْرًا» ^(٢).

فيه مسائل:

- الأولى: أن العيافة والطَّرْق والطيرة من الجبت.
- الثانية: تفسير العيافة والطرق.
- الثالثة: أن علم النجوم من أنواع السحر.
- الرابعة: أن العَقْد مع النفث من ذلك.
- الخامسة: أن النَمِيمة من ذلك.
- السادسة: أن من ذلك بعضُ الفصاحة.



(١) برقم (٢٦٠٦).

(٢) رواه البخاري (٥١٤٦).

ورواه مسلم من حديث عمار رضي الله عنه (٨٦٩).

❁ [٢٦] باب: ما جاء في الكهان ونحوهم ❁

روى مسلم في «صحيحه» عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسأله عن شيءٍ فصدَّقه، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين يومًا»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». رواه أبو داود^(٢).

وللأربعة والحاكم - وقال: صحيح على شرطهما - عن أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أو كَاهِنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٣).

ولأبي يعلى - بسندٍ جيدٍ - عن ابن مسعود مثله موقوفًا.

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤٢٩/٢)، والبخاري في «التاريخ» (١٦/٣)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٦٧)، وابن ماجه (٦٣٩)، والدارمي (١١٣٦)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١١٧٦)، وفي «السنن» (١٣٥/٨)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٤٢)، وابن الجارود في «المنتقى» (١٠٧)، والخلال في «السنة» (١٢٥١)، وضعفه الترمذي، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، ونقل المُنَاوي في «فيض القدير» (٢٣/٦) تصحيحه عن الحافظ العراقي في «أمالیه». وكذا صحَّحه الشيخ الألباني في «الصحيحه» (٣٣٨٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند أبي داود (٤٨/٦).

(٣) صحيح: وهو بعض روايات الحديث السابق، وهذه رواية أحمد (٢/٤٢٩)، والحاكم (٨/١)، والبيهقي في «السنن» (١٣٥/٨).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس منّا من تطيّر أو تُطيّر له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له. ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». رواه البزار بإسناد جيد^(١).

ورواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى...» إلى آخره^(٢).

□ قال البغوي: «العرّاف: الذي يدّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيّبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير».

□ وقال أبو العباس بن تيمية: «العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق».

□ وقال ابن عباس رضي الله عنهما - في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في

(١) صحيح: رواه البزار (٣٥٧٨)، والطبراني في «الكبير» (١٦٢/١٨)، والدولابي في «الكنى» (٢٠٨٣)، وجوّده المنذري في «الترغيب» (٤/٣٣)، وابن حجر في «فتح الباري» (٢٢٧/١٠)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١١٧/٥): «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا إسحاق ابن الربيع وهو ثقة» اهـ، وصحّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢١٩٥). وقوّاه الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٣١٥/١١).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٢٦٢)، وحسّنه الإمام المنذري في «الترغيب» (٣٣/٤)، وصحّحه لغيره الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٤٢)، وقوّاه الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٣١٥/١١).

النجوم - : « ما أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ ».

فيه مسائل:

الأولى: أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكَهَّنُ له.

الرابعة: ذكر من تُطَيَّرُ له.

الخامسة: ذكر من سُحِرَ له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.



❦ [٢٧] باب: ما جاء في النُشْرة ❦

عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن النُشْرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان». رواه أحمد بسندٍ جيد، وأبو داود ^(١).

□ وقال ^(٢): «سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله».

□ وفي البخاري عن قتادة: «قلت لابن المسيّب: رجلٌ به طِبُّ ^(٣)،

أو يُوَخِّذُ عن امرأته ^(٤)؛ أَيَحْلُ عنه أو ينشُر؟ قال: لا بأس به؛ إنما يريدون به الإصلاح، أما ما ينفع فلم يُنْه عنه» اهـ.

□ وروي عن الحسن أنه قال: «لا يَحْلُ السحرَ إلا ساحر».

□ قال ابن القيم: «النُشْرة: حلُّ السحر عن المسحور، وهي

نوعان:

أحدهما: حلُّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه

يُحْمَل قول الحسن، فيتقرب الناشِرُ والمنتشر إلى الشيطان بما يُحِب،

فَيُطِيلُ عمله عن المسحور.

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٩٤/٣)، وأبو داود (٣٨٦٨)، وعبدالرزاق

(١٩٧٦٢)، والبيهقي (٣٥١/٩)، ومعمر بن راشد في «جامعه» (١٣/١١)،

وابن حبان في «الثقات» (٣١٥/٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٣٥١/٩)،

وجوّدَه ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٦٣/٣)، وحسّنه ابن حجر في

«الفتح» (٢٤٤/١٠)، وصحّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٧٦٠)،

والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٤٠/٢٢).

(٢) أي: أبو داود رضي الله عنه.

(٣) الطِبُّ: السحر.

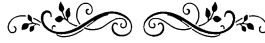
(٤) يُوَخِّذُ: يُحْبَس عن امرأته، فلا يستطيع جماعها.

والثاني: النُّشْرَةُ بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة^(١)؛ فهذا جائز».

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهَى عنه والمرخَّص فيه مما يزيل الإشكال.



(١) في بعض النسخ: «والأدوية، والدعوات المباحة».

﴿٢٨﴾ باب: ما جاء في التطيّر

وقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَيَّرْتُم بِعَدَائِهِمْ وَلَكِنْ أَكْثَرْتُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وقوله: ﴿قَالُوا طَيَّرْتُمْ مَعَكُمْ أَنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ مُسْرِفُونَ﴾ [يس: ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر». أخرجاه.

زاد مسلم: «ولا نوء ولا غول»^(١).

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويُعجبني الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»^(٢).

ولأبي داود - بسند صحيح - عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ؛ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترُدُّ مسلماً؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»^(٣)»^(٤).

(١) رواه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٣) في بعض النسخ: «إلا بالله».

(٤) حسن: رواه أبو داود (٣٩١٩)، وابن أبي شيبة (٣١٠/٥)، والبيهقي

في «الكبرى» (٢٤٠/٨)، وفي «الشعب» (١١٢٨)، وفي «الدعوات»

(٥٦٢) وابن أبي شيبة في «الأدب» (١٦٢)، والخلال في «السنة» (١٤٠٥)،

والخراطي في «مساوى الأخلاق» (٧٥٢)، وابن قانع في «المعجم» =

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلَّا^(١)، ولكنَّ الله يُذهبه بالتوكل». رواه أبو داود والترمذي - وصحَّحه -، وجعل آخره من قول ابن مسعود^(٢).
ولأحمد من حديث ابن عمرو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ عَنْ حاجته فقد أشرك». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خيرَ إلَّا خيرُك، ولا طيرَ إلَّا طيرُك، ولا إله غيرُك»^(٣).

- = (٢/٢٦٢)، وصحَّحه النووي في «رياض الصالحين» (١٦٧٥)، وفيه نظر. وضعفه الشيخ الألباني عند أبي داود، بينما حسَّنه لغيره الشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضاً - (٦٢/٦).
- تنبيه هام: وقع في نسخ كتاب «التوحيد»: «عقبة بن عامر»، وصوابه: عروة بن عامر القُرشي، وقيل: الجهني، وقد اختلف في صحبته. وسيأتي في «قرة عيون الموحدين» في (٢/٢٤٥).
- (١) أي: وما منَّا إلَّا يصيبه شيءٌ في قلبه من الطَّيْرَةِ.
- (٢) صحيح: رواه أحمد (٣٨٩/١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٠٩)، وأبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأبو يعلى (٥٢١٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٥٨/١)، والشاشي (٦٥٥)، وابن حبان (٦١٢٢)، والحاكم (١٧/١)، والبيهقي في «الكبرى» (١٣٩/٨)، والبزار (٥٢٢٩)، والخلال في «السنة» (١٤٠٤)، وصحَّحه الترمذي، والحاكم، وأقرَّه الذهبي، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرناؤوط عند أبي داود (٥٤/٦).
- (٣) حسن: رواه أحمد (٢٢٠/٢)، وابن وهب في «الجامع» (٦٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٦/١٤)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠٥/٥): «رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات»، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٦٥)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» =

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، مع قوله: ﴿قَالُوا طَيَّرَكُم مَّعَكُمْ﴾.

الثانية: نفي العدوى.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصّفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك؛ بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر؛ بل يُذهبه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول مَنْ وَجَدَهُ.

العاشر: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.



= (١١/٣٢٠)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (١١/٣٢٦).

(١) ضعيف: رواه أحمد (١/٢١٣)، وابن الجوزي في «جامع المسانيد»

(٦٠٤١)، وضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣/٣٢٧).

❦ [٢٩] باب: ما جاء في التنجيم ❦

□ قال البخاري في «صحيحه»: «قال قتادة: خلق الله هذه النجوم ثلاث: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به» انتهى.

□ «وكره قتادة تعلّم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه». ذكره حرب عنهما.

□ ورخص في تعلّم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، ومصدّق بالسحر، وقاطع الرحم». رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه»^(١).

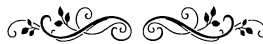
❦ فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدّق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.



(١) حسن: رواه أحمد (٣٩٩/٤)، وأبو يعلى (٧٢٤٨)، وابن حبان (٦١٣٧)، والحاكم (١٤٦/٤)، وبحشل في «تاريخ واسط» ص (١٦١)، وصحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٣٦٢)، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣٣٤/٣٢).

باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء (١)

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢) [الواقعة].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة».

وقال: «النائحة إذا لم تثب قبل موتها تُقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطران» (٣)، «وِدْرُعٌ من جَرَب» (٤). رواه مسلم (٥).

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل (٦)، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأما من قال: مُطَرْنَا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمنٌ بي، كافر بالكوكب. وأما من قال: مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافرٌ بي، مؤمنٌ بالكوكب» (٧).

(١) الأنواء: منازل القمر. كانوا يزعمون أن القمر إذا نزل منزلاً من المنازل مُطَرُوا، ونسوا رازقهم ﷺ.

(٢) أي: وتجعلون شكركم على نعمنا أنكم تكذبون بكتابتنا ونبينا ﷺ.

(٣) القطران: مادة لزجة شديدة الاشتعال.

(٤) الدرع: القميص. أي: يسلط على أعضائها الجرب والحكة؛ بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع وهو القميص.

(٥) برقم (٩٣٤).

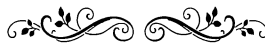
(٦) أي: بعد أن أمطرت السماء في الليلة الماضية.

(٧) رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم.

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه: «قال بعضهم: لقد صدق نوءٌ كذا وكذا». فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَا أَقْسِدُ بَمَوْقِعِ الْجُورِ ۖ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوُ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۖ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۖ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۖ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۖ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۖ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ۖ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۖ (٨٢)﴾ [الواقعة] (٣).

فيه مسائل:

- الأولى: تفسير آية الواقعة.
- الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.
- الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.
- الرابعة: أن من الكفر ما لا يُخرج من الملة.
- الخامسة: قوله: «أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر». بسبب نزول النعمة.
- السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.
- السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.
- الثامنة: التفطن لقوله: «لقد صدق نوءٌ كذا وكذا».
- التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها؛ لقوله: «أتدرون ماذا قال ربكم؟».
- العاشرة: وعيدُ النائحة.



- (١) ﴿كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾: اللوح المحفوظ. ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾: الملائكة.
- (٢) ﴿مُدْهِنُونَ﴾: مكذبون كافرون.
- (٣) رواه مسلم (٧٣). وليس في البخاري.

[٣١] باب: قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ

مِن دُونِ اللَّهِ أُنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة]

وقوله: ﴿قَدْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [التوبة: ٢٤].

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين». أخرجاه ^(١).

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ - بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ - كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ».

وفي رواية: «لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتى...» إلى آخره ^(٢).

□ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تَنَالُ وِلَايَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ. وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ؛ وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مَوَاحَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا؛ وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا». رواه ابن جرير.

□ وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾

[البقرة]، قال: «المودة».

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته ﷺ، وتقديمها على النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تُنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير ﴿وَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾.

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبًّا شديدًا.

العاشر: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ نداءً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك

الأكبر.



﴿٣٢﴾ باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ

أَوْلِيَآءُهُ﴾^(١) فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ [آل عمران]

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقوله: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «إِنْ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُوْتِكَ اللَّهُ. إِنْ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجْرُهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كِرَاهِيَةُ كَارِهِ»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ. وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ». رواه ابن حبان في «صحيحه»^(٣).

(١) أي: يخوفكم بأوليائه.

(٢) موضوع: رواه أبو نُعيم في «الحلية» (١٠٦/٥)، والبيهقي في «الشُّعب» (٢٠٣)، وضعفه عقبه، وحكم عليه الشيخ الألباني بالوضع في «الضعيفة» (١٤٨٢).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان (٢٦٧)، وعبد بن حميد (١٥٢٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٩٩)، وابن عساكر في «التاريخ» (٢٠/٥٤)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط عند ابن حبان (٥١٠/١)، والشيخ الألباني في =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

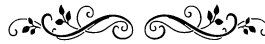
الرابعة: أن اليقين يَضْعُفُ وَيَقْوَى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.



﴿٣٣﴾ باب: قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾ [المائدة]

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ [الأنفال].

وقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦﴾ [الأنفال].

وقوله: ﴿وَبَرَزُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

□ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل؛ قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران] رواه البخاري ^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة.

(١) أي: حسبك الله، وحسب من اتبعك من المؤمنين.

(٢) رواه البخاري (٤٥٦٣).

السابعة: أنها قول إبراهيم ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ في الشدائد^(١).



(١) وقد صرَّح شيء الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنها تقال عند جلب المنافع ودفع المضار.

﴿٣٤﴾ باب: قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾

فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١﴾ [الأعراف]

وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْضُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن الكبائر؟ فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله^(١)، والأمن من مكر الله^(٢)».

□ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله». رواه عبدالرازق.

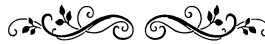
فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن آمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.



(١) الرُّوح: الرحمة.

(٢) حسن: رواه البزار (١٠٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٩٣١/٣)، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٠٥١).

﴿ ٣٥ ﴾ باب: من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن].

□ قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»^(١).

ولهما عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس منّا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»^(٣).

(١) رواه مسلم (٦٧).

(٢) رواه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وأبو يعلى (٤٢٥٤)، والحاكم (٤/٦٠٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/٣٥٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٣٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٠٥٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣١٦)، وابن بشران في «الأمالى» (١٠٦)، وحسنه الترمذي، وسكت عليه الحاكم والذهبي، وصحّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٢٢٠)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط عند الترمذي (٤٠٤/٤).

وقال ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السُّخْطُ». حسنه الترمذي^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: علامة إرادة الله به الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضى بالبلاء.



(١) حسن: رواه الترمذي (بعد الحديث: ٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وأبو يعلى (٤٢٢٢)، وابن عدي في «الكامل» (٣/٣٥٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٢١)، والبيهقي في «الشَّعْب» (٩٣٢٥)، وابن بشران في «الأُمالي» (٢٤٤)، من حديث أنس رضي الله عنه، وحسنه الترمذي، والشيخ الألباني عنده، وكذا الشيخ شعيب الأرناؤوط ثمَّ (٤/٤٠٥)، وكذا محقق «الشَّعْب» (١٢/٢٣٤).

❦ [٣٦] باب: ما جاء في الرياء ❦

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ۝﴾ [الكهف].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه». رواه مسلم ^(١).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟». قالوا: بلى - يا رسول الله -. قال: «الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل». رواه أحمد ^(٢).

❦ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في ردّ العمل الصالح إذا دخله شيءٌ لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك؛ وهو كمال الغنى.

(١) برقم (٢٩٨٥).

(٢) حسن: رواه أحمد (٣٠/٣)، وابن ماجه (٤٢٠٤)، والحاكم (٣٢٩/٤)، والبيهقي في «الشَّعَب» (٦٤١٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٤١٣)، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الإمام البوصيري والشيخ الألباني عند ابن ماجه. وضعَّفه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣٥٤/١٧)، وعند ابن ماجه (٢٩١/٥).

الرابعة: أن من الأسباب: أنه تعالى خيرُ الشركاء.

الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسّر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.



❁ [٣٧] باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ❁

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾^(١) ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطَلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود].

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ»^(٢)، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ»^(٣)، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيًى، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطٌ؛ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَفَشَ. طَوْبَى لِعَبْدٍ آخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ»^(٤) فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مَغْبَرَةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ»^(٥)، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُوْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»^(٦).

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبدَ الدينار والدرهم والخميصة.

(١) ﴿يُبْخَسُونَ﴾: يُنْقَصُونَ.

(٢) الخميصة: ثوب مربع من صوف أو حرير.

(٣) الخميعة: ثوب له خملٌ وأهداب.

(٤) العنّان: اللجام.

(٥) الساقة: مؤخرة الجيش.

(٦) رواه البخاري (٢٨٨٧).

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ سخط.

الخامسة: قوله: «تعس وانتكس».

السادسة: قوله: «وإذا شيك فلا انتقش».

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.



❦ [٣٨] باب: من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ❦

ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله؛ فقد اتخذهم
أرباباً من دون الله

□ وقال ابن عباس: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!». □ وقال الإمام أحمد: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته؛ يذهبون إلى رأي سفيان! والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا ردَّ بعض قوله [ﷺ] أن يقع في قلبه شيء من الزَّيغ فيهلك».

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرُءُسَهُمْ أَرْكَبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة]، فقلت له: إنا لسنا نعبدُهم. قال: «أليس يُحَرِّمُونَ ما أحلَّ الله فتحَرِّمونه؟ ويَحُلُّون ما حَرَّمَ الله فتحلُّونه؟»، فقلت: بلى. قال: «فتلك عبادتُهم». رواه أحمد والترمذي وحسنه ^(١).

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٠٩٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٧٨٤/٦)، وابن جرير في «تفسيره» (١١٤/١٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٦٥١/١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٥٧٤ - تهذيبي)، والطبراني في «الكبير» (٩٢/١٧)، والبيهقي في «الكبرى» (١٩٨/١٠)، وفي «المدخل» (٢٦١)، والخطيب في «الفيء والمتفق» (١٢٩/٢)، وقال الإمام الترمذي: =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى «العبادة» التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغيير الأحوال إلى هذه الغاية؛ حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى «الولاية»، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.



= «غريب»، وضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط عند الترمذي (٣٢٧/٥)، بينما حسنه الشيخ الألباني عنده - أيضًا -. وسيأتي نص الحديث عدة مرات - إن شاء الله -.

﴿٣٩﴾ **باب: قول الله تعالى:** ﴿الَّذِينَ يَرْمِزُونَ

أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى
الطَّلْعُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴿٦٠﴾

الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ

مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ

إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوَفِّيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء]

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾

[البقرة].

وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

[المائدة].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به». قال النووي: «حديث صحيح، رُوِيَّاهُ في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح»^(١).

(١) حسن - إن شاء الله -: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢١/٦)،
والبغوي في «شرح السنة» (١٠٤)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٧٩)،
والسلفي في «معجم السفر» (١٢٦٥)، وصححه النووي في «الأربعين»
(٣٩٣/٢) - مع «جامع العلوم» -، وكذا الشيخ أحمد شاكر في التعليق
على «عمدة التفاسير» - كما في التعليق على «محاسن التأويل» (٢/٢)
(٣٧٢) -، وصححه الشيخ عبدالرحيم الطحان - كما سمعته من بعض =

□ وقال الشعبي: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد - لأنه عَرَفَ أنه لا يأخذ الرشوة -. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود - لعلمه أنهم يأخذون الرشوة -. فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾ الآية»^(١).

□ وقيل: «نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر رضي الله عنه، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرَضَ برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله»^(٢).

= مُحاضراته -، وكذا سَمِعْتُ من الشيخ محمد بن إسماعيل المقدَّم أن الحديث مقبول. وضعَّفه آخرون. فانظر كلام الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/٢٩٣)؛ ومن الجدير بالذكر أنَّ الشيخ أحمد شاكر لم يوافق على تعليل الحافظ ابن رجب للحديث؛ كما في التعليق على «محاسن التأويل» في الموضع السابق. ومن ضعَّفه - أيضًا - الشيخ بشار عواد في تحقيق «تاريخ بغداد» (٦/٢١).

(١) ضعيف: رواه إسحاق بن راهويه في «تفسيره»، والواحد في «أسباب النزول» ص (١٠٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/٩٦)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٧١١)، وإسناده ضعيف. وانظر: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١/٤١٨).

(٢) موضوع: رواه الثعلبي في «تفسيره»؛ كما في «الفتح السماوي» (٢/٤٩٧)، و«تخريج أحاديث الكشاف» (١/٣٣٠)، و«العجاب» (٢/٩٠٣)، وحكم عليه بالوضع الشيخان سليم الهلالي ومحمد موسى آل نصر في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١/٤٢٤).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء، وما فيها من الإعانة على معرفة فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...﴾.

الرابعة: تفسير ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَتَّبِعُونَ...﴾.

الخامسة: ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحدٍ حتى يكون هواه تبعاً لما

جاء به الرسول ﷺ.



❁ [٤٠] باب: من جحد شيئاً من الأسماء والصفات ❁

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾^(١) [الرعد].

□ وفي «صحيح البخاري»: «قال عليّ: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟»^(٢).

□ وروى عبدالرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه: عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات - استنكاراً لذلك -، فقال: ما فرّق هؤلاء^(٣)؟ يجدون رقةً عند مُحْكَمِهِ، ويَهْلِكُون عند متشابهه؟! انتهي.

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر «الرَّحْمَنَ» أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾^(٤).

❁ فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد^(٥) شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

(١) ﴿مَتَابٍ﴾: توبتي ومرجعي.

(٢) رواه البخاري (١٢٧).

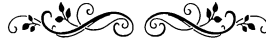
(٣) أي: لماذا يخافون ويفزعون؟

(٤) انظر: «صحيح مسلم» (١٧٨٤).

(٥) أي: مع جحد.

الرابعة: ذكر العلة: أنه يُفْضَى إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم
يتعمد المُنْكَر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك، وأنه أهلكه.



﴿٤١﴾ [باب: قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ﴾

يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾] [النحل]

□ قال مجاهد ما معناه: «هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي».

□ وقال عون بن عبد الله: «يقولون: لولا فلان لم يكن كذا».

□ وقال قتيبة: «يقولون: هذا بشفاعة آل هتنا».

□ وقال أبو العباس - بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...» الحديث وقد تقدم^(١) -: «وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف: «هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً»، ونحو ذلك مما هو جارٍ على السنة كثير».

فه فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جارٍ على السنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.



﴿ ٤٢ ﴾ [باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾] [البقرة]

□ قال ابن عباس في الآية: «الأنداد: هو الشرك، أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي. ويقول: لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً؛ هذا كله به شرك». رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بغير الله فقد كفر أو أشرك». رواه الترمذي، وحسنه، وصححه الحاكم ^(١).

□ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً» ^(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». رواه أبو داود بسندٍ

(١) صحيح: رواه أحمد (١٢٥/٢)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وابن حبان (٤٣٥٨)، والحاكم (٢٩٧/٤)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/٢٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وأعله غيرهم. وصححه الشيخ الألباني في «السنن»، وكذا الشيخ شعيب الأرناؤوط عند أبي داود (١٥٥/٥).

(٢) لأن الحلف بالله كاذباً معصية، بينما الحلف بغيره - ولو صادقاً - شرك، وهو أعظم من الكبائر.

صحيح^(١).

□ وجاء عن إبراهيم النخعي: «أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان؛ ولا تقولوا: لولا الله وفلان».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقاً؛ فهو أكبر من اليمين الغموس^(٢).

الخامسة: الفرق بين «الواو» و«ثم» في اللفظ.



(١) صحيح: رواه أحمد (٣٨٤/٥)، والطيالسي (٤٣٠)، وأبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٥)، وفي «عمل اليوم» (٩٨٥)، والبيهقي في «السنن» (٢١٦/٣)، وفي «الأسماء والصفات» ص (١٤٤)، و«الاعتقاد» ص (١٥٦)، والدينوري في «المجالسة» (٢٠٠٥ - تهذيب)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٧)، وكذا الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣٨٠/٣٨)، والشيخ مشهور في «المجالسة» (١٦١/٥).

(٢) الغموس: الكاذبة. وسميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار، إلا أن يعفو العزيز الغفار.

❦ [٤٣] باب: ما جاء فيمن لم يَقْنَعْ بالحلف بالله ❦

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَحْلِفُوا بآبَائِكُمْ. مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصِدِّقْ؛ وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ؛ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ» رواه ابن ماجه بسند حسن ^(١).

❦ فيه مسائل:

- الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.
 الثانية: الأمر للمحلف له بالله أن يرضى.
 الثالثة: وعيد من لم يَرْضَ ^(٢).



(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١٠١)، والبيهقي في «الكبرى» (١٨١/١٠)، وحسنه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥٣٥/١١)، وقال الإمام البوصيري في «الزوائد»: «رجاله ثقات»، وصححه الشيخ الألباني ثم، وقواه الشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضًا - (٢٤٠/٣).

(٢) وهذا والذي قبله يراد منه: مع من لم يكن معلومًا بالكذب، فإن كان معلومًا بالكذب فلا يُصَدَّقُ مهما حلف؛ إلا أن يظهر صدقه.

[٤٤] باب: قول: «ما شاء الله وشئت»

عن قتيلة [رضي الله عنه]: أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة»، وأن يقولوا: «ما شاء الله ثم شئت». رواه النسائي وصححه (١).

وله - أيضًا - عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلني لله ندًا؟! [بل] ما شاء الله وحده» (٢).

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٧٢/٦)، والنسائي (٣٧٧٣)، وفي «الكبرى» (٤٦٩٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٣٠٩/٨)، والطبراني في «الكبير» (٥/٢٥)، والحاكم (٢٩٧/٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٤٠٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣٨)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٧٨١٥)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكذا الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٧٩/٨)، والشيخ الألباني عند النسائي، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٤٣/٤٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٨٣/١)، وابن أبي شيبة (٣٤٦/١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٩)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨)، وابن ماجه - بلفظ مغاير - (٢١١٧)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣٥)، والطبراني في «الكبير» (١٣٠٠٦)، والبيهقي (٢١٧/٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩٩/٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١٢٨/٣)، وصححه الشيخ الألباني عند ابن ماجه، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣٣٩/٣).

ولابن ماجه عن الطفيل - أخي عائشة لأُمها - قال: رأيتُ^(١) كأني أتيتُ على نفرٍ من اليهود، قلتُ: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزيزُ ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررتُ بنفرٍ من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيحُ ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: «هل أخبرتَ بها أحداً؟»، قلت: نعم. قال: فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن طفيلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها^(٢)، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده^(٣)».

(١) يعني في المنام.

(٢) أي: كان يمنعه الحياء - كما ورد في روايةٍ أخرى -، وهذا الحياء منه ﷺ ليس حياءً من الإنكار عليهم؛ بل كان ﷺ يكرهها، لكن يستحي أن يذكرها؛ لأنه لم يؤمر بإنكارها، فلما جاء الأمر الإلهي بالرؤيا الصالحة أنكرها، ولم يستح في ذلك. أفاده في «تيسير العزيز الحميد» (٥٢٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٧٢/٥)، والبخاري - معلقاً - في «التاريخ الكبير» (٣٦٣/٤)، وابن ماجه (٢١١٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٧٤٣)، وابن قانع في «معجمه» (٥٠/٢)، والحاكم (٤٦٣/٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢٢/٧)، والخطيب في «موضح الأوهام» (٣٠٣/١)، والحازمي في «الاعتبار» ص (٢٤٢)، والطبراني في «الكبير» (٨٢١٤)، من حديث الطفيل بن سخرية رضي الله عنه، وقال الإمام البوصيري في «زوائد =

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى^(١).

الثالثة: قوله ﷺ: «أجعلتني لله ندًّا؟»، فكيف بمن قال:

يا أكرمَ الخلقِ مَنْ لي أُلُوذُ بهِ سواكَ عند حلولِ الحادثِ العممِ

والبيتين بعده^(٢)!

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: «يمنعني كذا وكذا».

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.



= ابن ماجه: «رجاله ثقات على شرط البخاري». وصححه الشيخ الألباني

عند ابن ماجه، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٢٩٦/٣٤).

(١) أي: إذا كان له هوى في شيء فهمه.

(٢) سيأتي الكلام عليه في: «بيان المحجة في الرد على صاحب اللجة».

❁ [٤٥] باب: من سَبَّ الدهر فقد آذى الله ❁

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجمانية].

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال تعالى: يؤذيني ابنُ آدم؛ يَسُبُّ الدهر، وأنا الدهر؛ أَقْلُبُ الليل والنهار». وفي رواية: «لا تَسُبُّوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سَبِّ الدهر.

الثانية: تسميته: أَذَى لِلَّهِ^(٢).

الثالثة: التأمل في قوله: «فإن الله هو الدهر».

الرابعة: أنه قد يكون سَابًّا، ولو لم يقصده بقلبه.



(١) رواه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) والأذى من ناحية أن السابَّ يُسمَّعُه تعالى ما يُغضبه ويكرهه.

﴿ ٤٦ ﴾ باب: التسمي بـ«قاضي القضاة» ونحوه

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن أخنع اسم عند الله رجلٌ تسمَّى: «مَلِكُ الأملاك». لا مالك إلا الله».

قال سفيان: مثل «شاهان شاه».

وفي رواية: «أغيظُ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبثُهُ»^(١).
قوله: «أخنع»: يعني: أوضع^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمي بـ«مَلِكُ الأملاك».

الثانية: أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لإجلال الله سبحانه.



(١) رواه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣).

(٢) أي: أشد اتضاعاً وحقارةً.

❦ [٤٧] باب: احترام أسماء الله تعالى، ❦

وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح أنه كان يُكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم». فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: «ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟». قال: شريح ومسلم وعبد الله. قال: «فمن أكبرهم؟»، قلت: شريح. قال: «أنت أبو شريح». رواه أبو داود وغيره ^(١).

فيه مسائل:

الأولى: احترام أسماء الله وصفاته، ولو كلامًا لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.



(١) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٢/٨)، وفي «الأدب المفرد» (٨١١)، وأبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧)، وفي «الكبرى» (٥٩٠٧)، وابن جبان (٥٠٤)، والحاكم (٢٤/١)، والدولابي في «الكنى» (٧٤/١)، والبيهقي في «الكبرى» (١٤٥/١٠)، وفي «الأسماء والصفات» (١٣٤)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٣٧٤٩)، وصححه الشيخ الألباني عند أبي داود، وجوّده الشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضًا - (٣٠٩/٧).

[٤٨] باب: من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٦٥] [التوبة].

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب أسنًا، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء^(١)». فقال له عوف ابن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ - وقد ارتحل وركب ناقته -، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض، ونحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة^(٢) ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ: «﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٦٥] لَا تَعْدِرُوا فَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة]»، ما يلتفت إليه وما يزيده عليه^(٣).

(١) القراء: العلماء.

(٢) النسعة: التي تُربط على صدر البعير.

(٣) حسن: رواه الطبري في «تفسيره» (١١٩/١٠)، وابن أبي حاتم (٦٤/٤)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي في «الصحيح =

فيه مسائل:

الأولى - وهي العظيمة -: أن من هزل بهذا أنه كافر.

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة، وبين النصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبُّه الله، وبين الغلظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل.



﴿٤٩﴾ باب: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ رَحْمَةً﴾

مَنَا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّتَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ [فصلت]

□ قال مجاهد: «هذا بعلمي، وأنا محقوقٌ به»^(١).

□ وقال ابن عباس: «يريد: من عندي».

وقوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].

□ قال قتادة: «على علمٍ مني بوجوه المكاسب».

□ وقال آخرون: «على علمٍ من الله أني له أهل».

□ وهذا معنى قول مجاهد: «أوتيته على شرف».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى؛ أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لونٌ حسن، وجلدٌ حسن، ويذهب عني الذي قد قذرنى الناس به» قال: «فمسحه، فذهب عنه قذره، فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر - شك إسحاق -، فأعطي ناقه عشاء»^(٢)، وقال: بارك الله لك فيها.

قال: «فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعرٌ حسن،

(١) أي: أستحقه.

(٢) عشاء: التي تمّ لحملها عشرة أشهر.

ويذهب عني الذي قد قَدَرَنِي الناس به ^(١). فمسحه، فذهب عنه، وأُعطي شعراً حسناً، فقال: أي المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأُعطي بقرَةً حاملاً، وقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى، فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: أن يرُدَّ الله إليَّ بصري فأبصرَ به الناس. فمسحه، فردَّ الله إليه بصره، قال: فأَيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأُعطي شاةً والدًا.

فأنتج هذان، وولَدَ هذا؛ فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

قال: «ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين؛ قد انقطعت بي الحال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بغيراً أتبلغُ به في سفري. فقال: الحقوقُ كثيرة. فقال: كأني أعرفُك، ألم تكن أبرص يقدرُك الناس فقيراً، فأعطاك الله ﷻ المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المالَ كابرًا عن كابر. فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنتَ.

وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثلما قال لهذا، ورد عليه مثلما رد عليه هذا. فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنتَ.

قال: «وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجلٌ مسكين وابن سبيل،

(١) قد يقول قائل: معلومٌ أن «الصَّلَع» أمرٌ قَدَرِي يصيب كثيرًا من الرجال، فكيف يستقدر الناس إنسانًا لا شعر له؟

والجواب: أن المراد من الحديث القَرَع الذي يصيب بعض أجزاء الرأس لمرضٍ أو نحوه، وليس الصلع المعهود المعتاد. والله تعالى أعلم.

قد انقطعت بي الجبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنتُ أعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيءٍ أخذته لله. فقال: أمسك مالك؛ فإنما ابتليتم؛ فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك». أخرجاه^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾؟

الثالثة: ما معنى قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾؟

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.



❦ [٥٠] باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا

لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَهُمَا فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف]

□ قال ابن حزم: «اتفقوا على تحريم كل اسم معبدٍ لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك؛ حاشا عبد المطلب».

□ وعن ابن عباس في الآية قال: «لما تغشاها آدم حملت، فأتاها إبليس، فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني، أو لأجعلن له قَرْنَيَّ أُيِّل^(١)، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن - يخوفهما -، سمّياه: عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاها، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا. ثم حملت فأتاها، فذكر لهما، فأدركهما حبُّ الولد، فسَمّياه: عبد الحارث؛ فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]». رواه ابن أبي حاتم^(٢).

□ وله - بسندٍ صحيح - عن قتادة قال: «شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته».

□ وله - بسندٍ صحيح - عن مجاهدٍ في قوله: ﴿لَٰكِنْ ءَاتَيْنَا صَٰلِحًا﴾،

(١) الأيِّل: كالتَّيس.

(٢) الله أعلم بصحة السند. وإن صح فهو من الإسرائيليات. وسيأتي مرفوعاً - أيضاً - بسند ضعيف.

وانظر - مشكوراً - تعليقي على «دعوة التوحيد» للعلامة محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللهُ، تحت فصل: «قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَام».

قال: «أشفقاً ألا يكون إنساناً»^(١).

وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم معبّد لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تُقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في

العبادة.



(١) راجع - أيضاً - ما قلته عن هذا في الموضع السابق.

❦ [٥١] باب: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ❦

□ ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: «يشركون».

□ وعنه: «سَمَّوُا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعُزَّىٰ مِنَ الْعَزِيزِ».

□ وعن الأعمش: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا».

❦ فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

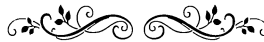
الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.



❁ [٥٢] باب: لا يقال: «السلام على الله» ❁

في «الصحيح» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان؛ فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا: السلام على الله؛ فإن الله هو السلام»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.



(١) رواه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

❦ [٥٣] باب: قول: «اللهم اغفر لي إن شئت» ❦

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكرة له».

ولمسلم: «وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»^(١).
 فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: «ليعزم المسألة».

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.



(١) رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

❁ [٥٤] باب: لا يقول: «عَبْدِي، وَأَمْتِي» ❁

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أَطْعَمَ رَبِّكَ، وَضَّى رَبِّكَ؛ وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول: «عبدِي، وأمتِي».

الثانية: لا يقول العبد: «رَبِّي»، ولا يقال له: «أطعم ربك».

الثالثة: تعليم الأول قول: «فتاي، وفتاتي، وغلامي».

الرابعة: تعليم الثاني قول: «سيدي، ومولاي».

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.



❦ [٥٥] باب: لا يُردُّ من سأل بالله ❦

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيزُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تَكْفُتُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنْكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ». رواه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح ^(١).

❦ فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.

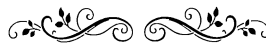
الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة على الصنعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: «حتى تروا أنكم قد كافأتموه».



(١) صحيح: رواه أحمد (٩٩/٢)، والطيالسي (١٨٩٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٦)، وأبو داود (٥١٠٩)، والنسائي في «الكبرى» (٢٣٤٨)، وفي «المجتبى» (٢٥٦٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥٦/٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٢١)، وابن حبان (٢٣٧٥)، والحاكم (٤١٢/١)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (٢٣٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢/٣١٣)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكذا الإمام النووي في «رياض الصالحين» (١٧٢١)، وصححه الشيخ الألباني في السنن، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٢٦٦/٩).

❦ [٥٦] باب: لا يُسأل بوجه الله إِلَّا الجنة ❦

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُسأل بوجه الله إِلَّا الجنة». رواه أبو داود^(١).

❦ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يُسأل بوجه الله إِلَّا غاية المطالب.
الثانية: إثبات صفة الوجه.



(١) ضعيف: رواه أبو داود (١٦٧١)، والفسوي في «المعرفة» (٤٦٥/٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢٥٧/٣)، والخطيب في «موضح الأوهام» (٣٥٢/١)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (٨٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٩٩/٤)، وفي «الشعب» (٣٢٥٩)، وفي «الأسماء والصفات» (٦٦١)، وضعّفه الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضًا - (١٠٣/٣).

❁ [٥٧] باب: ما جاء في «اللو» ❁

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨].
في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»^(١).

❁ فيه مسائل:

- الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.
- الثانية: النهي الصريح عن قول: «لو» إذا أصابك شيء^(٢).
- الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.
- الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.
- الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع، مع الاستعانة بالله.
- السادسة: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.



(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) وهذا إذا قيلت على وجه الاعتراض على القضاء والقدر. أما إذا قيلت على وجه الندم، أو لربط شرط بجوابه ونحو ذلك، فلا بأس.

[٥٨] باب: النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبُّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمِرْتُ به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمِرْتُ به». صححه الترمذي ^(١).

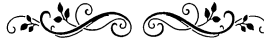
❦ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.



(١) صحيح: رواه أحمد (١٢٣/٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٩)، والترمذي (٢٢٥٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٠٣)، والحاكم (٢/٢٧٢)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٩١٨)، والخراطي في «مكارم الأخلاق» (١٠٠٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٦٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٨)، وابن أبي الدنيا في «المطر والرعد» (١٢٨)، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكذا الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٧٥/٣٥).

﴿٥٩﴾ باب: قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران]

﴿٥٩﴾

﴿٥٩﴾

وقوله: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّ عَلَى دَائِرَةِ السَّوِّ﴾ [الفتح: ٦].

□ قال ابن القيم في الآية الأولى: فُسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل. وفُسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته؛ فُسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يَتَمَّ أمرُ رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله؛ وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح. وإنما كان هذا ظنَّ السوء؛ لأنه ظنُّ غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعدده الصادق.

فمن ظن أنه يُدِيلُ^(١) الباطل على الحق إدالةً مستقرةً يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قَدَرَهُ لحكمةٍ بالغةٍ يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئةٍ مجردةٍ = فذلك ظن الذين كفروا، ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ لَمَشِيئَةٍ مَجْرَدَةٍ﴾ [ص].

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسَلِّمُ من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموَجَّبَ حكمته وحمده.

فليعتن اللبيبُ الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره

من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشتَ مَنْ فتشتَ لرأيتَ عنده تعنتًا على القَدَر وملامةً له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقلٌّ ومستكثر. وفتّش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عزيمةٍ وإلا فإني لا إخالك ناجيا^(١)
فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواعٌ لا تُحصَر.

الرابعة: أنه لا يسلّم من ذلك إلا من عَرَف الأسماء والصفات،
وعرف نفسه.



❦ [٦٠] باب: ما جاء في منكري القدر ❦

□ وقال ابن عمر: «والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثلُ أُحُد ذهبًا، ثم أنفقَه في سبيل الله، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالله القدر».

ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمانُ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». رواه مسلم^(١).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني، إنك لن تجدَ طعمَ الإيمان حتى تعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيءٍ حتى تقوم الساعة». يا بني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مات على غير هذا فليس مني».

وفي روايةٍ لأحمد: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب. فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»^(٢).

(١) رواه مسلم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣١٧/٥)، والطيالسي (٥٧٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)،

والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وابن أبي شيبة (١١٤/١٤)، وابن أبي عاصم

في «السنة» (١٠٧)، والشاشي في «مسنده» (١١٩٢)، والآجري في

«الشرعية» (١٨٠)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١٩١/٢)، واللالكائي

في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣٥٧)، من حديث عبادة بن

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، أحرقه الله بالنار»^(١).

وفي «المسند» و«السنن» عن ابن الديلمى قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء؛ لعل الله يذهب به من قلبي. فقال: «لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار».

قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت؛ فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيح. رواه الحاكم في «صحيحه»^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

= الصامت رحمه الله. وقال الإمام الترمذي في الموضع الأول: «غريب من هذا الوجه». وفي الثاني: «حسن صحيح غريب»، وصححه الشيخ الألباني ثم. والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣٧٨/٣٧).

(١) حسن: رواه ابن وهب في «القدر» (٢٦)، ويشهد له ما قبله، كما قال الشيخ دغش العجمي في تحقيق كتاب «التوحيد» ص (٣١٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤٦٥/٣٥)، وابن أبي شيبة (١٠٥/١)، وعبد بن حميد (٢٤٧)، والطيالسي (٦١٩)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وابن حبان (٧٢٧)، والطبراني في «الكبير» (١٦٠/٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠١/١٠)، وفي «الشعب» (١٧٩)، وصححه الشيخ الألباني عند أبي داود، وقواه الشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضاً - (٨٥/٧).

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة: الإخبار أن أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به .

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله .

السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة .

السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به .

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يُزيل شبهته؛ وذلك أنهم نسبوا

الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط^(١) .



(١) فالقلب الصادق بمجرد ما يأتيه الأمر من ربه العظيم ﷻ ونبيه الأمين ﷺ يفرح ويسلم .

❁ [٦١] باب: ما جاء في المصوّرين ❁

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي! فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً^(١)، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً». أخرجاه ^(٢).

ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون^(٣) بخلق الله» ^(٤).

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلُّ مصوِّرٍ في النار، يُجعل له بكل صورةٍ صَوَّرَهَا نفسٌ يُعَذَّبُ بها في جهنم» ^(٥).

ولهما عنه مرفوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُفِّ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ» ^(٦).

ولمسلم عن أبي الهيثاج قال: قال لي عليٌّ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ «أَلَا تَدْعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا» ^(٧)، وَلَا قَبْرًا

(١) الذرة: النملة.

(٢) رواه البخاري (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).

(٣) يضاهئون: يشابهون.

(٤) رواه البخاري (٥٩٥٤).

(٥) رواه مسلم (٢١١٠).

(٦) رواه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).

(٧) الطمس: المحو. وقد جاءت الشريعة بمحو الوجه على الأقل.

مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ^(١)»^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصوِّرين.

الثانية: التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله، لقوله: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي!». .

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم؛ لقوله: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً».

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذب بها المصوِّر في جهنم.

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.



(١) ليس المراد بالتسوية الإلصاق بالأرض، بل كما قال أهل العلم: لا بد أن يكون القبر مرفوعًا - ولو شبرًا - حتى لا تُنتهك حُرْمَتُهُ، ويُعرف أنه قبر المسلم.

(٢) رواه مسلم (٩٦٩).

[٦٢] باب: ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقة للسَّلعة، مَمْحَقَةٌ للكسب». أخرجاه ^(١).

وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يُكَلِّمُهُمُ الله، ولا يَزَكِّيهِم، ولهم عذابٌ أليم: أَشِيمُطُ زَانٍ ^(٢)، وعائلٌ مستكبر ^(٣)، ورجلٌ جعل الله بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه». رواه الطبراني بسندٍ صحيح ^(٤).

وفي «الصحيح» عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟ -، ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا

(١) رواه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

(٢) الأشيمط: العجوز.

(٣) العائل: الفقير.

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» (٢٤٦/٦)، وفي «الأوسط» (٥٥٧٧)، وفي «الصغير» (٨٢١)، والبيهقي في «الشَّعْب» (٤٥١١)، وقال الإمام المنذري في «الترغيب» (٥٨٧/٢): «رواته محتجٌّ بهم في الصحيح»، وبنحوه قال الهيثمي في «المجمع» (٨٧/٧)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٨٨)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٩٢/٩).

يُؤْفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ^(١)»^(٢).

وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال: «خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قومٌ تسبقُ شهادةُ أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»^(٣).

□ وقال إبراهيم: «كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار»^(٤).

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي^(٥).

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يُستحلفون.

السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة - أو الأربعة -، وذكر ما

يحدث بعدهم.

(١) والسَّمَنُ المذموم هو ما كان ثمرة الجشع على الدنيا، وليس الخَلْقِي؛ فإننا رأينا كثيرًا من الصالحين يتصفون بالسمنة.

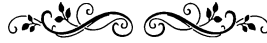
(٢) رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٣) رواه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٤) المراد: عدم الإكثار منهما بلا ضابط.

(٥) كحال العجوز الزاني؛ لأن داعي الزنا ضعف بشدة فيه، فلذلك لما زنا فإنما فعل ذلك عنادًا وجراءةً وحبًا في المعصية. نعوذ بالله تعالى من سوء الكبر.

السابعة: ذمُّ الذين يشهدون ولا يستشهدون.
الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.



❁ [٦٣] باب: ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ﷺ ❁

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا^(١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل].

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أَمَرَ أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، ومَن معه من المسلمين خيرًا؛ فقال: «اغزوا بسم الله في سبيل الله. قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ. اغزُوا، وَلَا تَغْلُوا^(٢)، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا. وإذا لقيت عدوَّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال -، فأَيَّتْهُنَّ ما أجابوك فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين؛ يجري عليهم حكمُ الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء؛ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا فاسألهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم. فإن هم أبوا فاستعين بالله وقَاتِلْهُمْ.

وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تُخَفِّرُوا^(٣) ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن

(١) كفيلًا: شهيدًا بالوفاء.

(٢) الغلول: السرقة من الغنائم.

(٣) تُخَفِّرُوا: تَنْقُضُوا.

تُخَفَرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ.

وَإِذَا حَاصَرَتْ أَهْلَ حَصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلَهُمْ، وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لَا؟». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وبين ذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: «اغزوا بسم الله في سبيل الله».

الرابعة: قوله: «قاتلوا من كفر بالله».

الخامسة: قوله: «استعن بالله وقاتلهم».

السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟



❀ [٦٤] باب: ما جاء في الإقسام على الله ❀

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله ﻋَزَّ وَجَلَّ: من ذا الذي يتألى عليّ^(١) ألا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحببتُ عملك». رواه مسلم^(٢).

وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجلاً عابداً.
قال أبو هريرة: «تكلم بكلمة أوبقت^(٣) دنياه وآخرته»^(٤).

❀ فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة...»^(٥) إلخ.

(١) يتألي: يُقسم.

(٢) رواه مسلم (٢٦٢١).

(٣) أوبقت: أهلكت.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢٢٣/٢)، وابن المبارك في «الزهد» (٩٠٠)، وأبو داود (٤٩٠١)، وابن حبان (٥٧١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٦٨٩)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٤٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٣٢٦/١٣)، وصححه الشيخ الألباني عند أبي داود، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٤٧/١٤)، وفي «سنن أبي داود» (٢٦٢/٧).

(٥) رواه البخاري (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨).

الخامسة: أن الرجل قد يُغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه .



= وتماه: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يُلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يُلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم».

❦ [٦٥] باب: لا يُستشفع بالله على خلقه ❦

عن جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، نُهِكْتُ ^(١) الأنفُسُ، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسقِ لنا ربَّكَ؛ فإننا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ: «سبحان الله! سبحان الله!»، فما زال يسبِّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك! أتدري ما الله؟ إِنَّ شَأْنَ الله أعظمُ من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله على أحد...» وذكر الحديث، رواه أبو داود ^(٢).

❦ فيه مسائل:

الأول: إنكاره على من قال: «نستشفع بالله عليك» ^(٣).

(١) نُهِكْتُ: ضعفت.

(٢) محتملٌ للتحسين: رواه أبو داود (٤٧٢٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص (٢٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص (١٤٧)، ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٨٤)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤٧)، والبخاري في «شرح السنة» (٩٢)، والآجُرِّي في «الشریعة» (٦٦٧)، والذَّارِقُطْنِي في «الصفات» (٣٦)، وابن منده في «التوحيد» (٦٤٣)، وقَوَّاه الإمام ابن تيمية في «الفتاوى» (١٦/٤٣٥)، وحسَّنه ابن القيم في «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٢٠٩)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٦٣٩)، والشيخ شعيب الأرناؤوط عند أبي داود (١٠٧/٧).

(٣) ومثل هذا ما يجري على ألسنة بعض جهلاء العوام؛ حينما يقول أحدهم في أمر يريد من آخر قضاءه: «واسطتي هو الله!» وهذا كلامٌ باطلٌ لا =

- الثانية: تغيّره تغيّراً عُرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.
- الثالثة: أنه لم يُنكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله».
- الرابعة: التنبيه على تفسير «سبحان الله»^(١).
- الخامسة: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء.



= يليق بالله ﷻ. وإلا فكيف يتوسط ربّه العالمين ﷻ عند مخلوق في بعض حاجات آخر؟! (١) يقصد أنها تفيد التنزيه والإجلال والتعظيم.

❦ [٦٦] باب: ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، ❦ وسدّه طُرُق الشرك

عن عبد الله بن الشَّخِير رضي الله عنه قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ؛ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «السيدُ الله ﷻ». قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طُؤلاً^(١). فقال: «قولوا بقولكم - أو بعض قولكم -، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكم الشيطان^(٢)». رواه أبو داود بسندٍ جيد^(٣).

وعن أنس رضي الله عنه: أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا. فقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يَسْتَهْوِينَكُم الشيطان^(٤)». أنا محمدٌ عبدُ الله ورسوله. ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ». رواه النسائي بسندٍ جيد^(٥).

(١) الطُّول: الإحسان.

(٢) يَسْتَجْرِيَنَّكُم: يسحبَنَّكُم إلى طرق الهلاك.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٥/٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٠٣)، وفي «عمل اليوم» (٢٤٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤٨٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٣٤/٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٣)، وفي «الآداب» (٤١٧)، و«الدلائل» (٣١٨/٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٢٣٨/٢٦).

(٤) يَسْتَهْوِينَكُم: يسقطنكم في الباطل.

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢٤٩/٣)، وعبد بن حميد (١٣٠٩)، والبخاري في «التاريخ الأوسط» (١١/١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٠٦)، وفي =

فيه مسائل:

الأولى: تحذيره [ﷺ] الناس من الغلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول: من قيل له: «أنت سيدنا».

الثالثة: قوله: «لا يستجريَنَّكم الشيطان»، مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي».



= «عمل اليوم» (٢٤٨)، وابن حبان (٦٢٤٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/٤٩٨)، والضياء في «المختارة» (١٦٢٦)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٦/٢٥٢)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٤٥٢٩)، وفي «المدخل» (٥٣٦)، وصَحَّحه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٢٤/٢٠)، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٩٧).

﴿ ٦٧ ﴾ باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ ﴾

حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ
مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ ١٧ ﴾ [الزمر]

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء خبرٌ من الأحرار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد^(١) أن الله يجعل السماوات على إصبع^(٢)، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر. ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾». وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزُّهن فيقول: أنا الملك، أنا الله».

وفي رواية للبخاري: «يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع». أخرجاه^(٣). ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»^(٤).

(١) يعني في توراتهم.

(٢) أي: من أصابعه ﷺ.

(٣) رواه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٤) رواه مسلم (٢٧٨٨).

□ وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرَّحْمَنِ إِلَّا كخردلة»^(١) في يد أحدكم».

وقال ابن جرير: حدثني يونس: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إِلَّا كدراهم سبعة أُلْقِيَتْ في تُرْس»^(٢).

وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إِلَّا كحلقة من حديد أُلْقِيَتْ بين ظهري فلاة من الأرض»^(٣).

□ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خَمْسُمِئَةِ عام، وبين كل سماءٍ وسماء خَمْسُمِئَةِ عام، وبين السماء السابعة والكرسي خَمْسُمِئَةِ عام، وبين الكرسي والماء خَمْسُمِئَةِ عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم».

أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله. ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله.

(١) الخردلة: نبات صغير الحَب.

(٢) ضعيف: رواه الطبري في «تفسيره» (٥٣٩/٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٢٠)، وفيه ضعف وإعصال. والله تعالى أعلم.

(٣) صحيح: رواه ابن حبان (٣٦١)، وابن عدي في «الكامل» (٢٦٩٩/٧)، والبيهقي في «السنن» (٤/٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٨/١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٥٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦١)، وضعفه جدًّا الشيخ شعيب الأرناؤوط عند ابن حبان (٧٧/٢)، بينما صحَّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٩).

قاله الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. قال: «وله طرق».

وعن العباس بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «بينهما مسيرة خَمْسِمِئَةِ سنة، ومن كل سماءٍ إلى سماءٍ مسيرة خَمْسِمِئَةِ سنة، وكَثُفُ كل سماءٍ مسيرة خَمْسِمِئَةِ سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحرٌ بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. واللهُ تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيءٌ من أعمال بني آدم». أخرجه أبو داود وغيره (١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقيةٌ عند اليهود الذين في زمنه ﷺ، لم ينكروها، ولم يتأولوها.

(١) ضعيف: رواه أحمد (٢٠٧/١)، وأبو داود (٤٧٣٢)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وابن أبي شيبة في «العرش» (١٠)، وأبو يعلى (٦٧١٣)، والحاكم (٥٠١/٢)، وابن طهمان في «مشيخته» (١٨)، والآجري في «الشريعة» (٦٦٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٤٧)، والجورقاني في «الأباطيل» (٧٧/١)، واللالكائي في «شرح الاعتقاد» (٦٤٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٣٤/١)، من حديث العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الإمام الترمذي: «حسن غريب»، وصحَّحه الحاكم، وتعقبه الذهبي في الموضع الأول، ثم وَهِم في موضع آخر، وقال: «قد مرَّ، وهو صحيح»! وضعَّفه الشيخ الألباني في السنن، و«الضعيفة» (١٢٤٧)، والشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق «المسند» (٢٩٢/٣).

الثالثة: أن الحبر لما ذكرها للنبي ﷺ صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ؛ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: «كخر دلة في كف أحدكم».

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء.

العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمئة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات أسفله وأعلاه مسيرة

خمسمئة سنة.

والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى
آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.



[٢]

كشف الشبهات

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

📖 [حقيقة التوحيد، وإقرار الكفار بتوحيد الربوبية]:

اعلم - رحمك الله - أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام؛ أرسله الله إلى قومه لما غلّوا في الصالحين: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر.

وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي كسر صور^(١) هؤلاء الصالحين^(٢)، أرسله الله إلى أناس يتعبدون، ويحجّون، ويتصدّقون، ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله؛ يقولون: «نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده»، مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يجدّد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله؛ لا يصلح منه شيء لا لملكٍ مقرب، ولا نبيٍّ مرسل - فضلاً عن غيرهما -، وإلا

(١) يعني تماثيل.

(٢) ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قَدِم [مكة] أبقى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قاتلهم الله، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط». فدخل البيت، فكبر في نواحيه، ولم يصل فيه. رواه البخاري (١٦٠١).

وانظر: «البداية والنهاية» (٥٤٥/٦ - ط: هجر، في دخوله صلى الله عليه وسلم مكة).

فهؤلاء المشركون مقرُّون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبّر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن، والأرضين ومن فيهن، كلُّهم عبيده، وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين - الذين قاتلهم رسول الله ﷺ - يشهدون بهذا، فاقراً قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴾ [يونس].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٤ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٨٥ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ٨٦ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوْبُ﴾ ٨٧ ﴿قُلْ مَنْ يَدْبِرُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُخْبِرُ وَلَا يُجَاوِزُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٨ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ ٨٩ [المؤمنون]. وغير ذلك من الآيات.

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا، وأنه لم يُدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة، الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد»، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات^(١)، أو نبياً مثل عيسى.

وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا

(١) وهو رجلٌ كان يلتُ السَّويق - نوعٌ من الطعام - للحجيج، كما تقدم.

تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا^(١) ﴿١٨﴾ [الجن]، وكما قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ^(٢) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله.

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم:

عرفت^(٣) حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.

(١) قال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله المؤمنين أن يُخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد. وأراد بها المساجد كلها» اهـ.

وقال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أراد بها البقاع كلها؛ لأن الأرض جعلت كلها مسجداً للنبي ﷺ» اهـ.

وقال سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المراد بالمساجد: الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان؛ وهي سبعة: الجبهة، واليدان، والركبتان، والقدمان؛ فهذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله؛ فلا تسجدوا عليها لغيره» اهـ.

انظر في كل ما سلف: «تفسير البغوي» عند الآية الكريمة.

(٢) ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾: دعوة التوحيد والإخلاص لله تعالى لا شريك له، فهي - وحدها - دعوة الحق، وما سواها دعاوى باطلة فاسدة.

(٣) هذا جواب الشرط لقوله السالف: «فإذا تحققت...» إلخ.

وهذا التوحيد هو معنى قولك: «لا إله إلا الله»؛ فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور، سواءً كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجرةً، أو قبراً، أو جنياً؛ لم يريدوا أن «الإله» هو الخالق الرازق المدبر؛ فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده - كما قدمت لك -، وإنما يعنون بـ«الإله» ما يعني المشركون في زماننا بلفظ «السيد»، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد؛ وهي «لا إله إلا الله».

والمراد من هذه الكلمة معناها - لا مجرد لفظها -، والكفار الجاهل يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو أفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يُعبد من دونه، والبراءة منه؛ فإنه لما قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله»؛ قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: (١)].

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجبُ ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرفُ من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار؛ بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب لشيءٍ من المعاني! والحاذاق منهم يظن أن معناها: «لا يخلق ولا

(١) المعنى العام صحيح. وقد ورد حديثٌ في سبب نزول الآية خاصةً، لكنه ضعيف: رواه أحمد (٢٢٧/١)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٣٦)، والطبري في «التفسير» (١٢٥/٢٣)، وابن حبان (٦٦٨٦)، والحاكم (٤٣٢/٢)، والواحدي في «أسباب النزول» ص (٢٤٦)، وأبو يعلى (٢٥٨٣)، من حديث ابن عباس رضيهما. وحسنه الترمذي، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، بينما ضعفه الشيخ الألباني عند الترمذي، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٤٥٨/٣). وسيأتي حديث آخر من رواية ربيعة بن عباد رضي الله عنه في (٣٥٧/١).

يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله»، فلا خير في رجلٍ جهالٍ الكفار أعلم منه بمعنى «لا إله إلا الله»!

إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾ الآية [النساء: ٤٨]، وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس].

[الثانية]: وأفادك - أيضاً -: الخوف العظيم؛ فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل، فلا يُعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله - كما ظن المشركون -؛ خصوصاً إن ألهمك الله ما قصّ عن قوم موسى - مع صلاحهم وعلمهم - أنهم أتوه قائلين: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] = فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقد يكون لأعداء التوحيد علومٌ كثيرة وكتبٌ وحجج، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣]. فإذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء

قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج = فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك، تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك ﷺ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦) ثُمَّ لَا تَبْتَهُهُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ [الأعراف]. ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حجج الله وبياناته، فلا تخف ولا تحزن، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦) [النساء].

والعامي من الموحدين يَغْلِبُ الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٧٣) [الصفات]، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح. وقد منّ الله علينا بكتابه، الذي جعله ﴿تَيْنَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨١) [النحل]، فلا يأتي صاحب باطل بحجة، إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبيّن بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣) [الفرقان] (١).

□ قال بعض المفسرين: «هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها

(١) وبحمد الله جَلَّ ثَنَاهُ وإحسانه وصيانتَه لدينه؛ فإن كل حجة يحتج بها مُبطل على باطله، ترى في نفس حجته ما يردُّ باطله عليه.

■ يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «ما احتج أحدٌ بدليل سمعي أو عقلي على باطل، إلا وذلك الدليل إذا أُعطي حقه، وميّز ما يدلُّ عليه مما لا يدلُّ = تبين أنه يدلُّ على فساد قول المُبطل المُحتج به؛ وأنه دليل لأهل الحق، وأن الأدلة الصحيحة لا يكون مدلولها إلا حقاً، والحق لا يتناقض؛ بل يُصدّق بعضه بعضاً. والله أعلم» اهـ. «مجموع الفتاوى» (٢٩/٨).

أهل الباطل إلى يوم القيامة».

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه، جوابًا لكلامٍ احتج به المشركون في زماننا علينا.

فنقول: جوابُ أهل الباطل من طريقتين: مجمل، ومفصل:

أما المجمل: فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلها؛ وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَّى اللَّهُ فاحذروهم»^(١).

مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس]، أو أن الشفاعة حق، أو أن الأنبياء لهم جاهٌ عند الله، أو ذكر كلامًا للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره = فجأوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغٌ يتركون المحكم، ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرؤون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، هذا أمرٌ محكمٌ بيّن لا يقدر أحدٌ أن يغيّر معناه، وما ذكرته لي - أيها المشرك - من القرآن أو كلام رسول الله ﷺ، لا أعرف معناه. ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا

(١) رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها.

يخالفُ كلام الله ﷻ.

وهذا جوابٌ جيدٌ سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله، فلا تستهن به؛ فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت].

وأما الجواب المفصل: فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدّون بها الناس عنه:

منها قولهم: نحن لا نشرك بالله؛ بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا - فضلا عن عبد القادر^(١) أو غيره -، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاء عند الله، وأطلب من الله بهم.

فجاوبه بما تقدم؛ وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئا، وإنما أرادوا منها الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكره الله في كتابه ووضحه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناما؟

فجاوبه بما تقدم؛ فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن إذا أراد أن يفرّق بين فعلهم وفعله بما ذكر، فاذكر له أن الكفار: منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ...﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]،

(١) يعني الإمام عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ اللهُ.

ويدعون عيسى ابن مريم وأمه .

وقد قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ مِنَ الطَّعَامِ أَنْظِرْ كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ
ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْتَ يُؤْفَكُونَ^(١)﴾ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ [المائدة].

واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَايَ إِنَّا كُمْ
كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِجِنِّ
أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبا].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ
كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
﴿٣٣﴾﴾ [المائدة].

وقل له: عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام، وكفر - أيضًا -
من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ.

فإن قال: الكفار يريدون منهم^(٢)، وأنا أشهد أن الله هو النافع
الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر
شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء. واقرأ عليه قوله
تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ
إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]. وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ

(١) ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحق.

(٢) أي: يطلبون من الأصنام النفع والضرر.

شَفَعْتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿ [يونس: ١٨].

واعلم أن هذه الشُّبَّة الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله وَضَحَّها في كتابه، وفهمتها فهمًا جيدًا، فما بعدها أيسرُ منها. فإن قال: أنا لا أعبدُ إلا الله، وهذا الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة.

فقل له: أنت تقرُّ أن الله افترض عليك إخلاصَ العبادة لله؟ فإذا قال: نعم. فقل له: بيِّن لي هذا الذي فرضه الله عليك، وهو إخلاص العبادة لله، وهو حقُّه عليك؟ فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبيِّنْها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف].

فإذا أعلمته بهذا، فقل له: هل علمت هذا عبادةً لله؟ فلا بد أن يقول: نعم، و«الدعاء مُخُّ العبادة»^(١)، فقل له: إذا أقررت أنها

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٣٧١)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٢٠)، وفي «الدعاء» (٨)، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الإمام الترمذي: «غريب»، وأقرَّه الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢٩٨/١)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٠٠٣)، والشيخ شعيب الأرناؤوط عند الترمذي (٦/٦).

واللفظ الثابت: «الدعاء هو العبادة». صحيح: رواه أحمد (٢٦٧/٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤)، وأبو داود (١٤٧٩)، والتَّرمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وابن حبان (٨٩٠)، والحاكم (٤٩١/١)، والطبراني في «الدعاء» (٣)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (١٢٠/٨)، والبيهقي في «الدعوات» (٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الإمام التَّرمذي: «حسن صحيح»، وصحَّحه الحاكم، وأقرَّه الذهبي، وكذا أقرَّ =

عبادة، ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره؛ هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: إذا عملت بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزِرْ﴾ [الكوثر]، وأطعت الله ونحرت له، هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: فإن نحرت لمخلوق - نبيٍّ أو جنِّيٍّ أو غيرهما -، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يُقر ويقول: نعم.

وقل له - أيضاً -: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء... ونحو ذلك؟ وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دَعَوْهم، والتجَّؤوا إليهم للجاء والشفاعة، وهذا ظاهر جداً.

📖 [الشفاعة الشرعية وشروطها]:

فإن قال: أتنكر شفاعَةَ رسول الله ﷺ، وتتبرأ منها؟
فقل: لا أنكرها، ولا أتبرأ منها؛ بل هو ﷺ الشافع المشفع، وأرجو شفاعته، ولكنَّ الشفاعَةَ كلها لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

ولا تكون إلا مِن بعد إذن الله، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي

= الترمذی والحاكم الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢٥٣/١)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٧)، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٢٩٨/٣٠).

يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿البقرة: ٢٥٥﴾.

ولا يشفع [ﷺ] في أحدٍ إلا من بعد أن يأذن الله فيه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ - ولا غيره - في أحدٍ حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد، تبين لك أن الشفاعة كلها لله، وأطلبها منه؛ فأقول: «اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفّعه في»، وأمثال هذا. فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة، وأنا أطلب^(١) مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا^(٢)؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. فإذا كنت تدعو الله أن يشفّع نبيّه فيك فأطع في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

وأيضاً فإن الشفاعة أُعطِيها غيرُ النبي ﷺ؛ فصح أن الملائكة يشفعون، والأفراط^(٣) يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟

فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين^(٤) التي ذكرها الله

(١) في المطبوعات، و«كشف الشبهات وشروحه»: «أطلبه»، ولعل الأصح ما أثبتته.

(٢) أي: عن طلبها منه ﷺ.

(٣) الأفراط: الأطفال الصغار الذين ماتوا قبل البلوغ.

(٤) أي: صرت تعبدهم.

في كتابه. وإن قلت: «لا»، بطل قولك: «أعطاه الله الشفاعة، وأنا أطلب^(١) مما أعطاه الله».

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنت تُقرُّ أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقرُّ أن الله لا يغفره؛ فما هذا الأمر الذي حرّمه الله، وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري.

وقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ كيف يُحرّم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يحرمه ولا يبيّنه لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام، فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذب القرآن.

وإن قال: هو من قصد خشبةً، أو حجرًا، أو أبنيةً على قبر أو غيره، يدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون: إنه يقرّبنا إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها.

فهذا أقرّ أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له - أيضًا -: قولك: «الشرك عبادة الأصنام»، هل مرادك

(١) في المطبوعات و«كشف الشبهات وشروحه»: «أطلبه»، كالموضع السابق، ولعل الأصح ما أثبتّه.

أن الشرك مخصوصٌ بهذا؟ وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يردُّ ما ذكره الله في كتابه من كُفْرٍ مَنْ تعلق على الملائكة، أو عيسى، أو الصالحين، فلا بد أن يقرَّ لك أن من أشرك في عبادة الله أحدًا من الصالحين، فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة: أنه إذا قال: «أنا لا أشرك بالله»، فقل له: وما الشرك بالله؟ فسره لي.

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لي.

فإن فسرها بما بيَّنه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدَّعي شيئاً وهو لا يعرفه؟ وإن فسَّر ذلك بغير معناه، بُيِّنَتْ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه، كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجْعَلِ آلَهُةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص].

📖 [شرك الأولين أخفُّ من شرك المعاصرين]:

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا: «الاعتقاد» هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه = فاعلم أن شرك الأولين أخفُّ من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يُشركون ويدعون الملائكة والأولياء

والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيُخلصون لله الدين:

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا جَئَكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۖ﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنِ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ﴾ [٤٠] بَلْ إِلَهُهُ تَدْعُونَ إِلَهُهُ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۚ﴾ [الأنعام: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ﴾ [الزمر: ٨].

وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ﴾ (٣) دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه - وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله، ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم -: تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهمًا راسخًا؟ والله المستعان.

والأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناسًا مقربين عند الله - إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة -، أو يدعون أحجارًا أو أشجارًا مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسًا

(١) ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾: أخبروني.

(٢) ﴿خَوَلَهُ﴾: أعطاه.

(٣) ﴿كَالظَّلِيلِ﴾: كالسُّحْب.

من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقه وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي - مثل الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

﴿من أعظم شبهات المشركين﴾:

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصحُّ عقولاً وأخف شرّاً من هؤلاء، فاعلم أن هؤلاء شبهةٌ يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها:
وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون ألا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحراً. ونحن نشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم؛ فكيف تجعلونا مثل أولئك؟

فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلّهم: أن الرجل إذا صدّق رسول الله ﷺ في شيء، وكذّبه في شيء؛ أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه؛ كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كلّ وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج. ولما لم يَنْقُذْ أناسٌ في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩٧﴾ [آل عمران] (١).

(١) انظر: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٢٧٥/١)، ففيه عدة آثار لا يشبث =

ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث كفر بالإجماع، وحلّ دمه وماله،
 كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا
 بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ
 ذَلِكَ سَبِيلًا ۖ﴾ (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾
 [النساء].

فإذا كان الله قد صرّح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض
 فهو الكافر حقًا، زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض
 أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال - أيضًا -: إذا كنت تقرّ أن من صدّق الرسول في كل شيء،
 وجحد وجوب الصلاة أنه كافرٌ حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك
 إذا أقرّ بكل شيءٍ إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم
 رمضان، وصدّق بذلك كله؛ لا تختلف المذاهب فيه ^(١)، وقد نطق
 به القرآن - كما قدمنا -؛ فمعلومٌ أن التوحيد هو أعظم فريضةٍ جاء
 بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج،
 فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر - ولو عمل بكل
 ما جاء به الرسول -؟ وإذا جحد التوحيد - الذي هو دين الرسل
 كلهم - لا يكفر؟ سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل!

ويقال - أيضًا -: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ؛ قاتلوا بني
 حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون ألا إله إلا الله

= منها شيء.

(١) في طبقات ونسخ أخرى من «كشف الشبهات»: «وصدق بذلك كله، لا
 يجحد هذا، ولا تختلف المذاهب فيه»، والأوضح ما أثبت.

وأن محمدًا عبده ورسوله، ويؤذنون ويصلون.

فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي.

فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحلّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شُمسَان أو يوسف^(١)، أو صحابيًا، أو نبياً في رتبة جبار السماوات والأرض؟! سبحان الله! ما أعظم شأنه! ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم].

ويقال - أيضًا -: الذين حرّقهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي رضي الله عنه، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليّ مثل الاعتقاد في يوسف وشُمسَان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفّرون المسلمين؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج^(٢) وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في عليّ بن أبي طالب يُكفّر؟! لا

ويقال - أيضًا -: بنو عُبيد القدّاح - الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس -، كلهم يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلّون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلادُ حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال - أيضًا -: إذا كان الأولون لم يكفّروا إلا لأنهم جمعوا

(١) أسماء أناس كانت تُدعى وتُعبَد من دون الله تعالى.

(٢) اسم طاغوتٍ - أيضًا - كان يُعبَد من دون الله تعالى.

بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث... وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب: «باب: حكم المرتد» - وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه -؟ ثم ذكروا أنواعاً كثيرة؛ كل نوع منها يُكْفَر ويُحِلُّ دَمَ الرجل وماله؛ حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرةً عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب!

ويقال - أيضاً -: الذين قال الله فيهم: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةً الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، أما سمعت الله كفَّره بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، وهم يجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكُّون، ويحجون، ويوحِّدون؟

وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ سَاهُونَ﴾ ٦٥ لَا تَعْدِرُوا فَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة]؛ فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزاح^(١).

فتأمل هذه الشبهة؛ وهي قولهم: تكفرون المسلمون؛ أناساً يشهدون ألا إله إلا الله، ويصلون ويصومون؟! ثم تأمل جوابها؛ فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك - أيضاً -: ما حكى الله عن بني إسرائيل - مع إسلامهم وعلمهم وصلاتهم - أنهم قالوا لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقول أناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط؛ فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل

لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ (١).

📖 [شبهة أخرى للمشركين]:

ولكن للمشركين شبهة يُدُلُّون بها عند هذه القصة؛ وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا.

فالجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألو النبي ﷺ لم يفعلوا، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا. وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تُفيد أن المسلم - بل العالم - قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلّم (٢) والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل: «التوحيد فهمناه» أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان. وتفيد - أيضاً - أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فنبه على ذلك وتاب من ساعته، أنه لا يكفر - كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألو رسول الله ﷺ -.

وتفيد - أيضاً - أنه لو لم يكفر فإنه يُغلَّظ عليه الكلام تغليظاً شديداً - كما فعل رسول الله ﷺ -.

📖 [شبهة أخرى للمشركين]:

ولهم شبهة أخرى؛ يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) أي: تعلّم نواقض الإيمان ونحو ذلك.

من قال: لا إله إلا الله، وقال: «أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟»^(١)، وكذلك قوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»^(٢)، وأحاديث أخرى في الكفِّ عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يُكفّر ولا يُقتل ولو فعل ما فعل!

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلُّون ويدَّعون الإسلام، وكذلك الذين أحرقهم عليُّ بن أبي طالب. وهؤلاء الجهلة مقرُّون أن من أنكر البعث كُفر وقُتل، ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كُفر وقُتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟! ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قُتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفاً على دمه وماله. والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكفُّ عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]، أي: فتثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكفُّ عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل، لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، ولو

(١) رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كان لا يُقتل إذا قالها لم يكن للثبوت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله: معناه ما ذكرناه؛ أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا: أن رسول الله ﷺ، وهو الذي قال: «أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟»، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله»^(١) هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم. لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٢)، مع كونهم من أكثر الناس عبادةً وتهليلًا، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة.

وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة، حتى أنزل الله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٣) [الحجرات]، وكان الرجل كاذبًا عليهم^(٣)، فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في

(١) تقدم الحديثان في الصفحة السابقة.

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري

رضي الله عنه.

(٣) ضعيف: رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» - كما في «تخريج الكشاف»

(٣/ ٣٣٢)، و«المطالب العالية» (٩/ ٤٠ - رقم: ٤١١)، والطبري في

«تفسيره» (٢٦/ ٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٢٦)، من حديث

أم سلمة رضي الله عنها، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١١)، والشيخ =

الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.

📖 [شبهة أخرى للمشركين]:

ولهم شبهة أخرى، وهو ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بيسى؛ فكلهم يعتذرون، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ^(١) قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً.

فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه! فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَعِذْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب، أو غيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العباد التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس، حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة؛ أن تأتي عند رجل صالح حيّ يجالسك ويسمع كلامك، وتقول له: «ادع الله لي»، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته

= حسين الداراني في تحقيقه (٣٩٧/١٤)، وكذا الشيخان سليم الهلالي ومحمد موسى آل نصر في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٢٧٣/٣).

(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم.

فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره؛ بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف دعاؤه نفسه [عليه السلام]؟^(١)!

﴿شبهة أخرى للمشركين﴾:

ولهم شبهة أخرى، وهي قصة إبراهيم [عليه السلام] أنه [عليه السلام] لما أُلقي في النار اعترض له جبرائيل في الهواء، فقال له: «ألك حاجة؟ فقال إبراهيم [عليه السلام]: أما إليك فلا». قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبرائيل شركًا، لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى؛ فإن جبرائيل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم]، فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم [عليه السلام] في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً، فيعرض عليه أن يُقرضه، أو أن يهبه شيئاً يقضي به حاجته، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ، ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا مِنَّةً فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العباد والشرك ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة]؟^(٢)

(١) وبعد كل هذا نرى طوائف تُنسب إلى العلم من المتأخرين يجيزون - بل يستحبون - الدعاء عند قبور الصالحين؛ بغير أي مستند شرعي من الكتاب والسنة وهدى سلف الأمة.

(٢) أضف إلى ما ذكره المصنف رحمه الله أمرين هامين:

الأول: أن قصة إبراهيم وجبريل [عليه السلام] من الإسرائيليات التي لا تقوم بها الحجة، هذا لو صحَّ سندها، فما بالنا إذا علمنا أنها لا تصحُّ سنداً؛ =

📖 [خاتمة: بذكر مسألة عظيمة]:

ولنختم الكلام - إن شاء الله تعالى - بمسألة عظيمة مهمة جدًا تفهم مما تقدم، ولكن نُفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها فنقول:

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختلَّ شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به، فهو كافرٌ معاندٌ - كفرعون وإبليس وأمثالهما -، وهذا يغلط فيه كثيرٌ من الناس، ويقولون: هذا حقٌّ، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار.

ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]، وغير ذلك من الآيات؛ كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ

= بل - أيضًا - لا يثبت رفعها للنبي ﷺ؛ بل كل ما ورد إما عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أو عن التابعين؟! وقد تقرر أن الإسرائيليات ليست من الحُجج الشرعية التي يُحتجُّ بها ما لم يأت في شرعنا ما يؤيدها - كما هو معلوم -.

الثاني: لو ارتكن إليها البعض من ناحية الاحتجاج بشرع من قبلنا، فأيضًا لا بد أن يصحَّ السندُ إلى المعصوم ﷺ من ناحية، وألا يأتي في شريعتنا الغراء ما يردُّها من ناحية أخرى.

وكأنني بالمصنف رحمه الله علم سذاجة وسماجة هذا الاحتجاج؛ لكنه قام بالرد عليه - باختصار - خوفًا من ارتكان بعض السذج إليه. والله تعالى أعلم.

أَبْنَاءَهُمْ ﴿البقرة: ١٤٦﴾، فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلًا ظَاهِرًا وَهُوَ لَا يَفْهَمُهُ، أَوْ لَا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرُّ مِنَ الْكَافِرِ الْخَالِصِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ الْكُفَّيْنَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، تتبين لك إذا تأملت فيها في السنة الناس، ترى مَنْ يعرف الحق ويترك العمل به، لخوفٍ نقصٍ دنيا أو جاهٍ أو مداراة، وترى مَنْ يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه، فإذا هو لا يعرفه. ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

أولاهما: ما تقدم من قوله: ﴿لَا تَعْزِدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به خوفاً من نقص مالٍ أو جاهٍ أو مداراةٍ لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُلُوبُهُ مُظْمِنٌ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواءً فعله خوفاً، أو مداراةً، أو مشحّةً بوطنه أو أهله، أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزاح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره، فالآية تدلُّ على هذا من جهتين:

الأولى: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾، فلم يستثن الله إلا المكره. ومعلوم أن الإنسان لا يُكره إلا على العمل أو الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يُكره أحد عليها.

والثانية: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الدُّنْيَا عَلَى
 الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]؛ فصرَّح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب
 الاعتقاد أو الجهل، أو البُغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن
 له في ذلك حظًّا من حظوظ الدنيا؛ فأثره على الدين.
 واللَّهُ ﷻ أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد
 وسلَّم تسليمًا.



[٣]

مسائل الجاهلية

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه أمورٌ خالف فيها رسولُ الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية - الكتابيين والأميين -، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها؛ فالضد يُظهرُ حُسْنَهُ الضدِّ، وبضدها تتبيَّنُ الأشياءُ ^(١).

فأهمُّ ما فيها وأشدُّها خطرًا: عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ؛ فإن انضاف إلى ذلك استحسانُ ما عليه أهل الجاهلية تَمَّتْ الخسارة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت].

المسألة الأولى:

أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته، يريدون شفاعتهم عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].
وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسولُ الله ﷺ، فأتى بالإخلاص،

(١) رأيتُ بعض من علّق على هذه الرسالة جعل الجملتين الأخيرتين بيتًا واحدًا من الشعر في شطرين متقابلين، وهذا غير صحيح، بل كلُّ منهما شطرٌ في بيتٍ مختلف كالآتي:

ضدّان لما استجمعا حسنًا والضدُّ يُظهرُ حُسْنَهُ الضدِّ
والآخر:

ونذيمُهُم وبهم عَرَفْنَا فَضْلَهُ وبضدّها تَتَبَيَّنُ الأشياءُ

وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار.

وهذه المسألة التي تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الجهاد، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

﴿ المسألة الثانية ﴾

أنهم متفرقون في دينهم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ﴾ [المؤمنون]، وكذلك في دنياهم، ويرون ذلك هو الصواب، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ونہانا عن مشابہتہم بقولہ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ونہانا عن التفرق في الدين بقوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ^(١) جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿ المسألة الثالثة ﴾

أن مخالفة ولي الأمر عندهم وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع

(١) حبل الله: دينه. وقيل: كتابه. ولا منافاة، فالكتاب أصل الدين وأُسُّه.

والطاعة ذُلٌّ ومهانة، فخالفهم رسول الله ﷺ، وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك، وأبدأ فيه وأعاد.

وهذه الثلاث [هي] التي جمع بينها - فيما ذكر عنه ﷺ في «الصحيحين» - أنه قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصروا من ولّاه الله أمرکم»^(١). ولم يقع خللٌ في دين الناس وديانهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث، أو بعضها.

📖 [المسألة الرابعة]:

أن دينهم مبنيٌّ على أصول، أعظمها التقليد؛ فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا^(٢) إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ^(٣) وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ^(٤)﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَبْعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ^(٥)﴾ [لقمان].
فأتاهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خَمَلٍ^(٦)﴾ [التكوير].
تَفَكَّرُوا مَا يَصْحَابِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ... ﴿الآية [سبأ: ٤٦].

(١) رواه مسلم (١٧١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وليس في البخاري.

(٢) المترفون: الأغنياء المتنعمون.

(٣) الأمة - هنا - الدين والملة.

(٤) وفي هذا بيانٌ أنه لا فرق بين اتباع العادات والتقاليد المخالفة للشرع المجيد، وبين السير في طريق جهنم والعذاب الشديد. انظر: «محاسن التأويل» للقاسمي (٣٣/٨) عند الآية الكريمة.

وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ^(١)﴾
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ [الأعراف].

المسألة الخامسة:

أن من أكبر قواعدهم: الاغترارَ بالأكثر، ويحتجون به على صحة الشيء، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله، فأتتهم الآيات بضد ذلك، وأوضحه [ﷺ] في غير موضع من القرآن.

المسألة السادسة:

الاحتجاج بالمتقدمين، كقوله: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [طه]،
وقوله: ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [القصص].

المسألة السابعة:

الاستدلال بقوم أعطوا قوًى في الأفهام والأعمال، وفي الملك والمال والجاه^(٢)، فردَّ الله ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ...﴾ الآية [الأحقاف: ٢٦]، وقوله: ﴿وَكَاوُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ...﴾ الآية [الأنعام: ٢٠].

المسألة الثامنة:

الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء؛ كقوله:

- (١) أي: لا تتخذوا غيره أولياء تُطيعونهم في معصية الله تعالى. وقيل:
لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول ﷺ إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم
عن حكم الله إلى حكم غيره. والمعنيان متلازمان.
- (٢) أي: احتجوا بهؤلاء أنهم لم يؤمنوا.

﴿أَنْزِمُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾^(١) [الشعراء]، وقوله: ﴿أَهْتُولَاءَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَانًا﴾، فردّه الله بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام].

المسألة [التاسعة]:

الاقتداء بفسقة العلماء، فأتى بقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، وبقوله: ﴿لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾^(٢) وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿[المائدة: ٧٧].

المسألة [العاشر]:

الاستدلال على بطلان الدين بقلّة أفهام أهله، وعدم حفظهم؛ كقولهم: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾^(٣) [هود: ٢٧].

المسألة [الحادية عشرة]:

الاستدلال بالقياس الفاسد، كقوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

(١) ﴿الْأَرْذَلُونَ﴾: السّفلة. ويعنون بهم الفقراء وأصحاب الأعمال الصغيرة والمتواضعة؛ كالحائك والإسكافي ونحوهما.

(٢) ظن بعضهم أن الخطاب لمّا كان للنصارى، فإن المراد بـ«من ضل من قبل» هم اليهود، وهذا ظنّ خاطئ؛ بل المراد اليهود وآباء النصارى أنفسهم ممن كفروا وضلّوا قبل أبنائهم عن سواء السبيل. وانظر في هذا - لزائماً -: «صفوة الآثار والمفاهيم» للعلامة عبدالرحمن الدوسري عند الآية الكريمة طبع دار ابن الجوزي بالدمام؛ بعنايتي وتخريجي للأحاديث.

(٣) أي: اتبعوك ظاهراً من غير أن يتدبّروا ويتفكروا باطناً في كلامك.

المسألة [الثانية عشرة]:

إنكار القياس الصحيح.
والجامع لهذا وما قبله: عدم فهم الجامع والفارق^(١).

المسألة [الثالثة عشرة]:

الغلو في العلماء والصالحين، كقوله: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

المسألة [الرابعة عشرة]:

أن كل ما تقدم مبني على قاعدة؛ وهي النفي والإثبات؛ فيتبعون الهوى والظن، ويُعرضون عما آتاهم الله.

المسألة [الخامسة عشرة]:

اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم، كقوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]، وقوله: ﴿يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]، فأكذبهم الله، وبيّن أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم، والطبع بسبب كفرهم.

المسألة [السادسة عشرة]:

اعتياضهم عما آتاهم من الله بكتب السحر^(٢)، كما ذكر الله ذلك

(١) وحتى الآن فإنّ الجهل بهذا من أعظم أسباب ضلال من ضل، فنعود بالله من فتنة القلوب.

(٢) تمامًا كما اعتاض أهل الضلال - كالجماعات المنحرفة على الساحة - عن صحيح السنة المطهرة بالأكاذيب والأباطيل، بحجة جذب الناس والعصاة إلى الله ﷻ! وجَهِل هؤلاء أن الكذب لا يحلّ لنصرة الدين =

في قوله: ﴿بَدَّ فَرْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١١) وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ^(١) ﴿البقرة﴾.

📖 [المسألة] السابعة عشرة:

نسبة باطلهم إلى الأنبياء، كقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧].

📖 [المسألة] الثامنة عشرة:

تناقضهم في الانتساب، [حيث] ينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه.

📖 [المسألة] التاسعة عشرة:

قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين، كقدح اليهود في عيسى، وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ.

📖 [المسألة] العشرون:

اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات

= بحال. وانظر كلاماً مهماً عن هذا في الكتاب النفيس: «الإمام الألباني وجماعة التبليغ»، للعلامة المحقق مشهور حسن آل سلمان؛ بواسطة فهرس الموضوعات.

(١) وهاتان الآيتان الكريمتان أصلٌ للحكمة المشهورة: «النفْسُ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ شَغَلَتْكَ بِالْبَاطِلِ»، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ لَمَّا تَرَكْتَ قُلُوبَهُمْ الْحَقَّ - حِينَ نَبَذُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمْ -، اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ - وَهُوَ مَا تَخْتَلِقُهُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ سُلَيْمَانَ ﷺ وَمُلْكِهِ الْعَظِيمِ -، زَاعِمِينَ أَنَّهُ أُوتِيَ مَا أُوتِيَ عَنْ طَرِيقِ السَّحَرِ وَالْجُلِّ. وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ تَرَكَ الْحَقَّ لَا بَدَّ أَنْ يَنْشَغَلَ بِكُلِّ مَا يُغْضِبُ اللَّهَ تَعَالَى، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

الصالحين، ونسبته إلى الأنبياء، كما نسبوه لسليمان.

📖 [المسألة] الحادية والعشرون:

تعبُّدهم بالمكاء والتصدية^(١).

📖 [المسألة] الثانية والعشرون:

أنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا.

📖 [المسألة] الثالثة والعشرون:

أن الحياة الدنيا غرَّتهم، فظنوا أن عطاء الله منها يدُلُّ على رضاه، كقوله: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (٣٥) [سبأ].

📖 [المسألة] الرابعة والعشرون:

تركُّ الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبرًا وأنفةً، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾ الآية [الأنعام: ٥٢].

📖 [المسألة] الخامسة والعشرون:

الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

📖 [المسألة] السادسة والعشرون:

تحريفُ كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

(١) المكاء: الصفير. التصدية: التصفيق. كما نراه من ضلَّال المتصوفة حينما يتعبدون - زعموا - بالرقص والغناء والتصفيق والتفافز المزري.

📖 [المسألة] السابعة والعشرون:

تصنيفُ الكتب الباطلة، ونسبتها إلى الله، كقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾ الآية [البقرة: ٧٩].

📖 [المسألة] الثامنة والعشرون:

أنهم لا يعقلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم، كقوله: ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١].

📖 [المسألة] التاسعة والعشرون:

أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة، كما نبّه الله عليه بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ أُبَيَّاةَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

📖 [المسألة] الثلاثون:

وهي من عجائب آيات الله: أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع، وارتكبوا ما نهى الله عنه من الآفة = صار كلُّ حزب بما لديهم فرحون.

📖 [المسألة] الحادية والثلاثون:

وهي من عجائب الله - أيضًا -: معاداتهم الدين - الذي انتسبوا إليه - غاية العداوة، ومحبتهم دين الكفار - الذين عادوهم، وعادوا نبينهم وفئتهم^(١) - غاية المحبة، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهاهم بدين موسى^(٢)، واتبعوا كتب السحر، وهي من دين آل فرعون.

(١) في المطبوعات: «وفئتهم»، والمثبت من «شرح مسائل الجاهلية» للعلامة صالح الفوزان.

(٢) لأن جميع الأنبياء دينهم التوحيد، وسيأتي من كلام شيخ الإسلام عن =

المسألة [الثانية والثلاثون]:

كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يَهْوُونَهُ، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ...﴾ الآية [البقرة: ١١٣].

المسألة [الثالثة والثلاثون]:

إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم، كما فعلوا في حج البيت، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

المسألة [الرابعة والثلاثون]:

أن كل فرقة تدّعي أنها الناجية، فأكذبهم الله بقوله: ﴿هَآتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ثم بيّن الصواب بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ...﴾ الآية [البقرة: ١١٢].

المسألة [الخامسة والثلاثون]:

التعبد بكشف العورات، كقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً...﴾ الآية [الأعراف: ٢٨].

المسألة [السادسة والثلاثون]:

التعبد بتحريم الحلال؛ كما تعبدوا بالشرك.

المسألة [السابعة والثلاثون]:

التعبد باتخاذ الأخبار والرهبان أربابًا من دون الله.

📖 [المسألة] الثامنة والثلاثون:

الإلحاد في الصفات، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٢) [فصلت].

📖 [المسألة] التاسعة والثلاثون:

الإلحاد في الأسماء، كقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

📖 [المسألة] الأربعون:

التعطيل، كقول آل فرعون^(١).

📖 [المسألة] الحادية والأربعون:

نسبة النقائص إليه ﷺ.

📖 [المسألة] الثانية والأربعون:

الشرك في المُلْك؛ كقول المجوس^(٢).

📖 [المسألة] الثالثة والأربعون:

جحود القَدَر.

📖 [المسألة] الرابعة والأربعون:

الاحتجاج على الله.

(١) يقصد كما قال فرعون - عليه لعائن الله -: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرٍ﴾ [القصص: ٣٨]، وكما قال - أيضًا -: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَكْفُرُونَ آتِنِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر].

(٢) حيث يقولون: إن الكون له خالقان: أحدهما النور، وهو خالق الخير. والثاني الظلام، وهو خالق الشر.

المسألة الخامسة والأربعون:

معارضة شرع الله بقدره.

المسألة السادسة والأربعون:

مسبة الدهر؛ كقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]^(١).

المسألة السابعة والأربعون:

إضافة نعم الله إلى غيره، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]^(٢).

المسألة الثامنة والأربعون:

الكفر بآيات الله.

المسألة التاسعة والأربعون:

جحد بعضها.

المسألة الخمسون:

قولهم: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

المسألة الحادية والخمسون:

قولهم في القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

(١) وجه كون الآية سُبَّةً للدهر: أنهم نسبوا إليه الإهلاك، وأنه - أيضًا - ظالمٌ في ذلك. والله تعالى أعلم.

(٢) وأعظم النعم عليهم وعلى الخلق كافة: الإسلام والقرآن والحبيب محمد ﷺ، وبالرغم من ذلك أنكروها، وحاربوها، وكذبوا بها.

📖 [المسألة] الثانية والخمسون:

القدح في حكمة الله تعالى.

📖 [المسألة] الثالثة والخمسون:

إعمال الحيل الظاهرة والباطنة في دفع ما جاءت به الرسل، كقوله: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢].

📖 [المسألة] الرابعة والخمسون:

الإقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه، كما قال في الآية^(١).

📖 [المسألة] الخامسة والخمسون:

التعصب للمذهب، كقوله فيها: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣].

📖 [المسألة] السادسة والخمسون:

تسمية أتباع الإسلام شركًا، كما ذكره في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ الآية [آل عمران: ٧٩].

(١) ذلك أن الآية السابقة بيّنت بعض مكر اليهود - عليهم لعائن الله - في صد الناس عن دين الإسلام؛ حيث تواصلوا فيما بينهم أن يتظاهروا بالدخول فيه، ثم بعد فترة يسيرة جدًا يُظهرون الخروج منه، فإذا رآهم الجهلاء قالوا: ما ترك هؤلاء الإسلام - وهم أهل كتاب - إلا لأنهم علموا أنه دين باطل، ولو كان دين الحق لما تركوه، وأعرضوا عنه.

📖 [المسألة] السابعة والخمسون:

تحريف الكلم عن مواضعه .

📖 [المسألة] الثامنة والخمسون:

لِيُ الْأُسْنَةُ بِالْكَتَابِ^(١) .

📖 [المسألة] التاسعة والخمسون:

تَلْقِيبُ أَهْلِ الْهَدْيِ بِالضُّبَاةِ وَالْحَشْوِيَّةِ^(٢) .

📖 [المسألة] الستون:

اِفْتِرَاءُ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ .

📖 [المسألة] الحادية والستون:

التكذيب بالحق .

📖 [المسألة] الثانية والستون:

كُونَهُمْ إِذَا غَلَبُوا بِالْحِجَّةِ فَزَعُوا إِلَى الشُّكُوءِ لِلْمَلُوكِ، كَمَا قَالَ:
﴿أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٧] .

📖 [المسألة] الثالثة والستون:

رَمِيَهُمْ إِيَّاهُمْ بِالْإِفْسَادِ^(٣) فِي الْأَرْضِ كَمَا فِي الْآيَةِ .

(١) أي: تحريف الكتاب وتغييره عن مراد الله تعالى .

(٢) وفي زماننا سمعنا بعض رؤوس البدع والجهل صعد المنبر، وصدع بوصف أهل السنة بأنهم «شذاذ» .

(٣) في المطبوعات: «بالفساد»، ولعل الأدق ما أثبتته .

📖 [المسألة] الرابعة والستون:

رميهم إياهم بانتقاص دين المَلِك؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَذَرُكَ
وَأَهْلَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وكما قال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ
دِينَكُمْ...﴾ الآية [غافر: ٢٦].

📖 [المسألة] الخامسة والستون:

رميهم إياهم بانتقاص آلهة المَلِك كما في الآية.

📖 [المسألة] السادسة والستون:

رميهم إياهم بتبديل الدين؛ كما قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ
أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

📖 [المسألة] السابعة والستون:

رميهم إياهم بانتقاص المَلِك، كقولهم: ﴿وَيَذَرُكَ وَأَهْلَكَ﴾
[الأعراف: ١٢٧].

📖 [المسألة] الثامنة والستون:

دعواهم العمل بما عندهم من الحق، كقوله: ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾
[البقرة: ٩١]، مع تركهم إياه.

📖 [المسألة] التاسعة والستون:

الزيادة في العبادة؛ كفعلهم يوم عاشوراء.

📖 [المسألة] السبعون:

نقصهم منها، كتركهم الوقوف بعرفات.

📖 [المسألة] الحادية والسبعون:

تركهم الواجب ورعًا.

📖 [المسألة] الثانية والسبعون:

تعبُّدهم بترك الطيبات من الرزق.

📖 [المسألة] الثالثة والسبعون:

تعبُّدهم بترك زينة الله.

📖 [المسألة] الرابعة والسبعون:

دعوتهم الناس إلى الضلال بغير علم.

📖 [المسألة] الخامسة والسبعون:

دعوتهم إياهم إلى الكفر مع العلم.

📖 [المسألة] السادسة والسبعون:

المكر الكبَّار كفعل قوم نوح.

📖 [المسألة] السابعة والسبعون:

أن أئمتهم إما عالم فاجر، وإما عابد جاهل؛ كما في قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُواهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(١) (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ

(١) أي: إذا خلَّوا إلى بعضهم تواصلوا أن يكتموا ما عرفوه في كتبهم من البشارة بنبوة محمد ﷺ، حتى لا يتخذ المسلمون ذلك حجة عليهم واعترافًا صريحًا بأن محمدًا ﷺ هو النبي الحق، ودينه هو الدين الحق.

الْكِنْتَبَ إِلَّا أَمَانِي^(١) وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ [البقرة].

📖 [المسألة] الثامنة والسبعون:

دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس.

📖 [المسألة] التاسعة والسبعون:

دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه، فطالبهم الله بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ...﴾ الآية [آل عمران: ٣١].

📖 [المسألة] الثمانون:

تمنيهم الأمانى الكاذبة؛ كقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا الْكَارُ إِلَّا أَنْيَامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [البقرة: ١١١].

📖 [المسألة] الحادية والثمانون:

اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد.

📖 [المسألة] الثانية والثمانون:

اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذكر عن عمر^(٢).

📖 [المسألة] الثالثة والثمانون:

اتخاذ السرج على القبور.

(١) الأمانى: القراءة الظاهرة الخالية من الفهم.

(٢) وما يسمى في عصرنا بـ«إحياء الآثار» - سواء الإسلامية منها أو غيرها -؛ هذا من البدع والمحرمات، وداعية إلى التبرك المحرم والشرك بالله ﷻ. وللعلامة صالح الفوزان محاضرة نفيسة في كتابه: «محاضرات في العقيدة والدعوة - أواخر المجموعة الثالثة».

📖 [المسألة] الرابعة والثمانون:

اتخاذها أعيادًا.

📖 [المسألة] الخامسة والثمانون:

الذبح عند القبور.

📖 [المسألة] السادسة والثمانون:

التبرك بآثار المعظمين، كدار الندوة، وافتخار من كانت تحت يده بذلك، كما قيل لحكيم بن حزام: «بعت مكرمة قريش؟ فقال: ذهبت المكارم إلا التقوى».

📖 [المسألة] السابعة والثمانون:

الفخر بالأحساب.

📖 [المسألة] الثامنة والثمانون:

الطعن في الأنساب.

📖 [المسألة] التاسعة والثمانون:

الاستسقاء بالأنواء^(١).

📖 [المسألة] التسعون:

النياحة.

📖 [المسألة] الحادية والتسعون:

أن أجل فضائلهم البغي^(٢)، فذكر الله فيه ما ذكر.

(١) الأنواء: منازل القمر. وقد تقدم.

(٢) في بعض نسخ الكتاب: «الفخر بالأنساب» بدل «البغي».

📖 [المسألة] الثانية والتسعون:

أن أجل فضائلهم - أيضًا - الفخر - ولو بحق -، فنَهَى عنه ^(١).

📖 [المسألة] الثالثة والتسعون:

أن تعصّب الإنسان لطائفته على الحق والباطل أمرٌ لا بد منه عندهم؛ فذكر الله فيه ما ذكر.

📖 [المسألة] الرابعة والتسعون:

أن من دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره ^(٢)، فأنزل الله: ﴿وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

📖 [المسألة] الخامسة والتسعون:

تغيير الرجل بما في غيره، فقال [ﷺ]: «أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية» ^(٣).

📖 [المسألة] السادسة والتسعون:

الافتخار بولاية البيت؛ فذمهم الله بقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهَجَّرُونَ﴾ ^(٤) [٦٧] [المؤمنون].

📖 [المسألة] السابعة والتسعون:

الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء؛ فأتى الله بقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ

(١) فما بألنا بالفخر بالباطل؟!

(٢) كالشار.

(٣) رواه البخاري (٥١٢٦، ٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦٢)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) أي: تستكبرون وتتفاخرون بأنكم أهل البيت الحرام، وتسمرون في لياليتكم هاجرين محمدًا ﷺ، وتسبونه وتطعنون فيه وفيما جاء به.

خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ... ﴿الآية [البقرة: ١٣٤].

📖 [المسألة] الثامنة والتسعون:

الافتخار بالصنائع؛ كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث^(١).

📖 [المسألة] التاسعة والتسعون:

عظمة الدنيا في قلوبهم، كقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿[الزخرف: ٣١]﴾.

📖 [المسألة] المئة:

التحكُّم^(٢) على الله كما في الآية.

📖 [المسألة] الحادية بعد المئة:

ازدراء الفقراء، فأتاهم بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ ﴿[الأنعام: ٥٢]﴾.

📖 [المسألة] الثانية بعد المئة:

رميهم أتباع الرسل^(٣) بعدم الإخلاص وطلب الدنيا، فأجابهم بقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّن شَيْءٍ...﴾ ﴿الآية [الأنعام: ٥٢]﴾ وأمثالها.

📖 [المسألة] الثالثة بعد المئة:

الكفر بالملائكة.

(١) أهل الرحلتين: هم قريش، كانت لهم رحلتان للتجارة: في الصيف للشام، وفي الشتاء لليمن. وأهل الحرث: أصحاب الزرع والفلاحة.

(٢) التحكُّم: فرض الرأي.

(٣) في بعض المطبوعات: «الرسول».

📖 [المسألة] الرابعة بعد المئة:

الكفر بالرسول.

📖 [المسألة] الخامسة بعد المئة:

الكفر بالكتب.

📖 [المسألة] السادسة بعد المئة:

الإعراض عمّا جاء عن الله.

📖 [المسألة] السابعة بعد المئة:

الكفر باليوم الآخر.

📖 [المسألة] الثامنة بعد المئة:

التكذيب بلقاء الله.

📖 [المسألة] التاسعة بعد المئة:

التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسول عن اليوم الآخر، كما في قوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ [الكهف: ١٠٥]، ومنها التكذيب بقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وقوله: ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) [الزخرف].

📖 [المسألة] العاشرة بعد المئة:

قتل الذين يأمرُونَ بالقسط من الناس.

📖 [المسألة] الحادية عشرة بعد المئة:

الإيمان بالجِبْت والطاغوت.

📖 [المسألة] الثانية عشرة بعد المئة:

تفضيل دين المشركين على دين المسلمين.

📖 [المسألة] الثالثة عشرة بعد المئة:

لَبَسُ الحق بالباطل.

📖 [المسألة] الرابعة عشرة بعد المئة:

كتمانُ الحق مع العلم به.

📖 [المسألة] الخامسة عشرة بعد المئة:

قاعدة الضلال؛ وهي القول على الله بلا علم.

📖 [المسألة] السادسة عشرة بعد المئة:

التناقض الواضح لما كَذَّبُوا الحق، كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِآلِ الْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾^(١) [ق].

📖 [المسألة] السابعة عشرة بعد المئة:

الإيمان ببعض المنزَّل دون بعض.

📖 [المسألة] الثامنة عشرة بعد المئة:

التفريق بين الرسل.

(١) المريج: المضطرب المختلط، وكل من ترك الدين الحق التبست عليه الأمور واضطربت، وتضاربت أقواله وأفعاله، ولذلك كان هؤلاء الكفار مرةً يقولون عن محمدٍ ﷺ: إنه ساحر، ومرةً: شاعر، ومرةً: كاهن... إلخ.

📖 [المسألة] التاسعة عشرة بعد المئة:

مخاصمتهم فيما ليس لهم به علم.

📖 [المسألة] العشرون بعد المئة:

دعواهم اتباع السلف، مع التصريح بمخالفتهم.

📖 [المسألة] الحادية والعشرون بعد المئة:

صدهم عن سبيل الله من آمن به.

📖 [المسألة] الثانية والعشرون بعد المئة:

مودَّتْهم الكفرَ والكافرين.

📖 [المسألة] الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة

والتاسعة والعشرون بعد المئة:

العيافة^(١)، والطَّرْق^(٢)، والطَّيْرَة^(٣)، والكهانة^(٤)، والتحاكم إلى الطاغوت، وكرهية التزويج بين العبدین^(٥).

(١) العيافة: زجر الطير، وقد تقدم.

(٢) الطَّرْق: الضرب بالحصى والودع. وقيل: هو الخط في الرمل. وقد تقدم - أيضًا -.

(٣) الطَّيْرَة: التشاؤم.

(٤) الكهانة: سحر الدجل.

(٥) وردت في بعض النسخ: «العبدین» - بياءين -! ورأيتُ تعليقًا في بعض النسخ المحققة؛ نصُّه: «لعل المراد بذلك ما كان عليه أهل الجاهلية من أنه إذا كانت لأحدهم أمةٌ أرسلها تزني، وجعل عليها «ضريبة» يأخذها منها كل وقت، وامتنع من تزويجها لذلك، فأنزل الله في كتابه: =

والله أعلم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



[٤]

شرح ستة مواضع من السيرة

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تأمل - رحمك الله - ستة مواضع من السيرة، وافهمها فهماً حسناً، لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه، ودين المشركين لتتركه؛ فإن أكثر من يدعي الدين ويُعدُّ من الموحدين لا يفهم الستة كما ينبغي.

الموضع الأول: قصة نزول الوحي:

وفيهما أن أول آية أرسله الله بها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾^(١)؛ إلى قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر].

فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة يعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا وغيره، وعرفت - أيضاً - أنهم يفعلون شيئاً من العبادة يتقربون بها إلى الله، مثل الحج والعمرة والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك، وأجلها عندهم الشرك، فهو أجل ما يتقربون به إلى الله عندهم؛ كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

[وقال تعالى]: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف].

فأول ما أمره الله به: الإنذار عنه^(٢)، قبل الإنذار عن الزنا

(١) وآية الإرسال هي الثانية، فالأولى نداءً - كما هو ظاهر -.

(٢) أي: عن الشرك.

والسرقة وغيرهما.

و[إذا] عرفت أن منهم من تعلق على الأصنام، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بني آدم، ويقولون: «ما نريد منهم إلا شفاعتهم»، ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسله الله بها.

فإن أحكمت هذه المسألة فيا بشراك! خصوصًا إذا عرفت أن ما بعدها أعظم من الصلوات الخمس، ولم تُفرض إلا في ليلة الإسراء سنة عشر، بعد حصار الشعب بسنتين، وموت أبي طالب، وبعد هجرة الحبشة بسنتين.

فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة والعداوة البالغة؛ كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة = رجوت أن تعرف المسألة.

الموضع الثاني: أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضده

- وهو التوحيد - لم يكرهوا ذلك واستحسنوه؛

وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه؛ إلى أن صرح بسب دينهم^(١)،

(١) لم يكن الحبيب ﷺ سبًّا ولا فحاشًا، وإنما المراد بالسب: العيب والانتقاص؛ لأنه ﷺ بين لهم أن آلهتهم ناقصة معيبة، لا تنفع ولا تضر، فرأوا هذا سبًّا لهم لآلهتهم.

ومن هنا نعلم فساد فهم من استدل بمثل تلك الأدلة التي فيها «الشتم والسب» على جواز السب الفاحش بالألفاظ المُقدعة للمخالفين؛ فقد رأيتُ بعض من يُسب إلى الدعوة خرج على وسائل الإعلام من بضع سنين، وأثيرت بعض المشاحنات بينه وبين الخارجيين عن الشريعة، فكان يتكلم بألفاظٍ لاذعةٍ لا تجوز - حتى مع أمثال هؤلاء الضلال - =

وتجهيل علماءهم، فحينئذٍ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة، وقالوا: «سَفَّهَ أحلامنا»^(١)، وعاب ديننا، وشتَمَ آلِهتنا، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه، ولا الملائكة، ولا الصالحين، لكن لما ذَكَرَ لهم أنهم لا يُدْعون ولا ينفعون ولا يضرون، جعلوا ذلك شتمًا.

فإذا عرفت هذا، عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلامٌ - ولو وحَّدَ الله وترك الشرك - إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغض.

كما قال تعالى: ﴿لَا يَحْدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

فإذا فهمت هذا فهمًا جيدًا، عرفت أن الكثير من الذين يدَّعون الدين لا يعرفونها، وإلا فما حَمَلَ المسلمين على الصبر على ذلك العذابِ والأسر والضرب والهجرة إلى الحبشة؟ مع أنه ﷺ أرحم الناس، لو يجد لهم رخصةً لأرخص لهم، كيف وقد أنزل الله

= فلما عوتب في سلاطة لسانه، وكيف يسبُّ بمثل تلك الألفاظ، وهو يُشار إليه على أنه «شيخ»! رأيناه جاء ببعض الأحاديث الصحيحة المحتوية على لفظ «السب» - عن النبي ﷺ أو صحابته الأبرار رضي الله عنهم -، واستدلَّ بها على جواز ما يفعل! فظنَّ العوام والأغمار أن الإسلام دينُ سبٍّ وقذف، ولم يفهموا معنى «السب» على الوجه الصحيح - كما بيَّنا -، وقد كان العرب يسمون أي لفظٍ فيه انتقاصٌ «سبًّا» - حتى ولو لم يحتوِ على ألفاظٍ خارجةٍ -؛ لأنهم حال الخِصام والعراك كان يُشير بعضهم إلى بعض بالسبابة؛ لذا سُمِّيَ فعلُهم «سبًّا»؛ فلا يلزم من لفظ «السب» - إذن - احتواؤه على الألفاظ الخارجة، ولا الكلمات البذيئة. والله الموفق للخيرات.

(١) الأحلام: العقول.

تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللّٰهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَٰبِ اللّٰهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]!

فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه، فكيف بغير ذلك؟!

الموضع الثالث: قصة قراءته سورة «النجم» بحضرتهم:

فلما بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكَّ وَالْعُرْوَىٰ﴾ [النجم]، ألقى الشيطان في تلاوته: «تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتها لثرتجى»؛ فظنوا أن رسول الله ﷺ قالها، ففرحوا بذلك، وقالوا كلامًا - معناه -: «هذا الذي نريد، ونحن نعرف أن الله هو الضارُّ النافع وحده لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده». فلما بلغ السجدة، سجد وسجدوا معه، فشاع الخبر أنهم صافؤه، وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا، فلما أنكر ذلك رسول الله ﷺ، عادوا إلى شرٍّ مما كانوا عليه، ولما قالوا له: «إنك قلت ذلك»، خاف من الله خوفًا عظيمًا، حتى أنزل الله عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾ الآية [الحج: ٥٢]^(١).

فمن فهم هذه القصة، ثم شك بعدها في دين النبي ﷺ، ولم يفرِّق بينه وبين دين المشركين؛ فأبعده الله، خصوصًا إن عرف أن قولهم: «تلك الغرائيق» الملائكة.

الموضع الرابع: قصة أبي طالب:

فمن فهمها فهمًا حسنًا، وتأمل إقراره بالتوحيد، وحثَّ الناس عليه، وتسفيه عقول المشركين، ومحبتة لمن أسلم وخَلَعَ الشرك،

(١) قصة الغرائيق باطلة موضوعة: وقد أفرداها الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ بِمؤلفٍ مستقل بعنوان: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق».

ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول الله ﷺ إلى أن مات، ثم صبره على المشقة العظيمة والعداوة البالغة، لكن لما لم يدخل فيه، ولم يتبرأ من دينه الأول، لم يصير مسلماً؛ مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبةً لأبيه عبدالمطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم. ثم مع قرابته ونصرتة استغفر له رسول الله ﷺ؛ فأنزل الله تعالى عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة] (١).

والذي يبين هذا: أنه إذا عُرف رجلٌ من أهل البصرة أو الأحساء يحب الدين ويحب المسلمين، ظن أكثر الناس أنه مع المسلمين، مع أنه لم ينصر الدين بيدٍ ولا مال، ولا له من الأعذار مثل ما لأبي طالب!

فمن فهم قصة أبي طالب، وفهم الواقع من أكثر من يدعي الدين، تبين له الهدى من الضلال، وعرف سوء الأفهام، والله المستعان.

الموضع الخامس: قصة الهجرة:

وفيه من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها، ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها، وهي:

أن من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يهاجر من غير شك في الدين، وتزيين دين المشركين، ولكن محبةً للأهل والمال والوطن، فلما خرجوا إلى بدر، خرجوا مع المشركين كارهين، فقتل بعضهم

بالرمي - والرامي لا يعرفه -، فلما سمع الصحابة أن من القتلَى فلانًا وفلانًا شق عليهم، وقالوا: «قتلنا إخواننا»؛ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيهِمْ كُنْتُمْ^(١) قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً^(٢) وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا^(٣) ۝١٨ قَالُوا لَيْكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ۝١٩﴾ [النساء: (٤)].

فمن تأمل قصتهم، وتأمل قول الصحابة: «قتلنا إخواننا» - فإنه لو بلغهم عنهم كلام في الدين^(٥)، أو كلام في تزيين دين المشركين، لم يقولوا: «قتلنا إخواننا» -؛ فإن الله تعالى قد بيّن لهم - وهم في مكة قبل الهجرة - أن ذلك كفرٌ بعد الإيمان بقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله تعالى فيهم؛ فإن الملائكة تقول: ﴿فِيهِمْ كُنْتُمْ﴾، ولم يقولوا: «كذبتُمْ»؛ مثلما يقول الله والملائكة للمجاهد الذي يقول: «جاهدتُ في سبيلك حتى قُتلتُ»؛ فيقول الله: «كذبتُ؛ بل قاتلتُ ليقال: جريء». وكذلك يقولون للعالم والمتصدق:

(١) أي: في ماذا كنتم؟ أو في أي الفريقين كنتم: في المسلمين أم في المشركين؟ سؤال توبيخ وتعيير.

(٢) أي: لا يقدرُونَ على حيلةٍ ولا على نفقةٍ ولا قوةٍ للخروج منها.

(٣) أي: ولا يعرفون طريقًا إلى الخروج.

(٤) رواه البخاري (٤٥٩٦، ٧٠٨٥).

وانظر: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٤٧٦/١).

(٥) أي: طعنٌ في دين الإسلام.

«كذبت؛ بل تعلمت ليقال: عالم، وتصدقت ليقال: جَوَاد»^(١).

وأما هؤلاء فلم يكذبوهم؛ بل أجابوهم بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أََرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾.

ويزيد من ذلك إيضاحًا للعارف والجاهل: الآية التي بعدها؛ وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء]؛ فهذا أوضح جدًا أن هؤلاء خرجوا من الوعيد، فلم يبق شبهة، لكن لمن طلب العلم - بخلاف من لم يطلبه -؛ بل قال الله فيهم: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة].

□ ومن فهم هذا الموضع والذي قبله، فهم كلام الحسن البصري، قال: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتَّمَنِّي، ولكن ما وقر في القلب، وصدقته الأعمال؛ وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]».

📖 الموضع السادس: قصة الردّة بعد موت النبي ﷺ:

فمن سمعها لا يبقى في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمّون «العلماء»؛ وهي قولهم: «هذا هو الشرك، لكنهم»^(٢) يقولون: لا إله إلا الله، ومن قالها لا يكفر بشيء! وأعظم من ذلك وأكبر: تصريحهم «بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة، ولكن يقولون: لا إله إلا الله، وهم بهذه اللفظة أهل إسلام، وحرّم الإسلام مالهم ودمهم!» مع إقرارهم بأنهم تركوا الإسلام كله، ومع علمهم بإنكارهم

(١) رواه مسلم (١٩٠٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في المطبوع و«الدرر السنية» (١٥/٨): «لكن»، ولعل الأصح ما أثبتته. والضمير عائذ على أهل الردة بعد وفاته ﷺ. والله تعالى أعلم.

البعث، واستهزائهم بمن أقرَّ به، واستهزائهم وتفضيلهم دينَ آبائهم المخالف لدين النبي ﷺ، ومع هذا كلُّه يصرِّح هؤلاء الشياطينُ المَرَدَّةُ الجهلة: «أن البدو أسلموا - ولو جرى ذلك كله -؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله!»

ولازم قولهم: أن اليهود أسلموا؛ لأنهم يقولونها! وأيضا كُفِّر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعافٍ مضاعفة - أعني البوادي المتصفين بما ذكرنا^(١) -.

والذي يبيِّن ذلك من قصة الرِّدَّة: أن المرتدين افرقوا في ردَّتهم:

١ - فمنهم من كذب النبي ﷺ، ورجعوا إلى عبادة الأوثان، وقالوا: «لو كان نبياً ما مات».

٢ - ومنهم من ثبت على الشهادتين، ولكن أقرَّ بنبوة مسيلمة؛ ظناً أن النبي ﷺ أشركه في النبوة؛ لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك، فصدقهم كثيرٌ من الناس، ومع ذلك أجمع العلماء أنهم مرتدُّون - ولو جهلوا ذلك -، ومن شكَّ في ردَّتهم فهو كافر. فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا:

١ - أن الذين كذبوا ورجعوا إلى عبادة الأوثان، وشتموا رسول الله ﷺ، هم ومن أقرَّ بنبوة مسيلمة = في حالٍ واحدة، ولو

(١) قال الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ فِي طَبْعَتِهِ ص (١٤٤): «هذا القيد يدحض قول من افتري على الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بأنه كان يكفر جميع أهل البادية! على أن أكثرهم في أول عهد دعوته كانوا مجرِّدين من دين الإسلام، ثم هدى الله له الكثيرين بدعوته في حياته وبعد وفاته» اهـ.

ثبت على الإسلام كله.

٢ - ومنهم من أقرَّ بالشهادتين، وصدَّق طليحة بن خويلد الأسدي في دعواه النبوة.

٣ - ومنهم من صدق عبهلة بن كعب «الأسود العنسي» - صاحب صنعاء -.

وكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم سواء.

٤ - ومنهم من كذب النبي ﷺ، ورجع إلى عبادة الأوثان.

[وهم كذلك] على حالٍ واحدة.

٥ - ومنهم نوع آخر، آخرهم الفجاءة السلمي؛ لما وفد على أبي بكر، وذكر له أنه يريد قتال المرتدين، ويطلب من أبي بكر أن يُمدّه، فأعطاه سلاحًا ورواحل، فاستعرض السلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم، فجهز أبو بكر جيشًا لقتاله، فلما أحسَّ بالجيش، قال لأميرهم: «أنت أمير أبي بكر، وأنا أميره، ولم أكفر. قال الأمير: إن كنت صادقًا فألق السلاح» فألقاه، فبعث به إلى أبي بكر، فأمر بتحريقه بالنار وهو حي^(١).

(١) إن صحت القصة فهو اجتهد من الصديق ﷺ، والصواب أنه لا يجوز التحريق بالنار، بل القتل مباشرة؛ لما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْثٍ، فَقَالَ: «إِنْ وَجَدْتُمْ فَلَانًا وَفَلَانًا - لِرَجُلَيْنِ مِنْ قَرِيشٍ -، فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ -: «إِنِّي كُنْتُ أُمَرَّتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فَلَانًا وَفَلَانًا بِالنَّارِ، وَإِنْ النَّارُ لَا يِعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ ﷻ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا». رواه البخاري (٣٠١٦، ٢٩٥٤).

فإذا كان هذا هو حكم الصحابة في هذا الرجل - مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة -، فما ظنك بمن لم يقرّ من الإسلام إلا بكلمة واحدة، إلا أن يقول: «لا إله إلا الله» بلسانه، مع تصريحه بتكذيب معناها، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ، ومن كتاب الله تعالى، ويقولون: «هذا دين الحَضَر، وديننا دين آبائنا»؟! ثم يفتي هؤلاء المردة الجهال: أن هؤلاء مسلمون - ولو صرحوا بذلك كله - إذا قالوا: «لا إله إلا الله»! ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور].

وما أحسن ما قال واحدٌ من البوادي - لما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام -، قال: «أشهد أننا كفار - يعني هو وجميع البوادي -! وأشهد أن المطوّع الذي يسمينا أهل الإسلام أنه كافر». ثم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.



= وبنحوه من حديث حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه بلفظ: «لا يعذبُ بالنار إلا ربُّ النار». صحيح: رواه أحمد (٤٩٤/٣)، وأبو داود (٢٦٧٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٩٩٠)، والبيهقي في «السنن» (٧٢/٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٧٦)، وأبو يعلى (١٥٣٦)، وصحّحه الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٤٢١/٢٥).

[٥]

تفسير كلمة التوحيد^(١)

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

(١) وردت هذه الرسالة في غير مطبوعة «وزارة الأوقاف السعودية»
بعنوان: «هدية طيبة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة على نبيه

سئل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عن معنى «لا إله إلا الله».

فأجاب بقوله: اعلم - رحمك الله - أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمةً باقيةً في عقبه لعلهم يرجعون.

وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها؛ فإن المنافقين يقولونها، وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها، ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته.

كما قال النبي ﷺ [لما سئل: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة]: «من قال: «لا إله إلا الله» مخلصاً - وفي رواية: خالصاً من قلبه، وفي رواية: صادقاً من قلبه -»^(١).

وفي حديث آخر: «من قال: «لا إله إلا الله»، وكفر بما يُعبد من دون الله...»^(٢).

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات:

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

- نفى الإلهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات، حتى محمد ﷺ وجبرائيل؛ فضلاً عن غيرهم من الأولياء والصالحين.

- [وإثباتها له وحده ﷻ].

إذا فهمت ذلك؛ فتأمل هذه الألوهية التي أثبتتها الله لنفسه، ونفاها عن محمد وجبرائيل وغيرهما أن يكون لهم [فيها] مثقال حبة من خردل:

فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا: «السر والولاية»، و«الإله» معناه: «الولي الذي فيه السر»، وهو الذي يسمونه: «الفقير والشيخ»، وتسميه العامة: «السيد» وأشباه هذا؛ وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة، يرضى أن الإنسان يلتجئ إليهم، ويرجوهم، ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله.

فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم: هم الذين يسمونهم الأولون «الآلهة»، والواسطة هو «الإله»، فقول الرجل: «لا إله إلا الله» إبطال الوسائط.

وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة، فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، وقتلهم، ونهب أموالهم، واستحل نساءهم = كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية؛ وهو أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبر الأمور إلا الله وحده، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

وهذه مسألة عظيمة مهمة؛ وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله ومقرّون به، ومع هذا لم يُدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم. وكانوا - أيضًا - يتصدقون، ويحجّون، ويعتَمرون، ويتعبدون، ويتركون أشياء من المحرمات خوفًا من الله ﷻ.

ولكنّ الأمر الثاني هو الذي كفرهم، وأحل دماءهم وأموالهم، وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية؛ وهو أنه لا يُدعى ولا يُرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره - لا لملكٍ مقرب، ولا نبيٍّ مرسل -؛ فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك.

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون الصالحين - مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الأولياء -، فكفروا بها مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبّر.

إذا عرفت هذا عرفت معنى «لا إله إلا الله»، وعرفت أن من نخا^(١) نبيًّا أو ملكًا، أو ندبه^(٢)، أو استغاث به = فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ.

فإن قال قائلٌ من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق

(١) نخا: عظم. والمراد: التعظيم الخارج عن الحد؛ بصرف شيء من خصائص الإلهية إليه.

(٢) ندبه: دعاه.

المدير، لكن هؤلاء الصالحين مقرَّبون، ونحن ندعوهم وننذر لهم
وندخل عليهم، ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا
فنحن نفهم أن الله هو الخالق المدير.

فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله؛ فإنهم يدعون عيسى
وعزيرًا والملائكة والأولياء يريدون ذلك^(١)، كما قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾^(٢)
[الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].
فإذا تأملت هذا تأملًا جيدًا:

- عرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية - وهو التفرد
بالخلق والرزق والتدبير -، وهم ينحون عيسى والملائكة والأولياء؛
يقصدون أنهم يقربونهم إلى الله ويشفعون عنده.
- وعرفت أن من الكفار - خصوصًا النصارى منهم - من يعبد الله
الليل والنهار، ويزهد في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها،
معتزلاً في صومعة عن الناس، ومع هذا كافرٌ عدوٌّ لله، مخلدٌ في
النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوه أو يذبح
له أو ينذر له.

وتبين لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيُّكَ ﷺ، وتبين

(١) أي: يريدون الوجاهة والشفاعة.

(٢) ﴿زُلْفَىٰ﴾: قُرْبَى. وهو اسمٌ أُقيم في مقام المصدر. والمعنى: إِلَّا
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ تَقَرُّبًا، ويشفَعُوا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ.

لك أن كثيرًا من الناس عنه بمَعزِل، وتبين لك معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ»^(١).

فَاللَّهُ اللَّهُ - يا إخواني -؛ تمسكوا بأصل دينكم، وأوِّله وآخره، وأُسَّه ورأسه: شهادة «ألا إله إلا الله». واعرفوا معناها، وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم - ولو كانوا بعيدين -، واكفروا بالطواغيت، وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفّرهم، أو قال: «ما عليّ منهم»، أو قال: «ما كلفني الله بهم»؛ فقد كذب هذا على الله وافتري، فقد كلفه الله بهم، وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم - ولو كانوا إخوانه وأولاده -.

فَاللَّهُ اللَّهُ؛ تمسكوا بذلك؛ لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئًا، اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه، تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرًا من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا بَجَحْتُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۝﴾ [الإسراء: ٦٧].

فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ، ولم يستغيثوا بهم؛ بل أخلصوا لله وحده لا شريك له، واستغاثوا به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا. وأنت ترى المشركين من أهل زماننا - ولعل بعضهم يدّعي أنه من أهل

(١) رواه مسلم (١٤٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

العلم، وفيه زهدٌ واجتهاد وعبادة -، إذا مسه الضرُّ قام يستغيث
بغير الله مثل معروف أو عبدالقادر الجيلاني، وأجلّ من هؤلاء مثل
زيد بن الخطاب والزبير، وأجلّ من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ،
فالله المستعان.

وأعظم من ذلك وزراً أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة
والمردة، مثل شُمسَان وإدريس ويونس وأمثالهم^(١).
والله سبحانه أعلم، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على
خير خلقه محمدٍ وآله أجمعين.



(١) تقدم الكلام عن هؤلاء الطواغيت ص (٢٠٠).

[٦]

القواعد الأربعة

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّأَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شُكْرًا، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبْرًا، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ لَطَاعَتَهُ - أَنْ الْحَنِيفِيَّةَ - مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ - أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) [الذاريات].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَسْمَى «عِبَادَةً» إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَسْمَى «صَلَاةً» إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشَّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ؛ كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشَّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ = عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَخْلُصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ - وَهِيَ الشَّرْكُ بِاللَّهِ - الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]؛ وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ:

📖 القاعدة الأولى:

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقْرُونُونَ بِأَنَّ اللَّهَ

تعالى هو الخالق المدبر، وأنَّ ذلك [وحده] لم يُدْخِلْهُمْ في الإسلام.
والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ
يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ ۖ﴾ [يونس].

القاعدة الثانية:

أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجَّهنا إليهم إلا لطلب القربة
والشفاعة:

فدليل القربة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا
نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

ودليل الشفاعة: قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يُضُرُّهُمْ^(١) وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية [يونس: ١٨].

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة:

فالشفاعة المنفية: ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا
الله.

والدليل: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ^(٢) وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة].
والشفاعة المثبتة: هي التي تُطلب من الله، والشافع مُكْرَمٌ بالشفاعة.

(١) قد يقول قائل: وهل يحبُّ أحدٌ أن يعبد ما يضرُّه؟ فالجواب أن
المقصود: يعبدون ما لا يضرهم إذا عَصَوْه وخالفوا أمره؛ فإلهم
عاجزٌ قاصر، لا يضرهم إذا عَصَوْه، ولا ينفعهم إذا أطاعوه؛ فكيف
يعبدون ما هذا وصفه من دون العليم القدير؟!

(٢) ﴿خُلَّةٌ﴾: المحبة.

والمشفوعُ له: من رضيَ اللهُ قوله وعمله - بعد الإذن -، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

القاعدة الثالثة:

أَنَّ النبي ﷺ ظهر على أناسٍ متفرِّقين في عباداتهم:

- منهم مَنْ يعبدُ الملائكة.

- ومنهم من يعبدُ الأنبياء والصالحين.

- ومنهم من يعبدُ الأحجار والأشجار.

- ومنهم مَنْ يعبدُ الشمس والقمر.

وقاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرِّق بينهم.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾^(١) وَيَكُونَ

الَّذِينَ كُلَّهُمُ اللَّهُ ﴿[الأنفال: ٣٩].

ودليل الشمس والقمر: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ ﴿[فصلت: ٣٧].

ودليل الملائكة: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ

إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ

أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ [سبأ].

ودليل النبيين: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ

لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ

لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ

(١) الفتنة: الشرك والكفر بالله تعالى.

عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٢﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧٣﴾ [المائدة].

ودليل الصالحين: قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾^(١) ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ [الإسراء].

ودليل الأحجار والأشجار: قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم].

وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين - ونحنُ حداثاء عهدٍ بكفر -، وللمشركين سُدْرَةٌ يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم - يقال لها: ذات أنواط -، فمررنا بسدرة؛ فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط ...» الحديث^(٢).

القاعدة الرابعة:

أَنَّ مشركي زماننا أغلظُ شركًا من الأوَّلين؛ لأنَّ الأوَّلين يُشركون في الرخاء ويخلصون في الشدَّة، ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدَّة.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْم إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(١٥) [العنكبوت].

(١) أي: لا يملكون رفع الضر عنكم بالكلية، ولا تحويله إلى غيركم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

واللّٰهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللّٰهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ.



[٧]

تلقين أصول العقيدة للعوام^(١)

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهّاب

(١) جاء العنوان في غير طبعة «وزارة الأوقاف»: «دلائل التوحيد».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا قيل لك: من ربك؟

فقل: ربي الله.

فإذا قيل لك: أي شيء ^(١) معنى الرب؟

فقل: المعبود المالك المتصرف.

فإذا قيل لك: أي شيء أكبر ما ترى من مخلوقاته؟

فقل: السماوات والأرض.

فإذا قيل لك: أي شيء تعرفه به؟

فقل: أعرفه بآياته ومخلوقاته؟

وإذا قيل لك: أي شيء أعظم ما ترى من آياته؟

فقل: الليل والنهار.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

[الأعراف]

فإذا قيل لك: أي شيء معنى «الله»؟

فقل: معناه: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

(١) في «الدرر السنية» (١/١٥٣)، وطبعة «وزارة الأوقاف» (١٥٦): «أيش»،

وكذا في جميع المواضع القادمة. والمثبت من بقية المطبوعات.

فإذا قيل لك: لأي شيء خلقك الله؟

فقل: لعبادته .

فإذا قيل لك: أي شيء عبادته؟

فقل: توحيده وطاعته .

فإذا قيل لك: ما الدليل على ذلك؟

فقل: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات].

وإذا قيل لك: أي شيء أول ما فرض الله عليك؟

فقل: كفر بالطاغوت، وإيمان بالله .

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الْإِذْنُ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ

الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

فإذا قيل لك: أي شيء «العروة الوثقى»؟

فقل: «لا إله إلا الله»؛ «لا إله» نفي، «إلا الله» إثبات .

فإذا قيل لك: أي شيء أنت نافٍ، وأي شيء أنت مثبت؟

فقل: نافٍ جميع ما كان يُعبد من دون الله، ومثبتُ العبادة لله

وحده لا شريك له .

فإذا قيل لك: ما الدليل على ذلك؟

فقل: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف].

فإذا قيل لك: أي شيء الدليل على ذلك؟

فقل: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾

هذا دليل النفي، ودليل الإثبات: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

فإذا قيل لك: أي شيء الفرقُ بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؟

فقل: توحيد الربوبية: فعلُ الرب؛ مثل الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وتدبير الأمور. وتوحيد الإلهية: فعلُك - أيها العبد -؛ مثل الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والرغبة، والرغبة، والنذر، والاستغاثة... وغير ذلك من أنواع العبادة.

فإذا قيل لك: أي شيء دينك؟

فقل: ديني الإسلام، وأصله وقاعدته أمران:

- الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والمواالة فيه، وتكفير من تركه.

- والإنذار عن الشرك في عبادة الله تعالى، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

وهو مبني على خمسة أركان: أولها شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت مع الاستطاعة.

ودليل الشهادة: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران].

ودليل أن محمدًا رسول الله: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

والدليل على إخلاص العبادة والصلاة والزكاة: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(١) [البينة].

ودليل الصوم: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١٨٣) [البقرة].

ودليل الحج: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾^(٩٧) [آل عمران].

وأصول الإيمان ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فإذا قيل لك: من نبيك؟

فقل: محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام -، بلده مكة، وهاجر إلى المدينة وعمره ثلاث وستون سنة؛ منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً. نبى بـ«اقرأ»، وأُرسِل «بالمدثر».

فإذا قيل: هو ميتٌ أو حي؟

فقل: مات، ودينه باقٍ إلى يوم القيامة.

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾^(٢) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ^(٣١) [الزمر].

(١) أي: دين الملة المستقيمة.

والناس إذا ماتوا يبعثون.

والدليل: قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ

﴿٥٥﴾ [طه].

والذي ينكر البعث كافر.

والدليل: قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثَوْا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُمْ

لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ [التغابن].

وصلّى الله على محمد وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.



[٨]

ثلاث مسائل

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم - رحمك الله تعالى - أنه واجبٌ على كل مسلمٍ ومسلمةٍ أن يتعلم ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:

أن الله خلقنا، ولم يخلقنا عبثًا، ولم يتركنا هملاً^(١)؛ بل أرسل إلينا رسولاً ومعه كتاب؛ من أطاعه فهو في الجنة، ومن عصاه فهو في النار.

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا^(٢)﴾ [المزمل].

المسألة الثانية:

أن أعظم ما جاء به هذا الرسول: ألا يُشركَ مع الله في عبادته أحدٌ.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا^(٣)﴾ [الجن].

المسألة الثالثة:

أن من وحّد الله وعبّد الله لا يجوز له موالاةٌ من حادّ الله ورسوله^(٣)، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.

(١) هملاً: بلا حساب.

(٢) ﴿وَبِيلًا﴾: شديداً عنيفاً.

(٣) والمحادّة: المعاندة والمعارضة.

والدليل: قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ^(١) وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].



(١) الرُّوح: النصر. وقيل: الإيمان. وقيل: القرآن وحُجته، وقيل: الرحمة. وقيل: جبريل عليه السلام. انظر: «تفسير البغوي» عند الآية الكريمة.

[٩]

رسالة في معنى «الطاغوت»

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم - رحمك الله تعالى - أن أول ما فرض الله على ابن آدم: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

📖 فأما صفة الكفر بالطاغوت:

أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها، وتعاديهم.

📖 وأما معنى الإيمان بالله:

أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود - وحده - دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سفة من رغب عنها، وهذه هي «الأسوة» التي أخبر الله بها في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

📖 [حقيقة الطاغوت]:

و«الطاغوت»: عامٌ في كل ما عُبد من دون الله، ورضي بالعبادة؛ من معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاعٍ في غير طاعة الله ورسوله^(١)،

(١) الفرق بين الثلاثة كالاتي:

فهو طاغوت .

📖 والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

🔸 الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله:

والدليل: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰ ءَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٦٠) [يس].

🔸 الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله:

والدليل: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦٠) [النساء].

🔸 الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله^(١):

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤) [المائدة].

= المعبود: ما صُرف له شيء من العبادة وخصائص الإلهية من دون الله تعالى، بأن يُعتقد فيه أنه يغيثه كيفما شاء، أو يملك غوثه، أو يملك الشفاعة له، أو أن يغفر له، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ.

المتبوع: مثل العلماء والقادة في الدين.

المطاع: مثل الملوك والأمراء والحكام ونحوهم.

والمراد بمجاوزة الحد فيهم جميعاً: إنزالهم غير منزلتهم، وطاعتهم فيما يخالف أوامر الله ﷻ.

(١) الفرق بين هذا والذي قبله:

- أن الأول تلاعب بأحكام الشريعة، وغيرها وبدلها.

- أما الثاني فقد تركها كما هي، لكنه أعرض عنها، وحكم بغيرها من القوانين والتشريعات البشرية.

الرابع: الذي يدّعي علم الغيب من دون الله:

والدليل: قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَن أَرِضْنا مِنْ رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝﴾ (١) ﴿٧٧﴾ [الجن].
وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝﴾ [الأنعام].

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة:

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝﴾ [الأنبياء].

📖 [شرط الإيمان الصحيح]:

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنًا بالله إلا بالكفر بالطاغوت.
والدليل: قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ (٢) ﴿٢٥٦﴾ [البقرة].
«الرشد»: دين محمد ﷺ.

و«الغي»: دين أبي جهل.

و«العروة الوثقى»: شهادة ألا إله إلا الله؛ وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له.



(١) أي: يجعل بين يديه وخلفه حَفَظَةً من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يَسْتَرْقُوا السمع، ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيُلْقُوهُ إلى الكهنة.

[١٠]

الأصول الثلاثة

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين،
وإمام المتقين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فاعلموا - وفقكم الله لمراضيه، وجنبكم طريق معاصيه - أن من
الواجب على كل مسلم ومسلمة معرفة ثلاثة أصول، والعمل بهن :

📖 **الأصل الأول: في معرفة العبد ربّه:**

فإذا قيل لك - أيها المسلم -: من ربك؟

فقل: ربي الله الذي رباني بنعمته، وخلقني من عدم إلى وجود.
والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

﴿٥١﴾ [آل عمران].

وإذا قيل لك: بأي شيء عرفت ربك؟

فقل: بآياته ومخلوقاته.

فأما الدليل على آياته: فهو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن
كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [فصلت].

وأما الدليل على مخلوقاته: فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ
حَيْثُا ^(١) وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

(١) ﴿حَيْثُا﴾: مسرعًا. أي: يأتي الليل وراء النهار سريعًا - وكذا العكس - ، =

الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف].

وإذا قيل لك: لأي شيء خلقك الله؟

فقل: خلقتني لعبادته، وطاعته، واتباع أمره، واجتناب نهيه.

فدليل العبادة: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾

[الذاريات].

ودليل الطاعة: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

يعني: كتاب الله، وسنة نبيه.

وإذا قيل لك: أي شيء أمرك الله به؟ وأي شيء نهاك عنه؟

فقل: أمرني بالتوحيد، ونهاني عن الشرك^(١).

ودليل الأمر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ...﴾ الآية

[النحل: ٩٠].

ودليل النهي^(٢): قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا

دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

[وقوله]: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا

= كأن كل واحدًا منهما يجري وراء الآخر.

(١) لم يقصد الإمام - بالطبع - أن التوحيد فقط هو كل الأمور؛ لكنه أعلاها وأجلها، وبدونه لا ينفع شيء. وكذلك ليس الشرك - فقط - هو كل ما نهى الله ﷻ عنه؛ لكنه أعلى المنهيات، وبوجوده لا ينفع شيء.

(٢) وما يأتي في الآيات «نفي»؛ لكن المراد به «النهي»، والنفي أقوى من النهي الصريح - كما قرر أهل العلم -.

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ [المائدة].

📖 الأصل الثاني: في معرفة دين الإسلام:

فإذا قيل لك: ما دينك؟

فقل: ديني الإسلام، وهو: الاستسلام، والإذعان، والانقياد إلى طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ^(١).

[وقوله]: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران].

وهو مبني على خمسة أركان:

الأول: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

الثاني: إقامة الصلاة.

الثالث: إيتاء الزكاة.

الرابع: صوم رمضان.

الخامس: حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

و«السبيل»: الزاد والراحلة ^(٢).

(١) هذه قاعدة عامة على مدار التاريخ؛ فليس لله ﷻ دينٌ سوى الإسلام،

فمن الخطأ الفادح أن يقال: «الأديان الثلاثة» - ونحو ذلك -، بل جميع الرسل ﷺ إنما جاؤوا بالإسلام، وكان دينهم الإسلام. وسوف تأتي طائفة من الأدلة على ذلك في كتاب «العبودية» لشيخ الإسلام.

(٢) مع «القدرة»، وهي إما أن تكون بالنفس، أو بإنابة الغير - كما هو معلوم -.

فدليل الشهادة: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران].

ودليل أن محمداً رسول الله: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ودليل الصلاة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (١) [النساء].

ودليل الزكاة: قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ودليل الصوم: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ﴾ [البقرة: ١٨٢].

وإذا قيل لك: الصيام شهر؟

فقل: نعم.

والدليل: قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ الآية [البقرة: ١٨٥].

وإذا قيل لك: الصيام في الليل أو في النهار؟

فقل: في النهار.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْإِيلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ودليل الحج: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران].

وإذا قيل لك: ما الإيمان؟

فقل: هو أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره كله من الله.

والدليل: قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ودليل القدر: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر].

وإذا قيل لك: ما الإحسان؟

فقل: هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وإذا قيل لك: مُنْكَرُ الْبَعْثِ كافر؟

فقل: نعم.

والدليل: قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

📖 **الأصل الثالث: في معرفة نبينا محمد ﷺ:**

فإذا قيل لك: من نبيُّك؟

فقل: محمد ﷺ بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم. وهاشم من قريش، وقريش من كنانة، وكنانة من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

وإذا قيل لك: من أول الرسل؟

فقل: أولهم نوح. وآخرهم وأفضلهم: محمد ﷺ.

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

وإذا قيل لك: هل بينهم رسل؟
فقل: نعم^(١).

(١) اعلم - علمني الله وإياك - أن الشائع عند كثير من أهل العلم أن الفارق بين الأنبياء والرسل: أن «الأنبياء» أُوحي إليهم بشرع ولم يؤمروا بتبليغه، بينما «الرسل» أُوحي إليهم بشرع، وأُمروا بتبليغه. والصنف الأخير - بلا ريب - أعلى مقامًا، لقيامهم بأعباء الدعوة ونشر الحق ونهي المنحرفين عن المنكرات.

لكنَّ هذا الفرق بين الأنبياء والمرسلين ليس متفقًا عليه؛ بل إن التفرقة السابقة فيها نظرٌ لعدة أمور:

أولاً: أن هذا الفرق السالف خلاف ظاهر القرآن الكريم؛ حيث قال ربُّنا ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...﴾ الآية [الحج: ٥٢]؛ فدلَّت الآية على أن الصنفين جميعًا أرسلوا بالإبلاغ.

ثانيًا: أن ترك الإبلاغ كتمانٌ لوحي الله ﷻ، والله لا يُنزل وحيه ليكتُم ويُدفن في صدرٍ واحدٍ من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته.

ثالثًا: قول رسول الله ﷺ - فيما يرويه عنه ابن عباس رضيهما -: «عُرِضَتْ عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبيُّ معه الرجل، والنبيُّ معه الرجلان، والنبيُّ معه الرهط، والنبيُّ ليس معه أحد». رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠). فدلَّ هذا الحديث على أن الأنبياء ﷺ مأمورون بالبلاغ، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم.

والتعريف المختار: أن «الرسول» مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد، و«النبي» هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. انظر: «روح المعاني» للآلوسي (١٥٧/٧).

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «كانت بنو إسرائيل تُسوِّسُهم الأنبياء، كلما =

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وإذا قيل لك: نبينا محمد ﷺ بشر؟
فقل: نعم.

والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾ الآية [الكهف: ١١٠].

وإذا قيل لك: كم عمره؟

فقل: ثلاث وستون سنة؛ منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، نُبِّئَ بـ«اقرأ»، وأُرسل بـ«المدثر»، وخرج على الناس؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فكذبوه وآذوه وطرَدوه، وقالوا: ساحرٌ كذاب؟ فأنزل الله عليه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ

= هلك نبيُّ خلفه نبيًّا». رواه البخاري (٣٤٥٥)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأنبأ بني إسرائيل كلُّهم مبعوثون بشريعة موسى عليه السلام - التوراة -، وكانوا مأمورين بإبلاغ قومهم وحي الله إليهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالَوا لِنَبِيِّ لَهُمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا...﴾ الآية [البقرة: ٢٤٦]، فالنبي - كما يظهر من الآية - يُوحَى إليه شيءٌ يُوجب على قومه أمراً، وهذا لا يكون إلا مع وجوب التبليغ.

واعتبر في هذا بحال داود وسليمان وزكريا ويحيى عليهم السلام؛ فهؤلاء جميعاً أنبياء، وقد كانوا يقومون بسياسة بني إسرائيل، والحكم بينهم وإبلاغهم الحق، والله أعلم بالصواب. اهـ.

انظر: «الرسل والرسالات»، للشيخ عمر الأشقر رحمته الله ص (١٤ - ١٥).

وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ [البقرة].

وبلده مكة، ووُلد فيها، وهاجر إلى المدينة، وبها تُوفي، ودُفن جسمه، وبقي علمه.

وهو نبيٌّ لا يُعبد، ورسولٌ لا يُكذَّب؛ بل يطاعُ ويُتَّبَع، صلوات الله وسلامه عليه.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) في ختام هذه الرسالة النفيسة أحببتُ تبصير القارئ الكريم بأمرٍ وقع معي، من باب «إن لصاحب الحق مقالاً»، وكذا تبرئةً لنفسي أمام الإخوة الكرام، وإظهاراً لحقِّ أراه لا يتجلَّى إلا بالأيضاح؛ ذلك أنني في بداية طلبي للعلم أسندتُ إليَّ صاحب دار «السلف الصالح» في مصر «مراجعة» هذه الرسالة «الأصول الثلاثة»، فقامت بمراجعتها، ولم أعلق عليها بأيّ تعليق يُذكر، ولم أضع فيها ولا حاشيةً واحدةً، ولم أضع عليها اسمي - فإن المُراجِع لا يوضع اسمه على غلاف الكتاب أصلاً -! وبعدها انقطعت علاقتي بتلك الدار تمامًا، ثم فوجئت منذ فترة ببعض الإخوة التابعين لـ «دار الآثار» في اليمن أنه يُشيع عني أنني سرقت تحقيق طبعتهم من «ثلاثة الأصول»، ونشرتها «بحواشيها» في «دار السلف الصالح»، ووضعتُ عليها اسمي!! فاستنكرت الأمر تمامًا، وأخبرتهم ببراءتي من تلك الفُرْية، وأنني لم أضع أيّ حاشيةٍ في طبعتي أصلاً؛ لأنني لم أفعل فيها شيئاً سوى «المراجعة» اللغوية - كما ذكرتُ لكم -، فأخبروني أنها لا زالت مطبوعةً في «دار السلف الصالح» واسمي عليها من الخارج! فتواصلتُ مع صاحب الدار مستفهماً منه عن الأمر، وطلبت منه أن يرسل آخرَ النسخ المطبوعة من الرسالة، فلما أرسلها فوجئتُ بأنها نسخةٌ مغايرةٌ تمامًا للنسخة التي راجعتها؛ بل ووجدتُ عليها - أيضًا - اسمي على غلافها الخارجي بدون علمي! فلما سألتُ صاحب =



= الدار عن ذلك؛ أخبرني صراحةً أنه وضع اسمي عليها من باب التسويق - مع أنني لم أكن معروفًا للقراء أصلاً -!! فقلت له: الإشكال الأكبر أن هذه النسخة ليست نفس النسخة التي راجعْتُها، ولا أعلم عنها شيئًا، وأخبرته بما اتهمتنِي به «دار الآثار» من سرقة نسختهم، فأنكر صاحب «دار السلف الصالح» في البداية، وأصرَّ على أنها نسختي، فأرسلت إليه صورة «PDF» من نسختي الحقيقية، وطالبته بتقضي الأمر، وبعد أخذٍ وردٍّ بيني وبينه ظهرت الحقيقة، وأن صاحب هذه الدار بعد أن نفذت الطبعة الأولى من نسختي، طلب من أحد من يَصِفُّون الكتب على الحاسوب أن يعيد صفَّها مرةً أخرى لطبعةٍ جديدة، لكن بدلًا من أن يقوم هذا الأخ بصفِّ نسختي كما هي، بحث عن نسخة نصيَّة جاهزة «WORD» على الشبكة الدولية «الإنترنت»، فوقع على طبعة «دار الآثار» بحواشيها، وقام بتنسيقها، ثم أعادها إلى صاحب «دار السلف الصالح» الذي قام بطباعتها مباشرةً، مع وضع اسمي - أيضًا - عليها بدون علمي، وقد اعترف صاحب «دار السلف الصالح» بذلك بعدما تبَيَّن له الأمر، فلما رآها أصحاب «دار الآثار» منشورةً بحواشيها ظنُّوا أنني سرقتُ نسختهم، ووضعتُ عليها اسمي!! وبعد ظهور الحقيقة أخبرتهم بها، وبرأتُ نفسي عندهم. لكنَّ أسوأ ما في الأمر أن صاحب «دار السلف الصالح» بعد اعترافه بالحقيقة؛ بدلًا أن يقدِّم إليَّ اعتذارًا عمَّا سبَّه لي من اتهام باطل وتشويهٍ لسمعتي العلمية؛ وجدته يخاطبني بطريقةٍ فجَّة، ورفض إظهار الحق الذي عرفه!

وإنما ذكرتُ هذه الواقعة لأن طالب العلم فينا إذا سقطت «أمانته العلمية»؛ فلن تقوم له قائمة، وسوف يشنَّع عليه بالباطل هنا وهناك، وأعوذ بالله تعالى من الغش والخيانة وسرقة جهود الآخرين. ولله الأمر من قبلُ ومن بعد.

[١١]

الجامع لعبادة الله وحده

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فإن قيل: فما الجامع لعبادة الله وحده؟

قلت: طاعته بامتنال أو امره، واجتناب نواهيه.

فإن قيل: فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله؟

قلت: من أنواعها: الدعاء، والاستعانة والاستغاثة، وذبح القربان والنذر، والخوف والرجاء، والتوكل والإنابة، والمحبة والخشية، والرغبة والرغبة والتأله، والركوع والسجود، والخشوع والتذل والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية.

ودليل الدعاء: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا

﴿١٨﴾ [الجن].

وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

﴿١٤﴾ [الرعد].

ودليل الاستعانة: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

[الفاتحة].

ودليل الاستغاثة: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ

[الأنفال: ٩].

ودليل الذبح: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ [الأنعام].

ودليل النذر: قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا

[الإنسان].

ودليل الخوف: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ﴾ (١) فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ [آل عمران].

ودليل الرجاء: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَمن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١) [الكهف].

ودليل التوكل: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٣) [المائدة].

ودليل الإنابة: قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُواْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُواْ لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].
ودليل المحبة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ودليل الخشية: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ودليل الرغبة والرغبة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (٩٠) [الأنبياء].
ودليل التأله: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٣) [البقرة].

ودليل الركوع: والسجود قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧٧) [الحج].

ودليل الخشوع: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا﴾ [آية آل عمران: ١٩٩]، ونحوها.

فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير الله، فقد أشرك بالله غيره.

فإن قيل: فما أجلُّ أمرٍ أمَرَ الله به؟

قيل: توحيده بالعبادة، وقد تقدم بيانه، وأعظمُ نهْيٍ نهَى الله عنه الشرك به، وهو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذهُ ربّاً وإلهاً، وأشرك مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة.

وقد تقدم من الآيات ما يدلُّ على أن هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه وأنكره على المشركين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة].
والله أعلم.



[١٢]

فوائد من سورة «الفاتحة»

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٣).

تضمنت ثلاث آيات ثلاث مسائل:

الآية الأولى: فيها المحبة؛ لأن الله منعم، والمنعم يُحِبُّ على قدر إنعامه.

والمحبة تنقسم إلى أربعة أنواع:

١ - محبة شركية: وهي محبة الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ (١) يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (٢) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (٣) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي أَنَّ كُنَّا كَرَّةً (٤) فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (٥) [البقرة].

٢ - المحبة الثانية: حُبُّ الباطل وأهله، وبُغْضُ الحق وأهله؛ وهذه صفة المنافقين.

٣ - والمحبة الثالثة: طبيعية، وهي محبة المال والولد، فإذا لم تشغل عن طاعة الله، ولم تُعِنْ على محارم الله، فهي مباحة.

(١) الأنداد: الأمثال والأشباه. ويأتي - أيضًا - بمعنى: «الصد»، فهذا اللفظ من الأضداد كما قال الإمام ابن الأثير رحمه الله.

(٢) أي: ضاعت منهم أسباب الفلاح والنجاة. نسأله تعالى السلامة.

(٣) الكَرَّة: الرجعة.

٤ - والمحبة الرابعة: حب أهل التوحيد، وبغض أهل الشرك، وهي أوثق عرى الإيمان، وأعظم ما يعبدُ بها الإنسان ربّه. الآية الثانية: فيها الرجاء.

والآية الثالثة: فيها الخوف..

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي: أعبدك - يا رب - بما مضى من هذه (١) الثلاث: بمحبتك ورجائك وخوفك؛ هذه الثلاث أركانُ العبادة، وصرفُها لغير الله شرك.

وفي هذه الثلاث الرُّدُّ على من تعلق بواحدةٍ منها، كمن تعلق بالمحبة وحدها، أو تعلق بالرجاء وحده، أو تعلق بالخوف وحده، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك.

وفيها من الفوائد: الرد على ثلاث الطوائف التي كلُّ طائفةٍ تَعَلَّقُ بواحدة منها:

- كمن عَبَدَ الله بالمحبة وحدها.

- وكذلك من عَبَدَ الله بالرجاء وحده كالمرجئة.

- وكذلك من عَبَدَ الله بالخوف وحده كالخوارج.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ (٢).

وأما ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ ففيها توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية:

(١) في المطبوعات وكذا «الدرر السنية» (١٣/١٧): «بهذه»، ولعل الأدق ما أثبتّه.

(٢) لم تذكر هذه الآيات الثلاث الكريمة في المطبوعات، وأثبتها للفائدة.

[الآية الرابعة]: ﴿يَاكَ نَعْبُدُ﴾ فيها توحيد الألوهية. ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِثُ﴾ فيها توحيد الربوبية.

[الآية الخامسة]: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فيها الرد على المبتدعين.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾



(١) ﴿٧﴾

وأما الآيتان الأخيرتان، ففيها من الفوائد:

١ - ذِكْرُ أحوال الناس؛ قسمهم الله ثلاثة أصناف: منعَّم عليه، ومغضوبٌ عليه، وضال:

فـ[النوع الأول]: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: أهل علم ليس معه عمل.

و[النوع الثاني]: ﴿الضَّالِّينَ﴾: أهل عبادة ليس معها علم.

وإن كان سبب التَّزُول في اليهود والنصارى، فهي لكل من اتصف بذلك (٢).

والنوع الثالث: من اتصف بالعلم والعمل، وهم المنعَّم عليهم.

٢ - وفيها من الفوائد: التبرُّ من الحول والقوة؛ لأنه منعَّم عليك.

٣ - وكذلك فيها: معرفة الله على التمام، ونفي النقائص عنه



٤ - وفيها: معرفة الإنسان نفسه، ومعرفة ربه؛ فإنه إذا كان ربُّ

فلا بد من مربوب، وإذا كان هنا عبدٌ فلا بد من معبود. وإذا كان

هنا هادٍ فلا بد من مهديٍّ؛ وإذا كان هنا منعَّم عليه فلا بد من منعَّم،

(١) لم تُذكر هذه الآية الكريمة في المطبوعات، وأثبتها للفائدة.

(٢) تبعًا للقاعدة العظيمة: «العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب».

وإذا كان هنا مغضوبٌ عليه فلا بد من غاضب؛ وإذا كان هنا ضالُّ
فلا بد من مُضِلٍّ.

فهذه السورة تضمنت الألوهية، والربوبية، ونفي النقائص عن
الله؛ وتضمنت معرفة العبادة وأركانها. والله أعلم.



[١٣]

نواقض الإسلام

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

و[قال تعالى]: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) [المائدة].

ومنه الذبح لغير الله؛ كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة،

ويتوكل عليهم؛ فقد كفر إجماعاً.

الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح

مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن

حكم غيره أحسن من حكمه؛ كالذي يفضل حكم الطواغيت على

حكمه، فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ - ولو عمل به -،

فقد كفر.

السادس: من استهزأ بشيء من دين الله، أو ثوابه، أو عقابه،

كفر.

والدلیل: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللّٰهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة].

السابع: السحر، ومنه الصَّرْف والعَطْف^(١)؛ فمن فعله أو رضي به كفر.

والدلیل: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مظاهره^(٢) المشركين، ومعاونتهم على المسلمين.

والدلیل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) [المائدة].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعُه الخروج عن شريعة محمد ﷺ - كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام -، فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه، ولا يعمل به.

والدلیل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ (٢٢) [السجدة].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا؛ فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه؛ نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

(١) الصَّرْف: صرف قلب الرجل عن امرأته أو العكس. والعطف: تحبيبه فيها أو العكس.

(٢) المظاهرة: المناصرة.

وصلّى الله على خير خلقه محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



[١٤]

ستة أصول عظيمة

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ أعجب العجائب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة المَلِكِ الغَلَّابِ: ستة أصول، بَيَّنَّها اللهُ تعالى بيانًا واضحًا للعوام، فوق ما يظن الظانون، ثم بعد ذلك غَلِطَ فيها أذكِياءُ العالم، وعقلاء بني آدم، إلا أقل القليل.

الأصل الأول: إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وبيان ضده، الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى، بكلام يفهمه أبلدُ العامة. ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقُصِ الصالحين، والتقصير في حقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين، واتباعهم.

الأصل الثاني: أمر الله بالاجتماع في الدين، والنهي عن التفرق؛ فبين الله هذا بيانًا شافيًا تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا. وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين، ونهاهم عن التفرق فيه.

ويزيده وضوحًا ما وردت به السنة من العجب العجائب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع لا يقوله إلا زنديق أو مجنون!

الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا - ولو كان عبدًا حبشيًّا -؛ فبين النبي ﷺ هذا بيانًا شائعًا ذائعًا

بكل وجهٍ من أنواع البيان شرعاً وقدرًا، ثم صار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر من يدعي العلم؛ فكيف العمل به؟!

الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء، وبيان مَنْ تشبَّه بهم وليس منهم، وقد بيَّن الله تعالى هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله لبني إسرائيل: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] إلى قوله - قبل ذكر إبراهيم عليه السلام -: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلُ...﴾ [البقرة: ١٢٢] الآية .

ويزيده وضوحًا ما صرَّحت به السنة في هذا من الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديقٌ أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه، وصنف في التحذير منه والنهي عنه = هو الفقيه العالم!

الأصل الخامس: بيان الله سبحانه لأولياء الله، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله، والمنافقين والفجار، ويكفي في هذا آيةٌ في آل عمران، وهي قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ [آل عمران: ٣١] الآية، وآية في المائدة؛ وهي قوله: ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ [المائدة: ٥٤] الآية، وآية في يونس، وهي قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] الآية، والآية [يونس: ٦٣] ﴿يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم، وأنه من هداة الخلق وحُفَاطَ الشرع = إلى أن الأولياء لابد فيهم من ترك اتباع الرسل،

وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ.

يا ربنا، نسألك العفو والعافية؛ إنك سميع الدعاء.

الأصل السادس: ردُّ السنة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي - أي: السنة التي وضعها الشيطان - هي أن القرآن والسنة لا يعرفها إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا، أو صافًا لعلها لا توجد تامةً في أبي بكر وعمر!! فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضًا حتمًا لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق وإما مجنون لأجل صعوبتهما! سبحان الله وبحمده!

والأمر برد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى أمر
الضروريات العامة، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٧) [الأعراف]، ﴿لَقَدْ
حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْلَلاً فَهِيَ إِلَى
الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا
فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبُ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ
كَرِيمٍ ﴿١١﴾ [يس].

آخره، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد،
وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.



[١٥]

فوائد حول قوله ﷺ :

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد:

فهذه عشر درجات:

الأولى: تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة. وقد خالف فيها من خالف.

الثانية: أنها منكرٌ يجب فيها البغض. وقد خالف فيها من خالف.

الثالثة: أنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة. وقد خالف فيها من خالف.

الرابعة: أن هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره، وقد خالف فيها من خالف.

الخامسة: أن المسلم إذا اعتقده، أو دان به كفر. وقد خالف فيها من خالف.

السادسة: أن المسلم الصادق إذا تكلم به^(١) هازلاً، أو خائفاً، أو طامعاً، كفر بذلك لعلمه، وأين ينزل القلب هذه الدرجة ويصدقها بها^(٢)؟ وقد خالف فيها من خالف.

السابعة: أنك تعمل معه عملك مع الكفار؛ من عداوة الأب والابن، وغير ذلك. وقد خالف فيها من خالف.

(١) يعني الشرك.

(٢) كذا وردت هذه العبارة في المطبوعات.

الثامنة: أن هذا معنى «لا إله إلا الله»، و«الإله» المألوه، والتألهُ عملٌ من الأعمال، وكونه منفياً عن غير الله تركٌ من الشُّرك.
التاسعة: القتال على ذلك ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

العاشرة: أن الداعي لغير الله لا يُقبل منه الجزية، كما يقبل من اليهود، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود؛ لأنه أغلظ كفرًا. وكل درجة من هذه الدرجات، إذا عملت بها تخلف عنك بعض من كان معك، والله أعلم^(١).



(١) جاء بعدها في المطبوعات و«الدرر السنية» (٤٢٦/١٣) ما يلي: «وقوله عند كل درجة: «وقد خالف فيها من خالف»: [هم] ناسٌ يعتقدون أن دعوة غير الله جائزة! والرسولُ ومن آمن به مخالفون لهم، و[منهم أيضًا] ناسٌ لا يكفرون بالطاغوت، ولا يبغضونه! والرسول وأتباعه مخالفون لهم؛ بل ملة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله... وهكذا سائر الدرجات، والله أعلم» اهـ.

قلت: وليست في أصل رسالة الإمام رَحِمَهُ اللهُ فِي «مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان». والواضح أنها من شرح بعض المعلقين، والله تعالى أعلم.

[١٦]

فوائد حول قوله ﷺ :

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي ﴾

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ وَأَمَرْتُ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤) وَأَن أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٦) [يونس].

فيه ثمانى حالات (١):

الحالة الأولى: ترك عبادة غير الله مطلقاً، ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة، كما جرى لسعدٍ مع أمه (٢).

(١) في بعض المطبوعات بعدها: «وقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠) [الروم] اهـ. وحذفها أصح، كما في «الدرر السنية» (٢١٤/١٣).

(٢) يقصد القصة المشهورة التي قال فيها ﷺ: «كنت رجلاً برّاً بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد، ما هذا الذي أراك قد أحدث؟ لتدعن دينك هذا، أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعير بي، فيقال: يا قاتل أمه! فقلت: لا تفعل - يا أمه -؛ فإني لا أدع ديني هذا لشيء. فمكثت يوماً وليلة لم تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً آخر وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتدَّ جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه، تعلمين - والله - لو كانت لك مئة نفس؛ فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء؛ فإن شئت فكلي، وإن شئت لا تأكلي. فأكلت» اهـ. حسن - إن شاء الله - : رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣١/٢٠)، والواحدى في «أسباب النزول» (٣٣٦)، والطبراني في «العشرة» - كما =

الحالة الثانية: أن كثيرًا من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه، لا يفتن لما يريد الله من قلبه من إجلاله وإعظامه وهيبته؛ فذكر هذه الحال بقوله: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم﴾ [يونس: ١٠٤].

الحالة الثالثة: إن قدّرنا أنه ظنّ وجود الترك^(١) والفعل منه، فلا بد من تصريحه منه بأنه من هذه الطائفة [المؤمنة؛ حتى يقويها ويتقوى بها، ويُفزع الطواغيت الذين لا يبلغون الغاية في العداوة؛ حتى يصرح لهم أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم]^(٢).

الحالة الرابعة: إن قدّرنا أنه ظنّ وجود هذه الثلاث؛ فقد لا يبلغ الجدّ في العمل بالدين. والجدّ والصدق هو إقامة الوجه للدين.

= في «تفسير ابن كثير» عند الآية (١٥) من سورة «لقمان»، و«سير أعلام النبلاء» (١٠٩/١)، -، وضعفه الشيخ ماهر الفحل في تحقيقه ل«أسباب النزول» (٣٣٦)، بينما قال الشيخ الحميدان في طبعته من نفس الكتاب ص(٣٤٢): «إسناده لا بأس به»، بينما قطع بحسنه الشيخ كمال بسيوني زغلول في تحقيقه لنفس الكتاب ص(٣٥٢). وأصل القصة في «صحيح مسلم» (١٧٤٨).

- (١) في المطبوع وبعض المصادر: «الشرك»، والمثبت أصح - إن شاء الله تعالى - ثم وجدته كذلك في مطبوع «وزارة الأوقاف»، ولله الحمد.
- (٢) ورد في المطبوعات وبعض النسخ - بدل ما بين المعقوفتين -: «ولو لم يقض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلاد كثير من الطواغيت؛ الذين لا يبلغون الغاية في العداوة، حتى يصرّح بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم». والمثبت من «الموالاتة والمعادة في الشريعة الإسلامية» للشيخ محماس الجلعود (١٧٣/١)، و«القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد»، للشيخ إسلام درباله ص(١١١)، ونقلاه جميعًا - نصًا - عن الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ. والله تعالى أعلم.

الحالة الخامسة: إن قَدَّرنا أنه ظُن وجود الحالات الأربع، فلا بد له من مذهبٍ ينتسب إليه، فأمر أن يكون مذهبُه الحنيفية، وترك كل مذهب سواها - ولو كان صحيحاً^(١) -، ففي الحنيفية عنه غُنية^(٢).

الحالة السادسة: أننا إن قَدَّرنا أنه ظُن وجود الحالات الخمس، فلا بد أن يتبرأ من المشركين، فلا يكثر سوادهم.

الحالة السابعة: إن قَدَّرنا أنه ظُن وجود الحالات الست، فقد يدعو من غير قلبه نبياً أو غيره لشيءٍ من مقاصده، ولو كان ديناً يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا - خصوصاً عند الخوف - أنه لا يدخل في هذا^(٣).

الحالة الثامنة: إن ظُن سلامته من ذلك كله، لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً، أو لغرضٍ من الأغراض، هل يصدُق الله أن هذا - ولو كان أصلح الناس - قد صار من الظالمين؟ أو يقول: «كيف أكفره»، وهو يحب الدين ويبغض الشرك؟! وما أعزَّ من يتخلص من هذا! بل ما أعزَّ من يفهمه وإن لم يعمل به! بل ما أعزَّ من لا يظنه جنوناً. والله أعلم^(٤).



(١) يقصد على افتراض صحة مذهب آخر غيرها. والله تعالى أعلم.

(٢) لا سيما وقد نسخت كل ما قبلها.

(٣) كذا في جُل المطبوعات و«الدرر السنية»، وهي بحاجة إلى إيضاح. والله أعلم. بينما سقطت كليةً من طبعة وزارة «الأوقاف».

(٤) جاء في المطبوعات بعد ذلك رسالة بعنوان: «شروط الصلاة»، للإمام محمد بن عبد الوهاب، وقد بينت حالها في المقدمة.

[١٧]

شرح رسالة «أصل الإسلام وقاعدته»

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهَّاب

شرح الشيخ

عبد الرَّحْمَن بن حسن بن محمد بن عبد الوهَّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

□ قوله رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: «أصل دين الإسلام وقاعدته أمران: الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاته فيه، وتكفير من تركه».

قلت: وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تُحصَر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّيْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ الآية [آل عمران: ٦٤].

أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى «لا إله إلا الله» الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة هي: «لا إله إلا الله»؛ ففسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾؛ فقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ فيه معنى: «لا إله»، وهو نفي العبادة عما سوى الله، قوله: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص، فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده، ونفيها عن سواه.

ومثل هذه الآية كثير؛ يبين أن الإلهية هي العبادة، وأنها لا يصلح منها شيءٌ لغير الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

معنى ﴿وَقَضَىٰ﴾: أمر ووَصَّى؛ قولان، ومعناهما واحد.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ فيه معنى «لا إله».

وقوله: ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ فيه معنى «إلا الله».

وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل، إذ قالوا لقومهم:

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]؛ فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً، والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ١٦]؛ فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يُعبد من دون الله.

وقال عنه عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨]؛ فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: هم الرسل - كما ذكره ابن جرير -.

وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا رحمه الله من التحريض على التوحيد، ونفي الشرك، والموالات لأهل التوحيد، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له؛ فإنَّ مَنْ فَعَلَ الشرك فقد ترك التوحيد، فإنهما ضدان لا يجتمعان؛ فمتى وُجد الشرك انتفى التوحيد.

وقد قال تعالى في حق من أشرك: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر: ٢٦]، فكفره تعالى باتخاذ الأنداد - وهم الشركاء في العبادة -.

وأمثال هذه الآيات كثير؛ فلا يكون المرء موحدًا إلا بنفي الشرك، والبراءة منه، وتكفير من فعله.

ثم قال رحمه الله تعالى: «الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله».

[قلت]: فلا يتمُّ مقامُ التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل؛ [حيث] أنذروا قومهم عن الشرك؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [٢٥] [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحقاف: ٢١].

وقوله: «في عبادة الله»: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

وقوله: «والتغليظ في ذلك»: وهذا موجودٌ في الكتاب والسنة؛ كقوله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [٥٠] وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ [٥١] [الذاريات]، ولولا التغليظ لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ما جرى من الأذى العظيم، كما هو مذكور في السَّيَر مفصلاً؛ فإنه بادأهم بسبِّ دينهم وعيب آلهم^(١).

وقوله: «والمعاداة فيه»، كما قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥]. والآيات في هذا كثيرةٌ جداً، كقوله تعالى: ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. والفتنة: الشرك^(٢).

(١) راجع التعليق ص (٢٤٠).

(٢) وهذه الآية من أصرح الأدلة على «جهاد الطلب»؛ خلافاً لمن قصره على «جهاد الدفع». وانظر - مشكوراً - تعليقي على «جوامع الآداب» =

وَوَسَمَ تَعَالَى أَهْلَ الشَّرْكِ بِالْكَفْرِ فِيمَا لَا يُحْصَى مِنَ الْآيَاتِ، فَلَا بَدَّ مِنْ تَكْفِيرِهِمْ - أَيْضًا -، هَذَا هُوَ مُقْتَضَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» - كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ -؛ فَلَا يَتِمُّ مَعْنَاهَا إِلَّا بِتَكْفِيرِ مَنْ جَعَلَ لِلَّهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(١).

فَقَوْلُهُ: «وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» تَأْكِيدٌ لِلنَّفْيِ؛ فَلَا يَكُونُ مَعْصُومَ الدَّمِ وَالْمَالِ إِلَّا بِذَلِكَ، فَلَوْ شَكَّ أَوْ تَرَدَّدَ، لَمْ يُعْصَمْ دَمُهُ وَمَالُهُ.

فَهَذِهِ الْأُمُورُ هِيَ تَمَامُ التَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قُيِّدَتْ فِي الْأَحَادِيثِ بِقِيُودٍ ثَقُلَ؛ بِالْعِلْمِ وَالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ وَالْيَقِينِ وَعَدَمِ الشَّكِّ، فَلَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُوَحِّدًا إِلَّا بِاجْتِمَاعِ هَذَا كُلِّهِ، وَاعْتِقَادِهِ، وَقَبُولِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالْمَعَادَاةَ فِيهِ، وَالْمُوَالَاةَ؛ فَبِمَجْمُوعِ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ يَحْصُلُ ذَلِكَ.

□ ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «وَالْمُخَالَفُ فِي ذَلِكَ أَنْوَاعٌ: فَأَشَدُّهُمْ مُخَالَفَةً: مَنْ خَالَفَ فِي الْجَمِيعِ»: فَقَبِلَ الشَّرْكَ، وَاعْتَقَدَهُ دِينًا^(٢)، وَأَنْكَرَ التَّوْحِيدَ، وَاعْتَقَدَهُ بَاطِلًا - كَمَا هُوَ حَالُ الْأَكْثَرِ -! وَسَبَبُهُ الْجَهْلُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ، وَمَا يَنَافِيهِ مِنَ الشَّرْكِ وَالتَّنْذِيدِ، وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ وَمَا عَلَيْهِ الْآبَاءُ، كَحَالِ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ الرِّسْلِ؛ فَرَمَوْا أَهْلَ التَّوْحِيدِ بِالْكَذِبِ وَالزُّورِ،

= للإمام القاسمي (٢١٥ - ط: دار ابن الجوزي).

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) يقصد بالشرك هنا: الدعاء والذبح والنذر ونحو ذلك لغير الله ﷻ - كما سلف غير مرة -.

والبهتان والفجور، وحجتهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٧٤) [الشعراء].

وهذا النوع من الناس - والذي بعده - قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص، وما وُضعت له، وما تضمنته من الدين الذي لا يقبل الله دينًا سواه؛ وهو دين الإسلام الذي بعث الله به جميع أنبيائه ورسله، واتفقت دعوتهم عليه، كما لا يخفى فيما قص الله تعالى عنهم في كتابه.

□ ثم قال رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: «ومن الناس من عبد الله وحده، ولم يُنكر الشرك، ولم يُعادِ أهله».

قلت: ومن المعلوم أن من لم يُنكر الشرك لم يعرف التوحيد، ولم يأت به. وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك، والكفر بالطاغوت المذكور في الآية (١).

□ ثم قال رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: «ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم»: فهذا النوع - أيضًا - لم يأت بما دلت عليه «لا إله إلا الله» من نفي الشرك، وما تقتضيه من تكفير مَنْ فعله بعد البيان إجماعًا، وهو مضمون سورة «الإخلاص» و﴿قُلْ يَتَّيْنَاهَا الْكَافِرُونَ﴾، وقوله في آية «المتحنة»: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾، ومن لم يكفر من كفره القرآن، فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه.

□ ثم قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «ومنهم من لم يُحبَّ التوحيد، ولم يبغضه».

قلت (٢): مَنْ لم يُحبَّ التوحيد لم يكن موحدًا؛ لأنه هو الدين

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

(٢) في المطبوع و«الدرر السنية» (٢/٢٠٦): «الجواب: أن...»، وغيرتها =

الذي رضىه الله لعباده، كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؛ فلو رضى بما رضى به الله وعَمِلَ به لأحبه، ولا بد من المحبة؛ لعدم حصول الإسلام بدونها، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد.

□ قال الشيخ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه؛ فمن أحب الله أحب دينه، ومن لا فلا، والمحبة يترتب عليها كلمة الإخلاص، وهو من شروط التوحيد».

□ ثم قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «ومنهم من لم يُغْنِ الشُّركَ، ولم يحَبَّهُ».

قلت: ومن كان كذلك - فلم يَنْفِ ما نفته «لا إله إلا الله» من الشرك والكفر بما يُعبد من دون الله والبراءة منه -، فهذا ليس من الإسلام في شيء أصلاً، ولم يُعصم دمه ولا ماله كما دل عليه الحديث المتقدم^(١).

□ وقوله رَحِمَهُ اللهُ: «ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره».

قلت: من لم يعرف الشرك ولم ينكره، لم ينفه، ولا يكون موحداً إلا من نفى الشرك وتبرأ منه وممن فعله، وكفرهم. وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه «لا إله إلا الله»، ومن لم يُقَمِّ بمعنى هذه الكلمة ومضمونها فليس من الإسلام في شيء؛ لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علمٍ ويقين، وصدقٍ وإخلاص، ومحبةٍ وقبولٍ وانقياد، وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء، وإن قال: «لا إله إلا الله» فهو لا يعرف ما دلت عليه، ولا ما تضمنته.

= تبعاً لأخواتها.

(١) يعني حديث: «وكفر بما يُعبد من دون الله»، وهو صحيح: وقد تقدم.

□ ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «ومنهم من لم يعرف التوحيد، ولم يُنكره».

قلت^(١): هذا كالذي قبله، لم يرفعوا رأساً بما خُلقوا له من الدين الذي بعث الله به رُسله، وهذه الحال حال من قال الله فيهم: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان].

□ وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنهم - وهو أشد الأنواع خطراً -: من عمل بالتوحيد ولم يعرف قَدْرَه، ولم يبغض مَنْ تركه، ولم يكفرهم».

فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو أشد الأنواع خطراً» لأنه لم يعرف قدر ما عمل به، ولم يجئ بما يصحح توحيده من القيود الثقال التي لا بد منها، لِمَا علمت أن التوحيد يقتضي نفْيَ الشرك، والبراءة منه، ومعاداة أهله، وتكفيرهم، مع قيام الحجة عليهم، فهذا قد يُغترُّ بحاله، وهو لم يجئ بما عليه من الأمور التي دلَّت عليها كلمة الإخلاص نفياً وإثباتاً.

□ وكذلك قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنهم من ترك الشرك وكرهه، ولم يعرف قَدْرَه».

وهذا أقرب من الذي قبله، لكن لم يعرف قدر الشرك؛ لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلَّت عليه الآيات المحكمات؛ كقول الخليل عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف]، وقوله: ﴿إِنَّا بَرَاءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ [الممتحنة: ٤].

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه من أن يكون كذلك من الولاة

(١) في المطبوع و«الدرر»: «فأقول»، وغيَّرتُها تبعاً لأخواتها.

والبراء من العابد والمعبود^(١)، وبُغضِ الشرك وأهله وعداوتهم.
وهذان النوعان هما الغالب على أحوال كثير ممن يدعي الإسلام،
فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الإتيان بكلمة الإخلاص،
وما اقتضته على الكمال الواجب الذي يكون به موحدًا؛ فما أكثر
المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين!

فإذن عرفت أن الله كَفَّرَ أهل الشرك، ووصفهم به في الآيات
المحكمات كقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، وكذلك السنة.

□ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فأهل التوحيد والسُّنة يصدِّقون الرسل
فيما أخبروا، ويطيعونهم فيما أمروا، ويحفظون ما قالوا، ويفهمونه
ويعملون به، وينفون عنه تحريف الغالين^(٢)، وانتحال المبطلين^(٣)،
وتأويل الجاهلين، ويجاهدون من خالفهم^(٤) تقربًا إلى الله، وطلبًا
للجزاء من الله لا منهم^(٥).

وأهل الجهل والغلو لا يميِّزون بين ما أمروا به ونُهِوا عنه، ولا
بين ما صحَّ عنهم^(٦)، ولا ما كُذِّبَ عليهم، ولا يفهمون حقيقة

(١) أي: ممن عَبَدَ أو عُبِدَ من دون الله تعالى.

(٢) الغالين: الذين يخرجون الأمور عن حقيقتها التي وضعها عليها العليم
الحكيم ﷺ، فيجعلون المكروه حرامًا، والمستحبَّ أو المباح واجبًا...
ونحو ذلك، فيلزمون العباد بما لم يُلزمهم به أرحم الراحمين ﷺ؛
وهذه هي حقيقة الغلو.

(٣) المبطلين: الكذابين.

(٤) أي: من خالف الرسل.

(٥) أي: من الرسل.

(٦) أي: عن الرسل.

مرادهم، ولا يتحرّون طاعتهم؛ بل هم جهال بما أتوا به مُعظّمون لأغراضهم».

قلت: ما ذكره شيخ الإسلام يشبه حال هذين النوعين الأخيرين.

📖 [تكفير المعين]:

بقيت مسألة؛ حيث تكلم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو عدم تكفير المعين ابتداءً، لسبب ذكره رَحِمَهُ اللهُ أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه.

□ قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات - لا الأنبياء ولا الصالحين، ولا غيرهم - بلفظ «الاستغاثة» ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمتة السجود لميتٍ ولا إلى غير ميت، ونحو ذلك؛ بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الذي حرّمه الله ورسوله ﷺ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثيرٍ من المتأخرين، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبيّن [لهم] ما جاء به الرسول مما يخالفه». انتهى.

قلت: فذكر رَحِمَهُ اللهُ ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة، إلا بعد البيان والإصرار؛ فإنه قد صار أمةً وحده؛ لأن من العلماء من كفره^(١) بنهيه لهم عن الشرك في العبادة؛ فلا يمكنه أن يعاملهم إلا بمثل ما قال، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في ابتداء دعوته؛ فإنه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب، قال: «الله خير من زيد»! تمريناً لهم على نفي الشرك

(١) أي: كفر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ.

بليّن الكلام نظرًا إلى المصلحة وعدم النفرة.
والله تعالى أعلم.



[١٨]

أنواع التوحيد وأنواع الشرك

للشيخ

عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد:

اعلم - أرشدك الله تعالى - أن الله خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات].

والعبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

📖 أما التوحيد فهو ثلاثة أنواع:

- ١ - توحيد الربوبية.
- ٢ - وتوحيد الألوهية.
- ٣ - وتوحيد الأسماء والصفات.

📖 [النوع الأول]: توحيد الربوبية:

فهو الذي أقرَّ به الكفار على زمن رسول الله ﷺ، ولم يُدخلهم في الإسلام، وقاتلهم [عليه] رسولُ الله ﷺ، واستباح دماءهم وأموالهم، وهو توحيدُه بفعله تعالى^(١).

(١) أي: توحيدِه ﷻ من جهة ما يتعلق بأفعاله هو ﷻ؛ كالإحياء والإماتة، =

والدليل: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ ﴾ (٣١) ﴿ [يونس].

[وقوله]: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٤) ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٥) ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٨٦) ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ ﴾ (٨٧) ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ^(١) إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٨) ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ^(٢) ﴾ (٨٩) ﴿ [المؤمنون].

والآيات على هذا كثيرة جداً، وأكثر من أن تُحصَر، وأشهر من أن تذكر.

النوع الثاني - وهو توحيد الألوهية -:

فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد ^(٣)؛ كالدعاء، والنذر، والنحر، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والإنابة.

ودليل الدعاء: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٩٠) ﴿ [غافر].

= والبعث والرزق... إلخ.

(١) ﴿ يُحْيِي ﴾: يؤمن من يشاء. ﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾: من أَرَادَهُ ﴿ ﴾ بسوء فلن يستطيع أحد أن يحميه من بأسه جَلَّ وَعَلَا.

(٢) ﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾، أي: كيف تُخدعون وتصرفون عن توحيدهِ وطاعته، وكيف يخيّل لكم الحق باطلاً؟!

(٣) في المطبوع: «العبادة»، ولعل الأصح ما أثبتته.

وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن.
وأصل العبادة: تجريد الإخلاص لله تعالى - وحده -، وتجريد
المتابعة للرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا^(١)﴾ [الجن].
وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ^(٢) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ
بَشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ﴾ [الرعد].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ
الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج]. والآيات معلومات.

وقال تعالى: ﴿وَمَا إِلَانَكُمْ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].
وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران].

﴿ وأما النوع الثالث: فهو توحيد الذات والصفات ^(٣) :

(١) راجع التعليق على هذه الآية ص (١٨٥).

(٢) راجع التعليق على هذه الآية ص (١٨٥).

(٣) فائدة حول لفظ «الذات»:

بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أَنْ لفظة «ذات» في الكتاب والسنة
ولغة العرب لا تأتي إلا مضافة، كما قال ﷺ: ﴿وَأَصْلُهَا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾
[الأنفال: ١]، ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]،
وكقول القائل: «فلان ذو علم، وذو فضل...» ونحو هذا؛ فلما جاء =

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٣)﴾ [الإخلاص].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ (١٨٠)﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ (١١)﴾ [الشورى].

📖 [ما يضاد التوحيد]:

ثم اعلم أن ضد التوحيد: الشرك، وهو ثلاثة أنواع:

- شرك أكبر.

- وشرك أصغر.

- وشرك خفي.

📖 النوع الأول: شرك أكبر:

والدليل على الشرك الأكبر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

= المعتزلة وأشباعهم، وأرادوا نفي الصفات - المعبر عنها بلفظ «ذات» - نزعوا منها الإضافة، وقالوا: «الذات» - فقط -، وهذا اللفظ - بهذه الصورة - لفظٌ مؤلَّد لا يُعرف في كلام العرب العرباء.

انظر: «مجموع الفتاوى» (٩٨/٦ - ٩٩)، و«درء التعارض بين العقل والنقل» (١٤٠/٤)، و«حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين»، للشيخ عبدالرحيم السلمي (٢٧٩ - ٢٩٠)، وكذلك أفاد الإمام الزبيدي أن لفظة «ذات» ليست من كلام العرب، وإنما هو من اصطلاح المتكلمين. «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» (٢٨/٢).

(١) سيأتي الكلام تفصيلاً عن معنى «الصمد» في (٢٢٦/٢).

(٢) أي: ليس كمثله شيءٌ ﷻ.

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣﴾ [النساء].

[وقوله]: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٢﴾ [المائدة].

وهو أربعة أنواع:

■ النوع الأول: شرك الدعوة:

والدليل: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ﴾ ^(١) دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ [العنكبوت].

■ النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد:

والدليل: قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ^(٢) ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود].

■ النوع الثالث: شرك الطاعة:

والدليل: قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْكَبًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ^(٣) [التوبة].

وتفسيرها - الذي لا إشكال فيه -: طاعة العلماء والعُباد في المعصية؛ لا دعاؤهم إياهم ^(٣)؛ كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم

(١) و«الْفَلَكُ» لفظٌ مفرد، فانتبه.

(٢) ﴿يُبْخَسُونَ﴾: يُنْقَصُونَ.

(٣) أي: ليس المراد أنهم يدعونهم لجلب المنافع ودفع المضار.

لما سأله؛ فقال: لسنا نعبدهم؛ فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية^(١).

■ النوع الرابع: شرك المحبة:

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والنوع الثاني: الشرك أصغر - وهو الرياء -:

والدليل: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١].

والنوع الثالث: شرك خفي:

والدليل عليه: قوله ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النملة السوداء، على صفاة سوداء^(٢)، في ظلمة الليل^(٣)».

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) الصفاة: الصخرة.

(٣) صحيح - بنحوه -: رواه البزار (٣٥٦٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٦١)، والحاكم (٢٩١/٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٩٦/٨)، وابن الجوزي في «العلل» (١٣٧٨)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها. وأشار البزار إلى ضعفه، وحكم عليه العقيلي بأنه منكر لا أصل له. وصححه الحاكم، فتعقبه الذهبي بأن الدارقطني ضعف أحد رواته. وكلام الدارقطني في «العلل» (رقم: ٣٥٣٩)، بينما وافق المنذري الحاكم على التصحيح في «الترغيب» (٤٦٠٢)، وضعفه الهيثمي في «المجمع» (٢٢٣/١٠)، والشيخ حسين الداراني في تحقيقه (١٥٩/٢١)، وكذا محققو «المسند» (٣٨٥/٣٢) - تحت تحقيق حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الآتي قريباً -، وضعفه جداً الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٧٥٥).

وكفارته قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرُك من الذنب الذي لا أعلم»^(١).

= ويشهد لقسمه الأول: ما ورد من حديث أبي عليّ - رجل من بني كاهل - قال: حَظَبْنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِي، فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشَّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ. فقام إليه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَزَنٍ وَقيسُ بْنُ الْمُضَارِبِ؛ فقالا: وَاللَّهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قَلْتَ، أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عَمْرَ مَأْذُونٍ لَنَا أَوْ غَيْرِ مَأْذُونٍ. قال: بَلْ أَخْرَجَ مِمَّا قَلْتَ؛ حَظَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشَّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ». فقال له مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ -؟ قال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرُك لما لا نعلم». حسن: رواه أحمد (٤٠٣/٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥٨/٩)، والطبراني في «الأوسط» (٣٥٠٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٧/١٠). وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٢٢٣/١٠): «رجال أحمد رجال الصحيح؛ غير أبي عليّ [وهو رجل من بني كاهل]؛ وثقه ابن حبان اهـ. وحسنه لغيره الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٦)، وصححه بشواهده الشيخ بشير عيون في نسخته من «مجموعة التوحيد» (٩/١)، وحسنه الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١٦٠/٢١)، بينما ضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط. وانظر - لزماً -: تحقيق «المسند» (٣٨٤/٣٢) - ط: الرسالة). وانظر - أيضاً - التخريج التالي.

- (١) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٦)، وأبو يعلى (٥٨)، وابن عدي (٢٤٠/٧)، وابن حبان في «المجروحين» (١٣٠/٣)، والحاكم (٢٩١/٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١١٢/٧)، وهناد في «الزهد» (٨٤٩)، والمروزي في «مسند أبي بكر» (٦٣)، والدَّارَقُطْنِي في «العلل» (١٥)، وذكره ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٢٤/٢). من حديث أبي بكر =

والكفر كفران:

﴿أحدهما﴾: كفر يُخرج من الملة: وهو خمسة أنواع:

■ النوع الأول: كفر التكذيب:


والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٦٨) ﴿العنكبوت﴾.

■ النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق:

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٤) ﴿البقرة﴾.

■ النوع الثالث: كفر الشك - وهو كفر الظن -:

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥) ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (٣٦) ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ (٣٧) ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٣٨) ﴿الكهف﴾.

=  ونقل تضعيفه عن أهل العلم. وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٣٨٥/١٠): «رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم عن أبي محمد عن حذيفة، وليث مدلس، وأبو محمد إن كان هو الذي روى عن ابن مسعود، أو الذي روى عن عثمان بن عفان؛ فقد وثقه ابن حبان، وإن كان غيرهما فلم أعرفه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح» اهـ. وضعّفه الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٨٨٧)، وضعّفه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق «المسند» (٣٨٤/٣٢)، وكذا الشيخ حسين الداراني عند أبي يعلى (٥٨/١)، وعزاه في «الجامع الصغير» (٦٠٤٤) - أيضًا - للحكيم الترمذي، وصحّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٣١). وانظر السابق.

■ النوع الرابع: كفر الإعراض:

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣﴾ [الأحقاف].

■ النوع الخامس: كفر النفاق:

والدليل: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٢﴾ [المنافقون].

﴿ثانيهما﴾: وكفر أصغر لا يخرج من الملة: وهو كفر النعمة:

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ [النحل].

📖 وأما النفاق فنوعان: اعتقادي، وعملي:

﴿فأما الاعتقادي فهو ستة أنواع:

- ١ - تكذيب الرسول.
 - ٢ - أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول.
 - ٣ - أو بُغض الرسول.
 - ٤ - أو بغض ما جاء به الرسول.
 - ٥ - أو المَسَرَّة بانخفاض دين الرسول.
 - ٦ - أو الكراهية بانتصار دين الرسول.
- فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار.

﴿وأما العملي فهو خمسة أنواع:

والدليل: قوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ

أخلف، وإذا اتُّمِّنَ خان^(١)، «وإذا خاصم فَجَر»^(٢)، وإذا عاهد غدر»^(٣).
نعوذ بالله من النفاق والشَّقَّاق وسوء الأدب، والله أعلم.



-
- (١) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أي: إذا وقعت خصومة بينه وبين أحد، تعدَّى بالكذب والبهتان على خصمه.
(٣) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

[١٩]

التوحيد وطرد الشرك على المسلمين،
ومحاربة العلماء له

للشيخ

عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا.

اعلم أن أعظم شهادة، وأعرضها على الخلق قولاً وعملاً واعتقاداً = ما شهد الله به لنفسه من اختصاصه بالإلهية، دون جميع خلقه، أزلاً وأبداً.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران).

فكرر الشهادة به في هذه الآية؛ وأخبر أن ملائكته وأولي العلم شهدوا له بذلك جَلَّ وَعَلَا؛ وأخبر عباده بهذه الشهادة، ودعاهم إلى أن يشهدوا له بها.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (طه).

وقال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ (القصص: ٧٠).

وأخبر أنه بعث بهذه الشهادة الرسل جميعهم، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء)، فبين في هذه الآية وأمثالها - كقوله: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] - أن الإلهية هي العبادة؛ فإن الإله هو المألوه الذي

تأله القلوب، محبةً وتعظيمًا، وتذللًا وخضوعًا، وتوكلًا ورغبةً إليه، ورهبةً وخوفًا ورجاءً، وغير ذلك من أنواع العبادة.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وبين تعالى ما تضمنته هذه الشهادة من النفي والإثبات بقوله، عن خليله ﷺ، أنه قال لأبيه وقومه: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [٦١] إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ [الزخرف: ٢٨].

والكلمة هي: لا إله إلا الله، فعبر عنها الخليل بمعناها، فنفي ما نفتته هذه الكلمة من الشرك في العبادة؛ بالبراءة من كل ما يُعبد من دون الله، واستثنى الذي فطره، وهو الله سبحانه الذي لا يصلح من العبادة شيءٌ لغيره، كما قال تعالى: ﴿الرَّكَتُوبُ أُنْكَمَتَ عَيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [١] ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ١٦١]، فقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ فيه معنى: لا إله، وقوله: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة، وفي هذه الآيات نفى الإلهية عما سوى الله نفياً عاماً بـ«لا» النافية للجنس، وأثبت الإلهية له وحده دون كل ما سواه.

والآيات في معنى هذه الكلمة كثيرة في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ فقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ نفى استحقاق العبادة لغيره، وأثبتها لنفسه بقوله: ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

وأمر نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى هذه الكلمة، وما

وراجع حدیث ابن عباس رضی اللہ عنہما ص (۱۸۶).

عبدها قومُ نوح -، فعبدوها، وكثرت عبادة الأوثان والأصنام؛ فصار عند الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً على صورة من كانوا يعبدونه.

وعبدوا اللات والعزى ومناة وذا الخلصة، وغيرها مما لا يُحصى كثرةً، ولذلك أنكروا معنى «لا إله إلا الله» لما دعاهم النبي ﷺ إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله، فأبوا أن ينفوا ما نفته من عبادة الأوثان والأصنام، وأن يُخلصوا العبادة لله وحده.

ولمعرفتهم معنى هذه الكلمة نَهَوْا أبا طالب عن أن يقولها عند موته، لما قال له رسول الله: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجُ لك بها عند الله». قال له أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟^(١) علموا أنه لو قالها لترك عبادة غير الله وأنكرها، لمعرفتهم ما دلت عليه من النفي والإثبات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَكُمْ لَشَاعِرٍ تَجْنُونَ ﴿٣٦﴾ [الصفات].

وأما هذه الأمة فلما كثر الشرك فيهم - كما كثر في أولئك -، وبُنيت المساجد على القبور وعُبدت، وبُنيت المشاهد على اسم من بُنيت باسمه من الصالحين وعُبدت = صاروا يقولون: «لا إله إلا الله»، والشرك قد قام في قلوبهم، واتخذوه ديناً، فأثبتوا ما نفته هذه الكلمة من عبادة غير الله، وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص؛ فعكسوا مدلول هذه الكلمة العظيمة، بكونهم أثبتوا ما نفته من الشرك، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص الذي هو حقُّ الله على عباده،

فيقول قائلهم: «لا إله إلا الله»، وقد اعتقد عكس ما دلت عليه؛ وهذا غاية الجهل والضلال، يقول كلمة تتضمن النفي والإثبات، فلا يعرف ما نفت ولا ما أثبتت؛ هذا وهم فيما يقرؤونه، ويُقرئونه في مذاهبهم، وما كانوا يتعاطونه من العلوم = لا يجهلون مثل هذا.

وكثيرٌ منهم له في علم المعقول اليد الطولى، فسبحان الله! كيف جهلوا من ذلك ما دعت إليه الرسل من توحيد الله، ونفي الشرك الذي نَهَوْا أممهم عنه، كما هو صريح في القرآن، لا يخفى على من له أدنى فهم إن وُفِّق لفهمه؟! فوضعوا الشرك موضع التوحيد بالقبول والعمل، ووضعوا التوحيد موضع الشرك بالإنكار على من دعا إليه وعداوته!

فبهذا يتبين لك معنى ما أخبر به النبي ﷺ من قوله: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ»^(١). فلا غربة للإسلام أعظم من هذه الغربة التي عليها الأكثرون في هذه القرون المتأخرة.

وقد ذكر العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ من أهل السنة والجماعة في معنى: «لا إله إلا الله»، وبيان ما نفته وما أثبتته = ما يفيد العلم اليقيني بمعناها الذي أوجب الله تعالى معرفته، وما تضمنته من النفي والإثبات.

□ قال الوزير أبو المظفر في «الإفصاح»: «قوله: (شهادة ألا إله إلا الله)، يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأنه لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. قال: واسم الله مرتفع بعد ﴿إِلَّا﴾ من حيث أنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها

غيره سبحانه».

□ قال: «وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله؛ فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله تعالى، كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله».

□ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «البدائع»: «فدلالتها - أي لا إله إلا الله - على إثبات الإلهية أعظم من دلالة قولنا: «الله إله»، ولا يستريب أحد في هذا البتة». انتهى بمعناه.

□ وقال رَحِمَهُ اللهُ: «والإله هو الذي تأله القلوب، محبة وإجلالاً وإنابة، وإكراماً وتعظيماً، وذلاً وخضوعاً، وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له؛ لا يصلح ذلك كله إلا لله؛ فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور - التي هي من خصائص الإلهية -، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله: «لا إله إلا الله»، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك».

□ وقال أبو عبد الله القرطبي في «تفسيره»: «﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، أي: لا معبود إلا هو».

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الإله هو: المعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو: الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع».

□ وقال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «فإن الإله هو: المحبوب المعبود، الذي تأله القلوب بحبها، وتخضع له، وتذلُّ له، وتخافه، وترجوه، وتُتِيب إليه في شوائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده،

وبهذا كانت «لا إله إلا الله» أصدق الكلام، وكان أهلها هم أهل الله وحزبه؛ والمنكرون لها أعداؤه، وأهل غضبه ونقمته. فإذا صحَّت صحَّ بها كلُّ مسألةٍ وحالٍ وذوق، وإذا لم يصححها العبد، فالفساد لازم له في علومه وأعماله.

□ وقال البقاعي: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، أي: انتفى انتفاءً عظيمًا أن يكون معبودًا بحقٍّ غير الملك الأعظم؛ فإن هذا العلم^(١) هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة؛ وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه؛ وإلا فهو جهلٌ صرفٌ.

وهذا الذي ذكرناه عن شيخ الإسلام والبقاعي هو الموجود في كلام أهل السنة جميعهم.

إذا عرفت ذلك؛ فمما يدل على غربة الإسلام ما أخبر به النبي ﷺ من وقوع الشرك في هذه الأمة، كما في الصحيح من حديث ثوبان: «وحتى تعبد فتائم من أمتي الأوثان»^(٢).

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «تدور رَحَى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيلُ مَنْ هلك»^(٣)، وإن يُقْم لهم دينُهم يُقْم تسعين عامًا. قال: قلت: أمما بقي، أو مما مضى؟ قال: «مما مضى»^(٤).

(١) المشار إليه في قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) أي: سيكون حالهم كحال الهالكين من الأمم قبلهم.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٩٠/١)، والطيالسي (٣٨٣)، وأبو داود (٤٢٥٤)، =

ومما يبين غربة الإسلام وشذتها: ما جرى من الملوك والقضاة والرؤساء على شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ من العداوة والحبس، وشدة الإنكار عليه، لما دعاهم إلى ما تضمنته «لا إله إلا الله»، ومعناها الذي تقدم عنه وعن أمثاله من العلماء؛ وقد ردوا عليه بشبهاتٍ واهية، وضلالاتٍ في الضلال متناهية؛ فرد عليهم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «منهاج السنة»، و«اقتضاء الصراط المستقيم»، وكتاب «الاستغاثة في الرد على ابن البكري»؛ ورد على أهل البدع جميعهم من الفلاسفة والمتكلمين، كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

وذكر رَحِمَهُ اللهُ أن هؤلاء كلهم - وإن كثرت أبحاثهم ومصنفاتهم - فما منهم من يعرف ما دلت عليه كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»؛ فلم يعرفوا التوحيد الذي أثبتته، ولا الشرك الذي نفته؛ هذا معنى كلامه. ولتلميذه العلامة ابن القيم في بيان أنواع التوحيد والرد على أهل البدع المصنفاتُ الكثيرة المفيدة؛ فمن أحسنها: «إغاثة اللهفان»، وكتاب: «الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعتزلة»، وللحافظ ابن عبد الهادي: «الصارم المنكي في الرد على السبكي»،

= ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٩٦٣)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/٣٥٥)، وأبو يعلى (٥٢٨١)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١٦٠٩)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٨٣٥)، والخطابي في «غريب الحديث» (١/٥٤٩)، والبزار (١٩٤٢)، وابن حبان (٦٦٦٤)، والحاكم (٣/١٠١)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٣٩٣)، والبعثي في «شرح السنة» (٤٢٢٥). وصحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصحّحه الشيخ الألباني في «السنن»، وكذا الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٦/٢٣٨).

ولهم أصحابٌ كثيرٌ أخذوا عنهم؛ فلما طال الأمد بعدهم صارت كتبهم في أيدي أناسٍ جهلة، وفي خزائن الكتب الموقوفة، فلم يلتفتوا إليها، فرجعوا إلى ما كان عليه من قبلهم ممن مضى من المبتدعة، وكثر الشرك في القرى والأمصار؛ وصاروا لا يعرفون من التوحيد إلا ما تدعيه الأشاعرة من تأويل صفات الرب والإلحاد فيها، فصاروا كذلك حتى نسي العلم، وعم الشرك والبدع إلى منتصف القرن الثاني عشر، فإنه لا يُعرف إذ ذاك عالمٌ أنكر شركًا أو بدعةً مما صار في آخر هذه الأمة.

فشرح الله صدر شيخنا^(١) - فضلًا من الله ونعمةً عظيمةً من بها تعالى في آخر هذا الزمان -، فعرف من الحق ما عرف شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه، بتدبره الآيات المحكمات، وصحيحه البخاري ومسلم، والسنن والمسانيد والآثار، ومعرفة ما كان عليه رسول الله ﷺ والتابعون وأتباعهم، وما عليه سلف الأمة وأئمتها، والأئمة من أهل الحديث والتفسير، والفقهاء - كالأئمة الأربعة ومن أخذ عنهم -؛ فتبين له التوحيد وما ينافيه، والسنة وما يناقضها؛ فدعا الناس من أهل قريته وما قرب منها أن يتركوا عبادة أرباب القبور والطواغيت، وعبادة الأشجار والأحجار، والذبح للجن، ونحو ذلك؛ وكل هذا قد وقع في قرى نجد وغيرها كالبوادي؛ فلما أنكر ذلك كرهوا ذلك منه، وطرده أهل قريته عنها - وهي: «حريملا» -، وصار في «العينة» يدعو إلى دين الإسلام، وينهى عن الشرك وعبادة الأوثان، وقبل ذلك طائفةٌ منهم ومن أهل «الدرعية»؛ ثم بعد ذلك ضاق نطاق

(١) يعني الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.

أمير العيينة لما رآه قد أنكر قوله الخلق الكثير والجَم الغفير، وقد نصب له العداوة أهل القرى والأمصار والبادي والحاضر، فأمره أن ينتقل من بلده عنه.

وصار في «الدرعية» عند محمد بن سعود وأولاده وإخوانه، وبعض الأعيان من جماعته؛ فصار لهم قبولٌ لهذه الدعوة، فصبروا على عداوة الناس - قرييهم وبعيدهم -، وكلُّ قَصدهم بالحرب، فثبتهم الله - على قَلَّتْهم وكثرة من خالفهم -، وقُتِل من قتل من أعيانهم، فصبروا، وصارت الحرب بينهم سجالاً، واللهُ يحميهم ويقوِّي قلوبهم. وما جرى بينهم وبين عدوهم مذكور في التاريخ؛ فأظهر الله هذا الدين في نجدٍ والبادية، حتى لم يكن فيهم من ينازع ويجادل؛ لأن الله أبطل كل شبهةٍ بما أبداه هذا الشيخ ببيانه ومصنفاته التي صارت في أيدي المسلمين؛ وانتشرت دعوته في الأمصار، وقبلها القليلُ منهم ممن له التفاتٌ إلى ما ينفعه، بخلاف من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله - وهم الأكثرون -؛ فله الحمد على هذه النعمة العظيمة، فيا سعادة من هُدي إلى معرفة حقيقة دين الإسلام واتبعه.

وقد وجدت للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كَلاماً في «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة»، يتعين نقله هنا، لعظيم فائدته، وشدة الحاجة إليه.

□ قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «فصلٌ عظيمُ النفع، جليلُ القدر؛ ينتفع به من عرف نوعي التوحيد القولي العلمي الخبري، والتوحيد القصدي الإرادي العملي، كما دل على الأول سورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، وعلى الثاني سورة: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُوهَا﴾ [الكافرون].

وكذلك دل على الأول، قوله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]، وعلى الثاني: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ٦٤]، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر وسنة المغرب^(١)؛ ويقرأ بهما في ركعتي الطواف^(٢)؛ ويقرأ بالآيتين في سنة الفجر لتضمنهما التوحيد العلمي والعملي.

والتوحيد العلمي أساسه: إثبات الكمال للرب، ومباينته لخلقه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص، والتمثيل.

والتوحيد العملي أساسه: تجريد القصد بالحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والاستعانة، والاستغاثة، والعبودية بالقلب، واللسان، والجوارح، لله وحده.

ومدار ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه على هذين التوحيدين؛ وأقرب الخلق إلى الله أقومهم بهما علماً وعملاً؛ ولهذا كانت الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - أقرب الخلق إلى الله؛ وأقربهم إليه وسيلةً أولو العزم؛ وأقربهم الخليلان؛ وخاتمهم سيد ولد آدم وأكرمهم على الله؛ لكمال عبوديته وتوحيده.

فهذان الأصلان هما قطبُ رَحَى الدين، وعليهما مداره، وبيانهما من أهم الأمور؛ والله سبحانه بيّنهما غاية البيان، بالطرق العقلية والنقلية، والفطرية والنظرية، والأمثال المضروبة؛ ونوع سبحانه الطرق بإثباتهما كل التنويع؛ بحيث صار معرفة القلوب الصحيحة

(١) رواه مسلم (٧٢٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

والفطر السليمة لهما بمنزلة رؤية العين المبصرة التي لا آفة بها،
للشمس والقمر والنجوم والأرض والسماء؛ فذلك للبصيرة بمنزلة
هذه للبصر.

فإن تسلط التأويل على التوحيد الخبري العلمي كان تسليطه على
التوحيد العملي القصدي أسهل، وانمحت رسوم التوحيد، وقامت
معالم التعطيل والشرك؛ ولهذا كان الشرك والتعطيل متلازمين، لا
ينفك أحدهما عن صاحبه؛ وإمام المعطلين المشركين فرعون، فهو
إمام كل معطلٍ ومشرِكٍ إلى يوم القيامة، كما أن إمام الموحدين
إبراهيم ومحمد ﷺ.

□ وقال - أيضًا - لما ذكر سبب عبادة الأصنام التي صورها قومُ
نوح على صور الصالحين -: «وما زال الشيطان يوحى إلى عبَاد
القبور، ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور
من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم
من هذه المرتبة إلى الدعاء بالمقبور والإقسام به على الله؛ فإن
شأن الله أعظم من أن يُقسَم به عليه، أو يُسأل بأحدٍ من خلقه؛ فإذا
تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة،
واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والستور، ويُطاف به، ويُستلم
ويُقبل، ويُحج إليه، ويُذبح عنده.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته،
واتخاذهِ عيدًا ومنسكًا؛ ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرهم؛
وكل هذا قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث
الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد، وألا يُعبد إلا الله.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية، وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حُرمة لهم ولا قَدْر، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤٥) [الزمر].

وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله، وأنصار دينه ورسوله؛ ويأبى الله ذلك ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ إِنْ أُولَآئُهُ إِلَّا الْمُفْكُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]. انتهى كلامه، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج].

فتأمل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه - فمن لم يسمعه فقد عصي أمره -؛ كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهانٍ وأوجز عبارةٍ وأحسنها وأحلاها، وسجل على جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد، وساعد بعضهم بعضًا، وعاونه بأبلغ المعاونة = لعجزوا عن خلق ذباب واحد؛ ثم بين ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلبه الذباب إياه، فأبى إله أضعف من هذا الإله المطلوب ومن عابده الطالب، فهل قَدَرَ القوي العزيز حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ أشرك معه آلهة هذا شأنها؟

فأقام سبحانه حجة التوحيد، وبيّن إفك أهل الشرك والإلحاد،
بأعذب الألفاظ وأحسنها، لم يعترها غموض، ولم يشبها تطويل،
ولم يعيها تعقيد، ولم يُزِر بها زيادة ولا تنقيص؛ بل بلغت في
الحسن والفصاحة والإيجاز ما لا يتوهم متوهم، ولا يظن ظان أن
يكون أبلغ في معناها منها، وتحتها من المعنى الجليل العظيم الشريف
البالغ في النفع ما هو أجل من الألفاظ.
انتهى، والله أعلم، وصلى الله على محمد.



[٢٠]

الجواب عن أسئلة من عمان
صدرت من جهتي ضال

للشيخ

عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي الصادق
الأمين، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فقد وردت علينا أسئلة من «عمان»؛ صدرت من جهمي ضال،
يستعجز بها بعض المسلمين، فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب
العلم، وما لا فائدة فيه لا يُحتاج إلى الاشتغال بالجواب عنه.

📖 [الإيراد الأول: اشتقاق اسم «الله»] 🕌

فما ينبغي أن نجيب عنه قوله: (إن «الاسم» مشتق من السم،
أو من «السمة»).

واشتقاق الاسم من هذين ذكره العلماء في كتبهم، لكن يتعين
أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق، وما معنى الاشتقاق الذي ذكره
العلماء؛ فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين - وإن كانا مذكورين
في كتب النحاة وغيرهم -، وقد ذكرته في «فتح المجيد لشرح كتاب
التوحيد»^(١).

📖 [الإيراد الثاني: الفرق بين القضاء والقدر] 🕌

وأما سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر:
فالقدر: أصل من أصول الإيمان؛ كما في سؤال جبريل عليه السلام، وما

(١) في بداية الكتاب عند ذكر البسملة (٧/١).

أجابه به رسول الله ﷺ حين سألته، قال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

وفي الحديث الصحيح: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة»^(٢).

أي: جرى بما يكون مما يعلمه الله تعالى؛ فإنه تعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ﴿لَا يَعْزُبُ﴾^(٣) عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [سبأ].

وأما القضاء: فيطلق في القرآن:

- ويراد به: «إيجاد المقدّر»؛ كقوله: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١٤].

- ويطلق ويراد به: «الإخبار بما سيقع مما قدّر»، كقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤]؛ أَخْبَرَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّهُمْ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ.

- ويطلق ويراد به «الأمر والوصية»، كما قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر ووصى.

- ويراد به: «الحكم»؛ كقوله: ﴿وَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩].

- ويطلق ويراد به «القدر»، ونحو ذلك.

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) ﴿يَعْزُبُ﴾: يغيب.

📖 [الإيراد الثالث: استشكاله حول استواء الله ﷻ]:

وأما ما زَعَمه من أن الأدلة الدالة على استوائه على العرش لا تمنع أن يكون مستويًا على غيره!

فالجواب أن نقول: قد أجمع أهل السنة والجماعة - قديمًا وحديثًا - على أنه لا يجوز أن يوصف الله بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله ﷺ، ومن وصفه بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ؛ فهو جهميٌّ ضالٌّ مضل، يقول على الله بلا علم.

وقد ذكر سبحانه استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه: في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة الرعد، وفي سورة طه، وفي سورة الفرقان، وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد. ولم يذكر تعالى أنه استوى على غير العرش، ولا ذكره رسوله ﷺ، فعلم أنه ليس من صفاته التي يجوز أن يوصف بها^(١)؛ فمن أدخل في صفات الله ما لم يُذكر في كتاب الله، ولا في سنة رسوله = فهو جهميٌّ، يقول على الله ما لا يعلم.

وقد قال الله تعالى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّعٌ وَّرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَى الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١) يقصد الاستواء على غير العرش.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ].

علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات؛ لا يجوز أن يوصف إلا بذلك كله؛ لكمالته تعالى في أوصافه؛ فله الكمال المطلق في كل صفة وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، فذكر العرش عند هذه الصفة من أدلة فوقيته تعالى، كما هو صريح فيما تقدم من الآيات.

وكقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَطَفَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الآية [الشورى: ٥].

وذكر النبي ﷺ في معنى قول الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء» (١) (٢).

فقوله: «فليس فوقك شيء» نص في أنه تعالى فوق جميع المخلوقات؛ وهو الذي ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم في معنى قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه]: إن معنى ﴿اسْتَوَى﴾: استقر وارتفع وعلا، وكلها بمعنى واحد، لا ينكر هذا إلا جهمي زنديق، يحكم على الله وعلى أسمائه وصفاته بالتعطيل، ﴿قُلْ لَهُمُ اللَّهُ أَنْفٌ يُفَكُّونَ﴾ [التوبة]. والنصوص الدالة على إثبات الصفات كثيرة جداً.

(١) أي: فليس أقرب منك شيء.

(٢) رواه مسلم (٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

وقد صنّف أهل السنة من المحدثين والعلماء مصنّفاتٍ كبارًا، ومن ذلك كتاب «السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد؛ ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين والأئمة. وكتاب «التوحيد» لإمام الأئمة محمد ابن خزيمة، وكتاب «السنة» للأثرم - صاحب الإمام أحمد -، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي في ردّه على المَريسي، وكتاب «السنة» للخلال، وكتاب «العلو» للذهبي، وغير ذلك مما لا يُحصى كثرةً، ولله الحمد والمنة.

ونذكر بعض الأحاديث الصريحة في المعنى:

فمن ذلك: ما في «الصحيح» عن النّوّاس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يُوحى بالأمر تكلم بالوحي، [فإذا تكلم] ^(١) أخذت السماوات منه رجفةً - أو قال: رعدةً - شديدةً خوفًا من الله ﷻ، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صَعَقُوا، وَخَرُّوا لِلَّهِ سَجْدًا. فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرّ جبرائيل على الملائكة، كلما مر على سماءٍ سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا - يا جبرائيل -؟ فيقول جبرائيل: قال الحقّ، وهو العليّ الكبير، فيقولون كلهم مثلما قال جبرائيل، فينتهي جبرائيل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ» ^(٢).

ففي هذا الحديث التصريح بأن جبرائيل ينزل بالوحي من فوق السماوات السبع، فيمرّ بها كلّها نازلًا إلى حيث أمره الله، وهذا صريح بأن الله تعالى فوق السماوات على عرشه، بائن من خلقه.

(١) زيادة من بعض مصادر التخريج.

(٢) ضعيف: وقد تقدم.

□ كما قال عبدالله بن المبارك لما قيل له: «بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على عرشه، بائنٌ من خلقه».

وهذا قول أئمة الإسلام قاطبةً، خلافاً للجهمية الحُلولية، والفلاسفة، وأهل الوحدة، وغيرهم من أهل البدع، فرحم الله أهل السنة والجماعة المتمسكين بالوحيين.

وصح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إن الله كتب كتاباً - قبل أن يخلق الخلق -: إن رحمتي سبقت غضبي. فهو عنده فوق العرش»^(١).

وفي حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه - الذي رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه -: أن النبي ﷺ ذكر سبع سماواتٍ وما بينهما، ثم قال: «فوق ذلك بحرٌ، بين أعلاه وأسفله كما بين سماءٍ إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانيةُ أوعال^(٢)، ما بين أظلافهن ورُكُبهن كما بين سماءٍ إلى سماء، ثم فوق ظهورهن العرش، ما بين أعلاه وأسفله كما بين سماءٍ إلى سماء، والله تعالى فوق ذلك»^(٣).

□ وفي حديث ابن مسعود، الذي رواه عبدالرحمن بن مهدي - شيخ الإمام أحمد -، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زُرٍّ، عن عبدالله بن مسعود، قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسُ سماءٍ، وبين كل سماءٍ إلى سماء خمسُ سماءٍ عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسُ سماءٍ عام، وبين الكرسي والماء خمسُ سماءٍ عام، والعرشُ

(١) رواه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) الأوعال: تيوس الجبال.

(٣) ضعيف: وقد تقدم.

فوق الماء، واللَّهُ تعالى فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم».

والجهمية جحدوا هذه النصوص، وعاندوا في التكذيب، فصاروا بذلك كفارًا عند أكثر أهل السنة والجماعة.

وهذا القدر الذي ذكرناه كافٍ في بيان ما عليه أهل السنة والجماعة، من علو الله تعالى على جميع المخلوقات، واستوائه على عرشه، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك، ولو ذهبنا نذكر ما ورد في ذلك لاحتمل مجلدًا، فالحمد لله الذي حفظ على الأمة دينها في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وبنقل العلماء - الذين هم في هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل -، وهدانا إلى ذلك؛ فأبطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة حدثت في هذه الأمة؛ فيا لها من نعمة، ما أجلها في حق من تلقى الحق بالقبول، وعرفه، ورضي به! نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمه، مُثنين بها عليه، فله الحمد لا نحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يُثني عليه خلقه.

فأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرّف به إليهم من صفات كماله اللاتقة بجلال الله، فأثبتوا له تعالى ما أثبتته لنفسه، وأثبتته له رسوله ﷺ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته، وما أظهره لهم من عظيم قدرته، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه، فعبدوا ربًا أحدًا صمدًا^(١)، إلهًا واحدًا، وهو الله الذي الإلهية وصفه، فالخلق خلقه، والمُلك ملكه، لا شريك

(١) الصمد: الذي يصمد إليه - أي: يلجأ إليه - الخلائق في الحوائج. وقيل: الذي لا جوف له. وانظر ما سيأتي (٢/٦٢٦).

له في إلهيته، ولا في ربوبيته، ولا في ملكه، تعالى وتقدس، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③﴾ [الناس].

ونزّهوه^(١) عما تنزّه عنه، وعن كل ما فيه عيبٌ ونقص، وعن كل ما وصفته [به] الجهمية وأهل البدع مما لا يليق بجلاله وعظمته؛ فعطلوه من صفات الكمال، وصاروا إنما يعبدون عدماً؛ لأنهم وصفوه بما ينافي الكمال، ويوقع في النقص العظيم، فشبهوه بالناقصات تارةً، وبالمعدوم تارةً، فهم أهل التشبيه^(٢)، كما عرفت

(١) يعني أهل السنة والجماعة.

(٢) للإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كَلامٌ نفيسٌ وهامٌ جداً عن حقيقة «التمثيل» و«التشبيه»، وهل بينهما فرق أم لا؟ وقد رجّح رَحِمَهُ اللهُ أن بينهما فرقاً، وأن جهل أهل البدع - كالأشاعرة وأمثالهم - بالفرق بينهما هو الذي جعلهم ينفون صفات الباري ﷻ؛ متعللين بأن إثباتها يؤدي إلى تشبيهه بخلقه، وخلاصة كلامه القيم رَحِمَهُ اللهُ يتلخص فيما يلي:

١ - أن القرآن الكريم جاء بنفي «المماثلة» بين الله جَلَّ وَعَلَا وبين خلقه، أما «المشابهة»، فلم يأت ذمها في الكتاب والسنة.

٢ - الفارق بينهما: أن «المماثلة» تُطلق على اتفاق الموصوفين في بعض الصفات؛ أو على اشتراكهما في جميع الصفات؛ بحيث يصبح أحدهما كالآخر تماماً، وهذا هو الذي نفاه ربُّ العالمين ﷻ عن نفسه في كتابه المجيد.

أما «المشابهة» فتقتضي وجود اشتراكٍ ما بين الشئين المختلفين تماماً - ولو من وجهٍ بعيد -، كما يقال - مثلاً -: «هذا الحائط يشبه الحصان»، والمقصود في اللون - أو غيره -، أو يقال: «الإنسان يشبه الأرض»، والمقصود في الوجود - مثلاً -... وهكذا.

٣ - وبناءً على ما سبق؛ فإن السلف الصالح يُثبتون نوع «مشابهة» - لا «مماثلة» - بين الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ وبين خلقه؛ وهذه المشابهة هي التي جعلت العباد يفهمون معاني صفات الله جَلَّ وَعَلَا - كالوجه واليدين والرجل والساق... -، وإن كانت حقيقة صفاته تعالى تختلف عن حقيقة صفات المخلوقين.

٤ - ومن هنا فإن المحققين من أهل السنة يَمنعون أن يقال عن ربِّ العالمين: «إنه لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه»؛ لأنه لو ثبت هذا الكلام وجعل قاعدة كلية عامة؛ لأدّى بالضرورة إلى كونه تعالى معدوماً - كما يفهم كل عاقل - . وقد جاء عن الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله - في كتابه «الرد على الجهمية» -: «[إذا قيل]: إن الشيء لا كالأشياء؛ عَرَفَ العقلاء أنه لا شيء!» اهـ، ويقصد أن الشيء لو كان يخالف الموجودات من كلِّ وجهٍ، لكان عدماً! وهذا ما قرره - أيضاً - بعض كبار الأشاعرة - كالجويني والرازي - .

٥ - ومن ثَمَّ فإن إثبات الصفات لله تعالى - كما أثبتها لنفسه وكما أثبتها له نبيه ﷺ - لا يستلزم تمثيل الله ﷻ بخلقه؛ فإن التشابه في «معنى» الصفات لا يستلزم تشبيهاً في «الحقيقة»؛ إذ كلُّ موصوفٍ يتصف بما يليق بحاله .

٦ - وقد يُطلق بعض أهل السنة أن الله ﷻ لا يشبه شيئاً من خلقه - كما في هذا المجموع المبارك «مجموعة التوحيد» -؛ وهو يريد «التشبيه» الذي هو مساوٍ لمعنى «التمثيل»، وهذا - بلا شك - كلامٌ صحيح .
وخلاصة ما سبق: أنه لا يجوز إثبات «المماثلة» بين الله ﷻ وبين عباده - لا مطلقاً ولا مقيداً -؛ بينما يجوز إثبات نوع «مشابهة» في المعنى؛ كأن يقال: الله تعالى موجود، والمخلوق موجود؛ فهذا نوع مشابهة في «معنى الوجود»، وإن كان كلا الوجودين يختلف عن الآخر... وهكذا في بقية الصفات .

من حالهم وضلالهم ومُحالهم.

وأما ما أورده هذا الجهميُّ الجاهل من آيات العلم، كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، فلا منافاة بين استوائه على عرشه، وإحاطة علمه بخلقه، والسياق يدل على ذلك.

أما الآية الأولى: فهي مسبوقة بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]؛ ذَكَرَ استواءه على عرشه، وذكر إحاطة علمه بما في الأرض والسموات، ثم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، أي بعلمه المحيط بما كان وما يكون.

وأما الآية الثانية: فهي كذلك مسبوقة بالعلم، وختمها تعالى به؛ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فعلم أن المراد علمه بخلقه، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وهذا المعنى الذي ذكرنا هو الذي عليه المفسرون من الصحابة والتابعين والأئمة، وجميع أهل السنة والجماعة.

= انظر تفاصيل هذه القاعدة النفيسة ومصادر كلام الإمام في «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (٩٦٠/٣ : ٩٧٢) للعلامة عبدالرحمن المحمود، و«حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين» للشيخ عبدالرحيم السلمي (٣٢٨ : ٣٣٧).

وأما الجهمية وأهل البدع، فحُرموا معرفة الحق، لانحرافهم عنه وجهلهم به، وبالقرآن والسنة.

□ كما قال العلامة ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى:

ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا تَقْيِيدَهُ بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ

ومن المعلوم أنه لا يَقْبَلُ الْحَقُّ إِلَّا مِنْ طَلَبِهِ، وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْعِ فَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ مَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْبَدْعِ وَالضَّلَالِ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

فإِذَا عُرِفَ ذَلِكَ فَيَتَعَيَّنُ أَنْ نَسْأَلَ هَذَا الْجَهْمِيَّ وَغَيْرَهُ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ عَنْ أُمُورٍ لَا يَسَعُ مُسْلِمًا أَنْ يَجْهَلَهَا - لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَتَوَقَّفُ عَلَى مَعْرِفَتِهَا -؛ فَمَنْ ذَلِكَ:

- ١ - ما معنى كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»؟
- ٢ - وما الإلهية المنفية بـ«لا» النافية للجنس؟ وما خبرها؟
- ٣ - وما معنى الإلهية التي ثبتت لله وحده دون ما سواه؟
- ٤ - وما أنواع التوحيد، وألقابُه، وأركانُه؟
- ٥ - وما معنى الإخلاص الذي أمر الله به عباده، وأخبرهم أنه له وحده؟

- ٦ - وما تعريف «العبادة» التي خُلقوا لها؟
- ٧ - وما أقسام العلم النافع الذي لا يسع أحدًا جهله؟
- ٨ - وما معنى اسم «الله» تعالى الذي لا يسمَّى بهذا الاسم غيره؟
- ٩ - وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه؟

فالجواب عن هذا مطلوب، واللّه المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

وصلّى اللّٰه على محمدٍ سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.



[٢١]

الكلام على «لا إله إلا الله»
وتحقيق معنى التوحيد

للشيخ

عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكلام في بيان ما أوردناه على الجهمي، الذي في بني ياس .
أما الكلام في معنى «لا إله إلا الله»، فأقول - وبالله التوفيق -:
أما هذه الكلمة العظيمة، فهي التي شهد الله بها لنفسه، وشهد
بها له ملائكته، وأولو العلم من خلقه، كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ
اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران].

ف«لا إله إلا الله» هي كلمة الإسلام، لا يصح إسلام أحدٍ إلا
بمعرفة ما وُضعت له، ودلت عليه، وقبوله والانقياد للعمل به؛ وهي
كلمة الإخلاص المنافي للشرك، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من
الشرك بالله؛ فلا تنفع قائلها إلا بشروط سبعة.

الأول: العلم بمعناها، نفياً وإثباتاً.

الثاني: اليقين، وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الرابع: الصدق المانع من النفاق.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة، ولما دلت عليه، والسرور بذلك.

السادس: القبول المنافي للرد؛ فقد يقولها من يعرفها، لكن لا
يقبلها ممن دعاه إليها تعصباً وتكبراً، كما قد وقع من كثير.

السابع: الانقياد بحقوقها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصاً لله،
وطلباً لمرضاته.

إذا عرفت ذلك؛ فقولك: «لا إله إلا الله»:

ف«لا»: نافية للجنس.

و«الإله»: هو المألوه بالعبادة، وهو: الذي تأله القلوب، وتقصده رغبةً إليه في حصول نفع، أو دفع ضرر، كحال من عبد الأموات، والغائبين، والأصنام؛ فكل معبودٍ مألوه بالعبادة.

وخبر «لا» المرفوع محذوف، تقديره: «حق»^(١).

وقوله: «إلا الله»: استثناء من الخبر المرفوع؛ فالله سبحانه هو الحق، وعبادته وحده هي الحق، وعبادة غيره منتفية ب«لا» في هذه الكلمة، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ أَلْطَلُ﴾ [الحج: ٦٢]، فالهية ما سواه باطل، فدلّت الآية على أن صرف الدعاء - الذي هو مخ العبادة^(٢) - عنه لغيره باطل.

فتبين أن الإلهية هي العبادة؛ لأن الدعاء من أفرادها، فمن صرف منها شيئاً لغيره تعالى فهو باطل. والقرآن كله يدل على أن الإلهية هي العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف]. فذكر البراءة من كل معبود سوى الله، ولم يستثن إلا عبادة مَنْ فَطَرَهُ، ثم قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨]، أي: لا إله إلا الله، فعبّر عن الإلهية بالعبادة في النفي والإثبات.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن]:

فقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ هو معنى «إلا الله» في كلمة الإخلاص.

(١) أي: لا إله حق إلا الله.

(٢) ضعيف: وقد تقدم.

وقوله: ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا﴾ هو المنفي في كلمة الإخلاص بـ«لا إله». فتبين أن «لا إله إلا الله» دلت على البراءة من الشرك في العبادة، في حق كل ما سوى الله.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ﴾ [الزمر]، والدين هو العبادة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابُ ۚ﴾ [الرعد]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، أي: الذي لا تصلح الإلهية إلا له وحده، فانتفت الإلهية وبطلت في حق كل ما سوى الله، والقرآن يبين بعضه بعضًا ويفسره، والرسول إنما يفتتحون دعوتهم بمعنى «لا إله إلا الله»: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فتبين أن الإلهية هي العبادة، ولهذا قال قوم هود - لما قال: ﴿يَقُولُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥] - ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]؛ فتبين بالآية أنهم لم يستنكفوا من عبادة الله، لكنهم أبوا أن يخلصوا العبادة لله وحده، فلم ينفوا ما نفته «لا إله إلا الله»؛ فاستوجبوا ما وقع بهم من العذاب؛ لعدم قبولهم ما دعاهم إليه من إخلاص العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَنَا عَادٍ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾، وهم الرسل جميعهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحقاف: ٢١]. وهذا هو معنى كلمة «لا إله إلا الله».

فقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ هو معنى: «لا إله»، وقوله ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص؛ فهذا هو تحقيق معناها بحمد الله؛

وإنذار الرسل جميعهم أمهم عن الشرك في العبادة، وأن يُخلصوها لله وحده لا شريك له؛ فما ذكرناه في هذه الآيات في معناها كافٍ وافٍ شافٍ؛ ولله الحمد والمنة.

وأما تعريف العبادة:

□ فقد قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «الكافية الشافية»: وعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ مع ذلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ وَعَلَيْهِمَا فَلَكَ الْعِبَادَةُ دَائِرٌ ما دار حتى قامتِ القُطْبَانِ ومدارُهُ بِالْأَمْرِ أَمْرُ رَسُولِهِ لا بالهوى والنفس والشيطان

فذكر أصل العبادة التي يصلح العمل مع حصولها - إذا كان على السنة -، فذكر قطبيها، وهما: غاية المحبة لله، في غاية الذل له؛ والغاية تفوت بدخول الشرك، وبه يبطل هذا الأصل؛ لأن المشرك لا بد أن يحب معبوده، ولا بد أن يذلَّ له، ففسد الأصل بوجود الشرك فيه؛ ولا تحصل الغاية فيهما إلا بانتفاء الشرك، وقُصِرَ المحبة والتذلُّل لله وحده، وبهذا تصلح جميع الأعمال المشروعة، وهي المراد بقوله: «وعليهما فلك العبادة دائر»، والدائر هي الأعمال، ولا تصلح إلا بمتابعة السنة.

□ وهذا معنى قول الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]؛ قال: «أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا؛ والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على السنة».

وأما أقسام التوحيد، فهي ثلاثة:

[النوع الأول]: توحيد الإلهية: وهي العبادة - كما تقدم -، فهي تَعَلَّقُ بأعمال العبد وأقواله الباطنة والظاهرة.

□ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك بالله؛ فهذا هو الذي أرسلت الرسل وأنزلت الكتب بالإنذار عنه، وترتبت عليه عقوبات الدنيا والآخرة في حق من لم يتب منه.

ويسمى هذا التوحيد - إذا كان لله وحده -: توحيد القصد والطلب والإرادة؛ وهو الذي جحدته المشركون من الأمم؛ وقد بعث الله نبينا محمداً بالأمر به، والنهي عما ينافيه من الشرك، فأبى المشركون إلا التمسك بالشرك الذي عهدوه من أسلافهم، فجاهدهم على هذا الشرك، وعلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۖ﴾ (٤) ﴿أَجْعَلِ الْأَلَهَةَ إِلَّاهَا وَاحِدًا﴾، إلى قوله: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْأَلَاءُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ (٦) [ص].

النوع الثاني: توحيد الربوبية: وهو العلم والإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وهو المدبر لأموال خلقه جميعهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾، إلى قوله: ﴿وَمَنْ يُدْرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣١) [يونس].

وقال: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥)، إلى قوله: ﴿فَأَن تَسْحَرُونَ﴾ (٨٩) [المؤمنون].

وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، وهذا النوع قد أقرَّ به المشركون - كما دلَّت عليه الآيات - .

والنوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله من صفات الكمال التي تعرَّف بها سبحانه إلى عبادته، ويُنفى ما لا يليق بجلاله وعظمته، وهذا النفي أقسام، ذكرها العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «الكافية الشافية». فأهل السنة والجماعة - سلفًا وخلفًا - يشبِّتون لله هذا التوحيد، على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وهذا النوع والذي قبله هو توحيد العلم والاعتقاد. وأما تعريف التوحيد:

□ فقد ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، في «الكافية الشافية» بقوله: فالصدق والإخلاص ركننا ذلك التوحيد كالركنين للبنيان وحقيقة الإخلاص توحيد المُرَاد فلا يزاحمه مراد ثانٍ والصدق توحيد الإرادة وهو بذلُّ الجهد لا كسلًا ولا متوان ثم ذكر توحيد المتابعة فقال:

والسنة المثلى لسالكها فتوحيد الطريق الأعظم السلطان فلو اُحِدَ كن واحدًا في واحدٍ أعني طريق الحق والإيمان وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ الإخلاص بمثل ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

□ فقال: «الإخلاص: محبة الله، وإرادة وجهه».

وأما أقسام العلم النافع الذي يجب معرفته واعتقاده: فهو يتضمن

ما سبق ذكره؛ وهو ثلاثة أقسام، ذكرها العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «الكافية الشافية».

□ قال:

والعلم أقسامٌ ثلاثةٌ ما لها من رابعٍ خلوا عن الروغانِ

علمٌ بأوصافِ الإلهِ وفعله وكذلك الأسماءُ للرحمنِ

والأمرُ والنهي الذي هو دينُهُ وجزاؤه يومَ المعادِ الثاني

وبهذا تم الجواب عما أوردناه، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



[٢٢]

أوثق عرى الإيمان

للشيخ

سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين.

اعلم أولاً - أيدك الله بتوفيقه -: أن «أوثق عرى الإيمان: الحبُّ في الله والبغضُ في الله»^(١)، وهذا وجهه في أهل بلدٍ مرتدين أو باديةٍ وهم بنو عم، ويجيء لهم ذكرٌ عند الأمراء، فيتسبَّب بالدفع عنهم [بعضُ أقاربهم - مما هو عند المسلمين]^(٢) حميةٌ دنيوية -؛ إما بطرح نكال^(٣)، أو دفن نقائص المسلمين^(٤)، أو يشير بكفٍّ

(١) حسن: رواه أحمد (٢٨٦/٤)، والطيالسي (٧٤٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٤٣١/١٧)، وابن أبي شبة (٤١/١١)، وفي «الإيمان» (١١٠)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وقال الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١٢٤/٢): «رواه أحمد، وفيه ليث بن أبي سليم مختلفٌ فيه». وقال الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٨٩): «رواه أحمد، وفيه ليث بن أبي سليم، وضعفه الأكثر». وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٤٨٨/٣٠)، والشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٣٠)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٤٤٥/١).

(٢) ما بين المعقوفتين من «الدرر السنية» (١٤٣/٨)، وطبعة «وزارة الأوقاف» ص (٢٣١)، وهو ساقطٌ من المطبوعتين الآخرين.

(٣) أي: إسقاط عقوبةٍ عنهم.

(٤) أي: عدم إعطاء المسلمين حقوقهم التي أخذها منهم هؤلاء من الأموال ونحو ذلك. وسوف يأتي المقصود من كل هذا - بإذن الله - ص (٤١٢).

المسلمين عنهم، هل يكون هذا موالاةً نفاقٍ أو يصير كفرًا؟ فإن كان ما يَقْدِرُ من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ما حكمه؟ وكذلك إذا عَرَفْتَ هذا من إنسانٍ؛ ماذا يجب عليك؟ أفتنا مأجورًا:
فأقول:

أولاً: إن الله افترض على المؤمنين عداوةَ المشركين من الكفار، والمنافقين، وجفاةِ الأعراب الذين يُعرفون بالنفاق، ولا يؤمنون بالله ورسوله ﷺ، وأَمَرَهُم بالجهاد والإغلاظ عليهم بالقول والفعل، وتوعدهم باللعن والقتل؛ لقوله: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتْلُوا نَفْتِيلًا﴾ [الأحزاب]، وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم.

وكيف يدّعي رجلُ محبة الله، وهو يحبُّ أعداءه الذين ظاهروا^(١) الشيطان على عدوانهم، واتخذوهم أولياء من دون الله؛ كما قيل:
تُحِبُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنِّي صَدِيقُكَ إِن الْوُدَّ عَنْكَ لِعَازِبٌ^(٢)
وبالجملة: فالحب في الله والبغض في الله أصلٌ عظيم من أصول الإيمان، يجب على العبد مراعاته؛ ولهذا في الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»^(٣)، ولذلك أَكْثَرَ اللهُ من ذكره في القرآن.

١ - قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلُوا﴾ [آل عمران: ٢٨].

(١) ظاهروا: ناصروا.

(٢) عازب: بعيدٌ غائب. (٣) حسن: وقد تقدم قريبًا.

□ قال بعض المفسرين: «نُهِوا أن يوالوا الكافرين لقراءة بينهم، أو صداقة قبل الإسلام^(١)، أو غير ذلك من الأسباب التي يُتصادق بها ويُتعاشر».

وقوله: ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة^(٢) عن موالاة الكافرين، فلا تؤثرهم عليهم.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، أي: ومن يتولَّ الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية؛ يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأسًا. وهذا أمرٌ معقول^(٣)؛ فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان.

﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمْ تَقِيَّةً﴾ فرخص في [إظهار] موالاتهم إذا خافوهم فلم يُحسِنوا معاشرتهم إلا بذلك، وكانوا مقهورين لا يستطيعون إظهار العداوة لهم؛ فحينئذ تجوز المعاشرة ظاهرة - والقلب مطمئنٌ بالعداوة والبغضاء - حتى يزول المانع؛ كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

□ قال ابن عباس: «ليس التقية بالعمل، إنما التقية باللسان»^(٤).
□ وقال - أيضًا -: «نهى الله المؤمنين أن يُلاطفوا الكفار، ويتخذوهم وليجة»^(٥) من دون المؤمنين؛ إلا أن يكون الكفار عليهم

(١) أي: قبل أن يُسلم المشركون.

(٢) مندوحة: سعة.

(٣) أي: معلومٌ بالعقل.

(٤) يعني بالموافقة اللسانية، وليس بالعمل القلبي. والله تعالى أعلم.

(٥) الوليجة: البطانة المؤتمنة.

ظاهرين؛ فيظهرون لهم اللطف، ويخالفونهم في الدين؛ وذلك قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ نِقْمَةً﴾. ذكره ابن جرير، وابن أبي حاتم.

٢ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾

[آل عمران: ١١٨].

□ قال القرطبي: «لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم».

٣ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، إلى آخر قوله: ﴿فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

□ قال حذيفة: «لِيَتَّقِي أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَهُوَ لَا

يشعر؛ لهذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾».

□ وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ

فِيهِمْ﴾ [المائدة: ٥٢]، قال: «هم» المنافقون في مصانعة اليهود، ومدخلتهم، واسترضاعهم أولادهم إياهم».

□ وقال عليٌّ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال: «أهل

رِقَّةٍ عَلَى أَهْلِ دِينِهِمْ، ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، قال: أهل غلظةٍ على من خالفهم في دينهم».

وكذا نُقِلَ معناه عن غير واحد من السلف.

٤ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا

مَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥٧].

٥ - وقال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَبْلُوَ مَا

قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

والآية بعدها.

٦ - وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّارُ جَهْدًا ۖ أَلْكَفَّارًا ۖ وَالْمُنْفِقِينَ ۖ وَاعْلَظَّ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَنِشَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة].

فقد أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم الإسلام، وأمر بالإغلاظ عليهم قولاً وفعلًا.

□ وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: «﴿جَهْدًا أَلْكَفَّارًا﴾: بالسيف، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾: باللسان، ﴿وَاعْلَظَّ عَلَيْهِمْ﴾: قال: أذهب الرفق عنهم».

□ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «﴿جَهْدًا أَلْكَفَّارًا وَالْمُنْفِقِينَ﴾: قال: بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه، وليلقه بوجهه مكفهرًا». أي: عابس متغير من الغيظ والبغض.

ذكره ابن أبي حاتم، وجاء معناه في حديث مرفوع، رواه البيهقي في «الشعب»^(١).

٧ - وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فنفى ﷺ الإيمان عمن هذا شأنه؛ ولو كانت مودته ومحبته ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم - فضلًا عن غيرهم -.

٨ - وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

□ قال ابن عباس: «﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾: قال: لا تميلوا».

(١) حسن: رواه البيهقي في «الشَّعْب» (٨٩٢٥)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿يَأْتِيهَا النَّارُ جَهْدًا ۖ أَلْكَفَّارًا ۖ وَالْمُنْفِقِينَ ۖ وَاعْلَظَّ عَلَيْهِمْ﴾، أمر رسول الله ﷺ أن يجاهد بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فعليه بوجهه مكفهرًا. وحسنه محقق «الشَّعْب» (٦/١٢).

□ وقال عكرمة: «أن تطيعوهم أو تؤدّوهم أو تصطنعوهم». ومعنى «تصطنعوهم»: أي تؤلّوهم الأعمال؛ كمن يولّي الفساق والفجار.

□ وقال الثوري: «وَمَنْ لَاقَ»^(١) لهم دواة، أو برى لهم قلماً، أو ناولهم قرطاساً دخل في هذا.

□ وقال بعض المفسرين في الآية: «والنهي متناول للانحطاط في هواهم»^(٢)، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم^(٣)، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم، ومدد العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم». وتأمل قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾، والركون: هو الميل اليسير^(٤).

٩ - وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾، إلى قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة].

وصحّ أنّ صدر هذه السورة نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، لما كتب إلى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم^(٥). وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

(١) لاق: ملأ قليلاً. وجاء في حاشية طبعة «دار البيان»: لاق الدواة فلاقت: لزق المداد بصوفها، والاسم منه: اللّيقة.

(٢) أي: اتباع رغباتهم الباطلة.

(٣) المداينة: المتابعة في الباطل.

(٤) تعقب الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ هذا التفسير في طبعته ص(٢٣٥)، مبيناً أن الصواب أنه الركون القوي.

(٥) صحيح: وقد تقدم.

الآية: أنها في أبي عُبَيْدة بن الجراح لما قَتَلَ أباه يوم بدر، كما رواه الطبراني وابن أبي حاتم والحاكم وغيرهم^(١).

□ وعن ابن جُرَيْج قال: «حُدِّثَ أَنَّ أَبَا قَحَافَةَ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَصَكَّهُ أَبُو بَكْرٍ صَكَّةً سَقَطَ مِنْهَا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَفَعَلْتَ - يَا أَبَا بَكْرٍ -؟»، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ السَّيْفُ قَرِيبًا مِنِّي لَضَرَبْتَهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. رواه ابن المنذر^(٢).

وهذا - والله أعلم - في أول الإسلام، فإنَّ أَبَا قَحَافَةَ أَسْلَمَ عام الفتح، فلم يكن ليسبَّ النبي ﷺ بعد الإسلام. وأبو بكر خرج مهاجرًا من مكة، ولم يعد إليها إلا بعد الإسلام في عُمرَةٍ مع النبي ﷺ.

□ وقال ابن عباس رضي الله عنه: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ^(٣)؛ فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ».

(١) ضعيف: رواه الطبرني في «الكبير» (١٥٤/١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠١/١)، و«معرفة الصحابة» (٥٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤٦/٢٥)، والحاكم (٢٦٤/٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٧/٩)، وسكت عليه الحاكم والذهبي، وضعَّفه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٩/٢٣٢)، والشيخ حسين الداراني في تحقيقه (٤٠٤/١٨)، وكذا الشيخان سليم الهلالي ومحمد موسى آل نصر في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٣٥٠/٣).

(٢) ضعيف: ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨٦/٨)، و«لباب النقول» ص (٢٠٨)، ونسبه لابن المنذر، وضعَّفه الشيخان سليم الهلالي ومحمد موسى آل نصر لإعضاله في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٣٥١/٣).

(٣) أي: فهو وليُّ الله تعالى حقًّا.

رواه ابن أبي شيبه، وابن أبي حاتم.

وفي حديثٍ رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى نبي من الأنبياء، أن قل لفلان العابد: أما زهدك في الدنيا، فتعجلت راحة نفسك، وأما انقطاعك إلي فتعززت بي، فما عملت فيما لي عليك؟ قال: يا رب، وما لك علي؟ قال: هل واليت لي وليًا، أو عادت لي عدوًّا؟»^(١).

١٠ - وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال].

فعقد تعالى الموالاة بين المؤمنين، وقطعهم من ولاية الكافرين، وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض، وإن لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبير شيء عظيم، وكذلك يقع.

فهل يتم الدين، أو يقام علم الجهاد، وعلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله؟! ولو كان الناس متفقيين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والآيات في هذا كثيرة.

وأما الأحاديث:

(١) ضعيف: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣١٦/١٠)، والخطيب في «التاريخ» (٣٣٠/٤)، وإسماعيل الحلبي في «حديثه» (١١٢/١)، وضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٣٣٧)، والشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد».

١١ - فروى أحمد عن البراء بن عازب: «أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله، والبغض في الله»^(١).

١٢ - وفي حديث مرفوع: «اللهم لا تجعل للفاجر عندي يدًا»^(٢) ولا نعمةً فيوذه قلبي؛ فإني وجدتُ فيما أوحى إليّ: ﴿لَا يَحْدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. رواه ابن مردويه وغيره^(٣).

١٣ - وعن أبي ذرٍّ مرفوعًا: «أفضل الأعمال الحبُّ في الله، والبغض في الله». رواه أبو داود، ورواه أحمد مطوّلًا^(٤).

١٤ - وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود مرفوعًا: «المرءُ مع من أحب»^(٥).

١٥ - وعن ابن مسعودٍ مرفوعًا: «لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقيًّا». رواه ابن حبان في «صحيحه»^(٦).

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) اليد: المعروف والجميل.

(٣) ضعيف: وعزاه الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١١٦/٢) لابن مردويه في «تفسيره»، عن رجلٍ لم يسمَّ، وبنحوه في «مسند الفردوس» من حديث معاذٍ رضي الله عنه. ثم قال: «أسانيده كلها ضعيفة».

(٤) حسن: رواه أحمد (١٤٦/٥)، وأبو داود (٤٥٩٩)، وضعّفه الشيخ الألباني عند أبي داود، بينما حسّنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣٥/٢٢٩)، وعند أبي داود (٩/٧).

ويشهد له حديث البراء رضي الله عنه المشار إليه قريبًا.

(٥) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٦) حسن: رواه أحمد (٤٦٤/١)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٦٤)، وأبو =

- ١٦ - وعن عليٍّ مرفوعاً: «لا يحبُّ رجلٌ قومًا إلَّا حُشر معهم».
رواه الطبراني بإسنادٍ جيد، قاله ابن المنذر^(١).
١٧ - وقد روى أحمد معناه عن عائشة بإسنادٍ جيد - أيضًا -
عنها مرفوعاً: «الشركُ أخفى من ديب الذرِّ»^(٢) على الصفا في الليلة

= داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٨٤)،
والدارمي (١٠٣/٢)، وأبو يعلى (١٣١٥)، وابن حبان (٥٦٠)، والحاكم
(١٢٨/٤)، والخطابي في «العزلة» (١٦٠ - تهذيبي)، من حديث أبي سعيد
الخُدري رضي الله عنه. وحسنه الإمام الترمذي، والشيخ الألباني، والشيخ شعيب
الأرنؤوط في «المسند» (٤٣٧/١٧).

تنبيه: الحديث - كما رأينا - من رواية أبي سعيد، لا ابن مسعود رضي الله عنه
كما وهم المصنف رحمته الله.

فائدة: قال الإمام الخطابي رحمته الله: «قوله ﷺ: «لا يأكل طعامك إلَّا تقى»،
إنما أراد به «طعام الدعوة» دون «طعام الحاجة»، ألا تراه يقول -
تعالى ذكره -: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَطْعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]!
ومعلوم أن أسراءهم الكفار دون المؤمنين، ودون الأتقياء من المسلمين؛
وإنما وجه الحديث ومعناه: «لا تدعُ إلى مؤاكلة إلَّا الأتقياء»، لأن
المؤاكلة تُوجِبُ الألفة، وتجمعُ بين القلوب» اهـ. من «العزلة»، الموضع
السابق.

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٤٥٠)، وفي «الصغير» (٨٧٤)،
وجوّده الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٦٠٠)، وقال الإمام الهيثمي
في «المجمع» (٤٩٦/١٠): «رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله
رجال الصحيح، غير محمد بن ميمون الخياط وقد وثّق». وصحّحه
لغيره الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٣٧)، وضعّفه الشيخ
حسين الداراني في تحقيق «مجمع الزوائد» (٣٨٦/٢١).

(٢) الذر: النمل.

الظلماء، وأدناه أن تحبَّ على شيء من الجور، أو تبغضَ على شيء من العدل، وهل الدينُ إلا الحبُّ في الله والبغضُ في الله؟! قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: ٣١]. رواه الحاكم، وقال: «صحيح الإسناد»^(١).

فقد جعل النبي ﷺ في هذا الحديث الحبَّ على شيء من الجور - وإن قلَّ - والبغض على شيء من العدل - وإن قلَّ - من الشرك. فليحذرْ أشدَّ الحذر من موادة أعداء الله من الكفار والمنافقين. ١٨ - وعن بُريدة مرفوعاً: «لا تقولوا للمنافق سيِّداً، فإنه إن يكن سيِّداً فقد أسخطتم ربكم ﷻ». رواه أبو داود والنسائي بإسنادٍ صحيح. ورواه الحاكم، ولفظه: «إذا قال الرجلُ للمنافق: «يا سيدي»؛ فقد أغضب ربه ﷻ»، وقال: «صحيح الإسناد»^(٢).

- (١) ضعيف - دون الجملة الأولى -: وقد تقدم.
- (٢) صحيح: رواه أحمد (٣٤٦/٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٠)، وأبو داود (٤٩٧٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٠٢)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٦٤)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٥٩٨٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٩١)، وابن حزم في «المحلى» (١١/٢١٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٨٣)، والحاكم (٣١١/٤)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٩٨/٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤٥٤/٥). وصححه الإمام النووي في «الأذكار» ص (٤٤٩)، والحافظ المنذري في «الترغيب» (٥٧٩/٣)، والحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١٦٢/٣)، والشيخ الألباني، ومال الشيخ شعيب الأرناؤوط إلى تضعيف الحديث، كما في «المسند» (٢٣/٣٨)، و«سنن أبي داود» (٣٣٢/٧)، وللحديث ألفاظٌ عدة انظرها في تحقيق «المسند».

١٩ - وعن ابن مسعود مرفوعاً: «مثلُ الذي يُعين قومه على غير الحق، كمثل بغيرٍ تردى في بئر، فهو يُنزعُ بذنبه». رواه أبو داود وابن حبان^(١).

□ قال ابن المنذر: «ومعنى الحديث: أنه وقع في الإثم. وهلك البعير: إذا وقع في بئرٍ فصار يُنزعُ بذنبه^(٢)، فلا يَقْدِرُ على الخلاص». والأحاديث في ذلك كثيرة.

فصل: في ذكر الآثار عن السلف:

وهي كثيرة؛ فنذكر منها بعضها:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ...﴾، إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١١٩] والآية بعدها.

□ قال ابن عباس في الآية: «كان رجالٌ من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود - لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية -، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن بطانتهم لخوف الفتنة عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، قال: هم المنافقون». رواه ابن أبي حاتم.

- (١) صحيح: رواه أحمد (٣٩٣/١)، والطيالسي (٣٤٤)، وأبو داود (٥١١٨)، وابن حبان (٥٩٤٢)، والبيهقي في «الشَّعْب» (٧٢٧٢)، وفي «الكبرى» (٣٩٥/١٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٠٢/٧)، والبزار (٢٠١٣)، والشاشي في «مسنده» (٢٨٠)، وابن بشران في «الأمالى» (٥١١)، والرامهرمزي في «الأمثال» ص (١٠٣)، وصحَّحه الشيخ الألباني عند أبي داود، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضاً - (٤٣٩/٧).
- (٢) أي: يُشدُّ من ذيله.

□ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قيل له: «إن هاهنا غلامًا من أهل الحيرة^(١)، حافظًا كاتبًا، فلو اتخذته كاتبًا؟ قال: قد اتخذت - إذن - بطانةً من دون المؤمنين». رواه ابن أبي شيبة.

□ وعن الربيع: «(لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ)»، قال: لا تستدخلوا المنافقين^(٢)؛ تتولونهم دون المؤمنين».

□ وفي «تفسير القرطبي» - في الكلام على هذه الآية -: «نهى الله ﷻ المؤمنين - بهذه الآية - أن يتخذوا من الكافرين واليهود وأهل الأهواء دخلاءً وولجاء^(٣)؛ يفاوضونهم في الآراء، ويُسندون إليهم أمورهم. ويقال: كلُّ من كان على خلاف دينك ومذهبك لا ينبغي أن تُخادنه^(٤)»، قال القائل شعراً:

عن المرء لا تَسْلُ وسلْ عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدي
وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال:
«المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يُخالل»^(٥).

(١) وكان نصرانيًا.

(٢) أي: لا تجعلوهم أصفياءكم وخواصكم.

(٣) الولجاء: البطانة القريبة.

(٤) تخادنه: تصاحبه.

(٥) حسن: أخرجه أحمد (٣٠٣/٢)، والطيالسي (٢٥٧٣)، وعبد بن حميد (١٤٣١)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، والحاكم (١٧١/٤)، والبيهقي في «الشَّعَب» (٨٩٩٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٦٥/٣)، وابن وضاح في «البدع» (١٢٦)، والخطابي في «العزلة» (١٥٨) - تهذيبي، ط: دار ابن رجب، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٤٠)، وفي «مساوئ الأخلاق» (٦٥٥)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (٣٧)، وقال =

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «اعتبروا الناس بأخذانهم». ثم ^(١) بيّن المعنى الذي من لأجله ورد النهي عن المواصلة؛ فقال: ﴿لَا يَأْلُوَكُمْ خِبَالًا﴾، يعني فسادًا، يعني لا يتركون [الجهد في] فسادكم».

□ قال: «وقد مر أبو موسى الأشعري على عمر رضي الله عنه بحساب ^(٢)، فدفعه إلى عمر، فأعجبه. فقال لأبي موسى: أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟ فقال: إنه لا يدخل المسجد؟ لم؟ أجنب هو؟ قال: إنه نصراني. قال: فانتهره، وقال: لا تُدْنِهِمْ وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خَوَّنهم الله». ومن كتاب الإمام محمد بن وضّاح:

□ قال: «جاء في الأثر ^(٣): مَنْ جالس صاحب بدعةٍ فقد مشى في هدم الإسلام».

□ وقال الأوزاعي: «كانت أسلافكم تشتدُّ ^(٤) عليهم - أي: على

= الإمام الترمذي: «حسن غريب»، وصححه الشيخ الألباني، وجوّده الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣٩٨/١٣).

(١) لزال الكلام للإمام القرطبي رحمه الله.

(٢) أي: خبير بالحساب.

(٣) جاء في المطبوعتين قبل هذه الجملة: «سئل بن...»، وقال محقق طبعة «دار البيان»: «كذا في الأصل». ورجعتُ لكتاب ابن وضّاح، فلم عبارة «سئل» قبيل هذا الأثر. ولا ضير من حذفها كليةً. والله تعالى أعلم.

(٤) في المطبوع: «تشهد»، ولها وجهٌ صحيح. والمثبت من كتاب ابن وضّاح.

أهل البدع - ألسنتهم، وتشمئزُّ منهم قلوبهم، ويحذرون الناس بدعتهم».

□ وقال الحسن: «لا تجالس صاحب بدعة؛ فإنه يمرض قلبك».

□ وقال إبراهيم: «لا تجالسوا أهل البدع، ولا تكلموهم؛ فإني أخاف أن ترتدَّ قلوبكم». روى هذه الآثار ابنُ وضاح.

□ وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم - رحمك الله - أن كلام السلف في معاداة أهل البدع والضلالة انتهى^(١)، فإذا كان هذا كلامُ السلف، وتشديدهم في معاداة أهل الضلالات، ونهيهم عن مجالستهم؛ فما ظنك بمجالسة الكفار والمنافقين وجفاة الأعراب الذين لا يؤمنون بالله ورسوله، والسعي في مصالحهم، والذب عنهم، وتحسين حالهم؛ مع كونهم بين اثنتين: إما كافر، أو منافق، ومن يهتم بمعرفة الإسلام منهم قليل؟! فهذا من رؤوسهم وأصحابهم، وهو معهم يحشر يوم القيامة. قال تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية [الصفات: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾^(٢) ﴿٧﴾ [التكوير]. وقد تقدم الحديث: «لا يحبُّ رجلٌ قومًا إلا حُشر معهم»^(٣).

فصل: في التنبيه على حاصل ما تقدم:

قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكفار، وشدد في ذلك، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم، وكذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ،

(١) أي: تم ووقع على الوجه الأكمل.

(٢) أي: قُرن كلُّ صنفٍ مع صاحبه ونظيره؛ أهل الإيمان مع بعضهم، وأهل الكفر مع بعضهم، ونحو ذلك.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

وأخبر النبي ﷺ أن من أحب قومًا حُشر معهم، ويُفهم مما ذكرنا في الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور؛ من فعلها دخل في تلك الآيات، وتعرض للوعيد بمسيس النار - نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه :-

أحدها: التولي العام.

الثاني: المودة والمحبة الخاصة.

الثالث: الركون القليل، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنِّتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٦) إِذَا لَذَقْنَكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ (١) ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) [الأسراء]. فإذا كان هذا الخطابُ لأشرف مخلوق - صلاةُ الله وسلامُه عليه -؛ فكيف بغيره؟! -

الرابع: مداھنتهم ومداراتهم (٢)، قال الله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (١) [القلم].

الخامس: طاعتهم فيما يقولون، وفيما يشيرون، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٣) [الكهف]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مِّهِينٍ﴾ (٤) [الأنعام].

السادس: تقريبيهم في الجلوس، والدخول على أمراء الإسلام.

السابع: مشاورتهم في الأمور.

(١) أي: ضِعْفَ عذاب الحياة، وضِعْفَ عذاب الممات.

(٢) المداھنة: المتابعة في الباطل. المدارة: إظهار خلاف ما يُبطن.

(٣) ﴿فُرُطًا﴾: ضياعًا. أي: ضيَع أمره وأيامه في العصيان. وقيل: مخالفًا للحق. وقيل: باطلاً. وكل المعاني صحيحة.

(٤) ﴿مِّهِينٍ﴾: ذليل حقير، ضعيف الرأي والعقل. وقيل: كذاب.

الثامن: استعمالهم في أمرٍ من أمور المسلمين أيَّ أمر كان، إمارةً أو عمالةً، أو كتابةً، أو غير ذلك.

التاسع: اتخاذهم بطانةً من دون المؤمنين.

العاشر: مجالستهم، ومزاورتهم، والدخول عليهم.

الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة^(١).

الثاني عشر: الإكرام العام.

الثالث عشر: استئمانهم، وقد خوّنهم الله.

الرابع عشر: معاونتهم في أمورهم، ولو بشيءٍ قليل، كبري القلم، وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم.

الخامس عشر: مناصحتهم.

السادس عشر: اتباع أهوائهم.

السابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم.

الثامن عشر: الرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم.

التاسع عشر: ذكرهم بما فيه تعظيمٍ لهم، كتسميتهم: «سادات، وحكماء»؛ كما يقال لطواغيتهم: «السيد فلان»^(٢)، أو يقال لمن يدعي منهم علمَ الطب: «الحكيم»، ونحو ذلك^(٣).

(١) أما من باب تأليف قلوبهم على الحق فجائز.

(٢) ومثله تمامًا وصف ومناداة الكافر الأجنبي بـ«مستر»، انظر: «فتاوى نور على الدرب» ص (٣٧٦ - بعناية الشيخ عبد الله الطيار).

(٣) هذا فيه نظرٌ اليوم؛ إذ صار يطلق على الطبيب، ولا يُعدُّ وصفَ تعظيم، و«العادة محكمة».

العشرون: السُّكْنَى معهم في ديارهم، كما قال النبي ﷺ: «من جامع المشركين وسكن معهم؛ فإنه مثلهم» رواه أبو داود^(١).

إذا تبين هذا فلا فرق في هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه منهم، أو مع غيرهم كما في آية المجادلة^(٢)؛ وحينئذٍ فالذي يتسبب بالدفع عنهم حَمِيَّةٌ؛ إما بطرح نكال^(٣)، أو دفن نقائص المسلمين^(٤)، أو يشير بكفّ المسلمين عنهم = [فهو] من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين وغيرهم، خصوصاً المرتدين؛ ينبغي أن تكون الغلظة عليه أشدّ من الكافر الأصلي؛ لأن هذا عادى الله على بصيرة، وعادى رسوله ﷺ بعدما عرف الحق، ثم أنكره وعاداه - والعياذ بالله -.

(١) حسن: رواه أبو داود (٢٧٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٥١/٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٧٥٦)، وذكره البغوي في «شرح السنة» (٣٧٤/١٠)، من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه. وصحّحه الشيخ الألباني عند أبي داود، وفي «الصحيحة» (٢٣٣٠)، بينما قال الشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضًا - (٤١٣/٤): «إسناده مسلسل بالضعفاء والمجاهيل». وأورد لمعناه بعض الشواهد. وحسنه لغيره الشيخ محمد صبحي حلاق في تحقيق «نيل الأوطار» (٣٨١/١٤)، وكذا فعل الشيخ مشهور آل سلمان في تحقيق «الإنجاد في معرفة أبواب الجهاد» لابن المناصف (٦٦/١).

وانظر: «ميزان الاعتدال» (٨٩/٤)، و«لسان الميزان» (١٦/٦).

(٢) يقصد الآية رقم (٢٢).

(٣) يقصد: إسقاط عقوبة عنهم - كما سلفت إشارة -.

(٤) يقصد: عدم إعطاء المسلمين حقوقهم التي أخذها منهم هؤلاء من الأموال والعقارات ونحو ذلك، كما سلفت إشارة - أيضًا -.

فإذا كان من أعان ظالمًا فقد شاركه في ظلمه؛ فكيف بمن يعين الكفار والمنافقين على كفرهم ونفاقهم؟! وإذا كان من أعان ظالمًا مسلمًا في خصومة ظلم عند حاكم، يكون شريكًا لظالم؛ فكيف بمن يُعين الكفار ويذبُّ عنهم عند الأمراء؟!

وإذا كان الحرامية - الذين يأخذون أموال الناس - إذا بذلوا للأمير مالًا على أن يكفَّ عنهم، فكفَّ عنهم؛ فهو رئيسهم، فما ظنك بمن يُسرُّ إلى الكفار بالمودعة، ويُعلمهم أنه يحبهم ليوصلوه ويكرموه؟! كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - وغيره.

لكنَّ طرَحَ النكال إن كان عن مسلم مظلوم، فالشفاعة فيه والسعي في إسقاطه بالرأي ونحوه حسن. وإن كان عن مرتدٍّ، فلا نعيمًا لعشرته ولا كرامة.

ويكفي في ذلك ما رواه أحمد، والترمذي - وحسنه -، وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم - وصحَّحه -، عن ابن مسعود قال: لما كان يومُ بدر جيء بالأسرى وفيهم العباس، فقال رسول الله ﷺ: «ما تأمرون في هؤلاء الأسرى؟»، فقال أبو بكر: قومك - يا رسول الله - وأهلك، فاستَبَقَهم؛ لعل الله أن يتوب عليهم - وفي حديث أنس عند أحمد: نرى أن تعفو عنهم، وتقبل منهم الفداء -؛ رجع الحديث إلى ابن مسعود: فقال عمر: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك وقاتلوك، قدَّمهم فأضرب أعناقهم، فدخل النبي ﷺ ولم يردَّ عليهم شيئًا، فخرج رسول الله ﷺ، وقال: «يا أبا بكر، مثلك مثل إبراهيم عليه السلام قال: ﴿فَنَنْبَعِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم]، ومثلك - يا عمر - كمثل نوح عليه السلام قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح]

[نوح]. أنتم عالة^(١)، فلا ينفلتن أحدٌ منهم إلا بفداءٍ أو ضربٍ عنقٍ. فأنزل الله: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] الآيتين. مختصراً^(٢).

وفي حديث أنس: فأنزل الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ...﴾ الآية [الأنفال: ٦٨]^(٣).

وفي حديث ابن عمر عند أبي نعيم: فلقي رسول الله ﷺ عمر؛ فقال: «كاد أن يُصيبنا في خلافك شرٌّ»^(٤).

(١) عالة: فقراء.

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٣٨٣/١)، وفي «الفضائل» (١٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٣١/٥)، والترمذي (١٧١٤) - مختصراً -، وابن أبي شيبة (٤١٧/١٢)، والطبري في «تفسيره» (الأنفال: ٦٧)، وفي «التاريخ» (٤٧٦/٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٣٢١/٦)، والواحدي في «أسباب النزول» ص (٢٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٠٧/٤)، والحاكم (٢٤/٣)، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وضعفه الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨٦/٦)، والشيخ الألباني عند الترمذي، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (١٤٠/٦)، والشيخ ماهر الفحل في تحقيق «أسباب النزول» (٢٥٨)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١٨١/١٣).

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٤٣/٣)، وحسنه لغيره الشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (١٨١/٢١).

وانظر - أيضاً - حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «المسند» (٢٥٢/٢)، و«سنن الترمذي» (٣٠٨٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٠٩)، والطيالسي (٢/١٩)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين كما في «تحقيق مسند الإمام أحمد» (٤٠٤/١٢).

(٤) حسن - إن شاء الله - : رواه الحاكم (٣٢٩/٢)، وأبو نعيم في «الحلية» =

وفي رواية عنه عند ابن المنذر وابن مردويه: فقال رسول الله ﷺ: «إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذابٌ عظيم، ولو نزل عذابٌ ما أفلت إلا عمر»^(١).

فإذا كان هذا في رأي للصدِّيق رضي الله عنه - الذي اجتهد فيه، ونصح لله ورسوله ﷺ -؛ فما ظنك بمن يفعل ذلك مع قريبه حميَّةً دنيويَّةً، لا لغرض دينٍ، ولا يقصد وجه الله بذلك، بل لا يقصد إلا الدنيا؟!
فإن قيل: فالنبي ﷺ لم يذمَّ أبا بكر على التشبيه؛ بل شبهه بإبراهيم وعيسى وميكائيل عليه السلام، وشبه عمر بجبرائيل ونوح وموسى عليهما السلام.

قيل: المراد: [تشبيهه^(٢)] في الموافقة في أهل اللين والرحمة، لا في خصوص هذه المسألة؛ فإن الصواب فيها مع عمر قطعاً بكتاب الله، ومع ذلك توعدَّ الله في أخذ الفداء بالعذاب؛ لولا ما سبق

= (٤٣/١)، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وتعقبهما الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» (٤٧/٥)، بأن في الإسناد إبراهيم بن مهاجر، وهو لين الحديث، وبذلك أشار محقق «تفسير البغوي» (٣١٠/٢ - ط: طيبة)، لكنه بين أن إبراهيم متابع، وكذا حكم عليه بالصحة الشيخان عبد الله اللحيدان وسعد آل حميد في «مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك الحاكم» (٨٠٤/٢). وكذا أقرَّ الحاكم والذهبي على التصحيح الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص (١٠٣).

(١) لم أقف على هذه الرواية: وأصلها صحيح كما في الرواية قبلها. والله تعالى أعلى وأعلم.

(٢) يعني أبا بكر رضي الله عنه.

من كتاب الله أنه رأيي للصدِّيق ﷺ الذي اجتهد فيه؛ فكيف بمن ينصح لهم، ويرفق بهم، ويرى الكفَّ عن القتال، ويشير بإسقاط النكال عنهم، من غير مسوِّغ شرعي؛ بل لمجرد المحبة الدنيوية؟! وأما من يشير بكفَّ المسلمين عنهم:

- فإن كان مراده بذلك تأليفهم على الدخول في الإسلام، أو دخلوا فيه، أو واعدوه بالدخول فيه عن قريب، وكان المصلحة في تركهم قليلة ونحوه = فيجوز ذلك.

- وإن كان المراد به ألا يتعرَّض المسلمون لهم بشيء - لا بقتال ولا نكال وإغلاظٍ ونحو ذلك -، فهو من أعظم أعوانهم، وقد حصلت له موالاتهم مع بُعد الديار وتباعد الأقطار؛ كما قيل:

سهمٌ أصاب - وراميه بذِي سَلَمٍ - مَنْ بالعراقٍ لقد أبعدتِ مَرماكِ

وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم إن كانوا مرتدين، فهذا عند الفقهاء مخطيءٌ آثم؛ لأنه يجب على المرتدِّ ضمانٌ ما أتلَّفه للمسلمين في حال الردَّة، خصوصًا من تكررت منه الردَّة مرارًا؛ فإنه لا يقصِدُ بذلك - في هذا الزمان - إلا الإغارة والنهب لا غير؛ فترك ذلك له من أعظم المعاونة على الإثم والعدوان.

ولهذا لما صار هذا أمرًا سائغًا عند بعض الناس، انفتحت للبُدْوان^(١) أبوابُ الردَّة، وآتوها مهطعين^(٢) من كل وجه؛ ولو كان هذا مصلحةً في بعض الأوقات رآها بعض الأمراء؛ فلا يجب طردُ^(٣)

(١) كذا في المطبوعات و«الدرر السنية» (١٥٨/٨)، ولعل المقصود: همج البدو وأمثالهم.

(٢) مُهْطَعِين: مسرعين.

(٣) طرد: تعميم.

ذلك لكل أحد في كل زمان؛ فاعلم ذلك.

وأما قول السائل: هل يكون هذا موالاةً نفاق، أم يكون كفرًا؟

فالجواب:

١ - إن كانت الموالاة مع مُساكنتهم في ديارهم، والخروج معهم في قتالهم، ونحو ذلك؛ فإنه يُحَكَّم على صاحبها بالكفر، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال النبي ﷺ: «من جامع المشركين وسكن معهم فإنه مثلهم»^(١).

وقال: «أنا بريء من مسلمٍ [أقام] بين أظهر المشركين»^(٢).
رواهما أبو داود.

٢ - وإن كانت الموالاة لهم في ديار الإسلام إذا قدموا إليهم - ونحو ذلك -، فهذا عاصٍ آثمٌ متعرضٌ للوعيد.

(١) حسن: وقد تقدم.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٩٦)، وفي «العلل الكبير» (٦٨٦/٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٢٦٤)، وابن حزم في «المحلى» (٣٦٩/١٠)، والبيهقي في «الكبرى» (١٣١/٨)، وفي «الشعب» (٨٩٢٩)، وابن أبي عاصم في «الدييات» ص (٩١)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٣٢٣٣)، والطبراني (٣٨٣٦)، من حديث جرير البجلي رضي الله عنه. وصححه الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرناؤوط ثم - أيضًا - (٢٨١/٤).

٣ - وإن كانت موالاتهم لأجل دينهم؛ فيجبُ عليه من التعزير - بالهجر والأدب ونحوه - ما يَزْجُرُ أمثاله. وإن كانت الموالاتُ لأجل دينهم فهو مثلهم، و«مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُمْ»^(١).

ولكن ليتفكر السائل في قوله: «حَمِيَّةٌ دَنِيوِيَّةٌ»؛ [فقد] يمكن هذا لإبلاغ المحبة في قلوبهم، وإلا فلو كان يبغضهم في الله ويعاديهم، لكان أَقَرَّ شيءٍ لعينه ما يُسْخِطُهُمْ، ولكن كما قال ابن القيم:

أُتِحَبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي حَبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ
وأما قول السائل: فَإِنْ كَانَ مَا^(٢) يَقْدَرُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَتَلَفَظَ بِكُفْرِهِمْ
وَسِبِّهِمْ، مَا حَكَمَهُ؟

فالجواب: لَا يَخْلُو ذَلِكَ عَنْ:

١ - أَنْ يَكُونَ شَاكًّا فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ جَاهِلًا بِهِ.
٢ - أَوْ يُقَرَّرُ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا وَأَشْبَاهُهُمْ، وَلَكِنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُوَاجَهَتِهِمْ
وَتَكْفِيرِهِمْ.

٣ - أَوْ يَقُولُ: أَقُولُ: غَيْرُهُمْ كُفَّارٌ؛ لَا أَقُولُ: إِنَّهُمْ كُفَّارٌ.
- فَإِنْ كَانَ شَاكًّا فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ جَاهِلًا بِكُفْرِهِمْ: بُيِّنْتَ لَهُ الْأَدْلَةَ مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ عَلَى كُفْرِهِمْ؛ فَإِنْ شَكَّ بَعْدَ ذَلِكَ وَتَرَدَّدَ
فَإِنَّهُ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ؛ عَلَى أَنْ مَنْ شَكَّ فِي كُفْرِ الْكُفَّارِ فَهُوَ
كَافِرٌ.

- وَإِنْ كَانَ يُقَرَّرُ بِكُفْرِهِمْ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مُوَاجَهَتِهِمْ بِتَكْفِيرِهِمْ:
فَهُوَ مَدَاهِنٌ لَهُمْ، وَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ﴿٩﴾ [القلم]،

(١) صحيح: وقد تقدم. (٢) «ما»: بمعنى «لا».

وله حكم أمثاله من أهل الذنوب.

- وإن كان يقول: «أقول: غيرهم كفار، ولا أقول: هم كفار»، فهذا حكمٌ منه بإسلامهم - إذ لا واسطة بين الكفر والإسلام -، فإن لم يكونوا كفارًا فهم مسلمون، وحينئذٍ فمن سمى الكفر إسلامًا، أو سمى الكفار مسلمين فهو كافر؛ فيكون هذا كافرًا.

وأما قوله: إذا عرفت هذا من إنسان ماذا يجب عليك؟

فالجواب: يجب عليك أن تنصحه، وتدعوه إلى الله سبحانه، وتعرفه قبح ما ارتكبه، فإن تاب فهذا هو المطلوب، وإن أصر وعاند فله حكمٌ ما ارتكبه: إن كان كُفْرًا فكافر، وإن كان معصيةً أو إثماً فعاصٍ آثم، يجب الإنكار عليه، وتأديبه، وهجره، وإبعاده حتى يتوب.

وقد هجر النبي ﷺ من تخلف عن غزوةٍ واحدة، ونهى عن كلامهم والسلام عليهم^(١)؛ فكيف بمن يوالي الكفار، ويظهر لهم المودة؟! انتهى.



[٢٣]

حكم موالاة أهل الإشراك

للشيخ

سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

بِإِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم - رحمك الله -: أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم، خوفاً منهم، ومداراةً لهم، ومداھنةً لدفع شرهم = فإنه كافر مثلهم - وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحبُّ الإسلام والمسلمين؛ هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار مَنعةٍ، واستدعى بهم^(١)، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال ووالاهم، وقَطَعَ الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود القِباب^(٢) والشرك وأهلها، بعدما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله؟ فإنَّ هذا لا يشك مسلمٌ أنه كافر، من أشد الناس عداوةً لله ولرسوله ﷺ.

ولا يُستثنى من ذلك إلا المُكره، وهو الذي يستولي عليه المشركون، فيقولون له: «اكفر، أو افعل كذا، وإلا فعلنا بك وقتلناك»، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان.

وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً أنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا؟!

وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبْغِ

مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

(١) أي: اعتصم بهم وتقوى. (٢) يقصد: مشاهد وقبور الموتى.

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى - وكذلك المشركون - لا يرضون عن النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم، ويشهد أنهم على حق. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أُتْبِعَتْ أَهْوَاءُهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة، ١٢٠) وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة، ١٤٥).

فإذا كان النبي ﷺ لو يوافقهم على دينهم ظاهراً - من غير عقيدة القلب، لكن خوفاً من شرهم ومداهنة - كان من الظالمين، فكيف بمن أظهر لعباد القبور والقباب أنهم على حق وهدى مستقيم؟! فإنهم لا يرضون إلا بذلك.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكَ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة، ٢١٧).

فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولم يرخّص في موافقتهم خوفاً على النفس والمال والحرمة؛ بل أخبر عمن وافقهم - بعد أن قاتلوه - ليدفع شرهم أنه مرتد، فإن مات على ردة - بعد أن قاتله المشركون - فإنه من أهل النار الخالدين فيها. فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟!

فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له، عرفت أن الذين يأتون إليهم، ويسارعون في الموافقة لهم - من غير خوف ولا قتال - أنهم أولى بعدم العذر، وأنهم كفاراً مرتدون.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ

الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً ﴿٢٨﴾
[آل عمران: ٢٨].

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين - وإن كانوا خائفين منهم -، وأخبر أن من فعل ذلك ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، أي: لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة، ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً﴾، وهو أن يكون الإنسان مقهوراً معهم، لا يقدر على عداوتهم، فيظهر لهم المعاشرة، وقلبه مطمئنٌ بالبغضاء والعداوة، وانتظار زوال المانع، فإذا زال رجع إلى العداوة والبغضاء. فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر، إلا استحباب الدنيا على الآخرة، والخوف من المشركين، وعدم الخوف من الله؟! فما جعل الله الخوف منهم عذراً؛ بل قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران].

فأخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردّوهم على أعقابهم عن الإسلام؛ فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخّص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم. وهذا هو الواقع؛ فإنهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بالشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد منهم.

ثم قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾، فأخبر تعالى أنه ولي المؤمنين

وناصرهم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]؛ ففي ولايته وطاعته كفايةً وغنيةً عن طاعة الكفار.

فيا حسرةً على العباد الذين عرفوا التوحيد، ونشؤوا فيه، ودانوا به زماناً، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين وخير الناصرين، إلى ولاية القباب وأهلها، ورَضُوا بها بدلاً من ولاية مَنْ بيده ملكوت كل شيء؟! ﴿يَسْأَلُ الظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف].

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران].

فأخبر تعالى أنه لا يستوي من اتبع رضوان الله، ومن اتبع ما يُسخطه، ومأواه جهنم يوم القيامة. ولا ريب أن عبادة الرَّحْمَنِ وحده، ونصرها، وكون الإنسان من أهلها = من رضوان الله، وأن عبادة القباب والأموات، ونصرها، والكون من أهلها = مما يُسخط الله؛ فلا يستوي عند الله من نصر توحيده ودعوته بالإخلاص، وكان مع المؤمنين، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات، وكان مع المشركين.

فإن قالوا: خفنا. قيل لهم: كذبتُم.

وأيضاً: فما جعل الله الخوفَ عذراً في اتباع ما يسخطه، واجتناب ما يرضيه. وكثير من أهل الباطل إنما يتركون الحق خوفاً من زوال دنياهم، وإلا فهم يعرفون^(١) الحق ويعتقدونه، ولم يكونوا بذلك مسلمين.

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا

(١) في المطبوع: «فيعرفون»، ولعل الأصح ما أثبتته.

فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ [النساء].

أي: في أيِّ فريق كنتم: أفي فريق المسلمين، أم في فريق المشركين؟ فاعتذروا عن كونهم لم يكونوا في فريق المسلمين بالاستضعاف، فلم تعذرهم الملائكة: ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

ولا يشك عاقلٌ أن أهل البلدان الذين خرجوا عن المسلمين، وصاروا مع المشركين، وفي فريقهم وجماعتهم = أعظمُ ممن ترك الهجرة مشحَّةً بوطنه وأهله وماله؛ هذا مع أن الآية نزلت في أناسٍ من أهل مكة، أسلموا واحتبسوا عن الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم، فخرجوا خائفين، فقتلهم المسلمون يوم بدر، فلما علموا بقتلهم تأسَّفوا، وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله فيهم هذه الآية ^(١).

فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام، فخلعوا ربقتَه ^(٢) من أعناقهم، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم، ودخلوا في طاعتهم وآوؤهم ونصروهم، وخذلوا أهل التوحيد، وابتغوا غير سبيلهم وخطؤوهم، وظهر فيهم سبُّهم وشتْمُهم، وعيُّهم والاستهزاء بهم، وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد، والصبر عليه وعلى الجهاد فيه، وعاونوهم ^(٣) على أهل التوحيد طوعًا لا كرهًا، واختيارًا

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) الرِّبْقَةُ: الحلقة التي تربط بالعنق.

(٣) أي: المشركين - كما هو ظاهر -.

لا اضطراراً؟!

فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحاً بالوطن،
وخوفاً من الكفار، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين .
فإن قال قائل: هلا كان الإكراه على الخروج عذراً للذين قُتلوا يوم
بدر؟

قيل: لا يكون عذراً؛ لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين
- إذ أقاموا مع الكفار -، فلا يُعذرون بعد ذلك الإكراه؛ لأنهم السبب
في ذلك، حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة .

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ
ءَايَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠] .

فذكر تعالى أنه نزل على المؤمنين في الكتاب: أنهم إذا سمعوا
آيات الله ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ فلا يقعدوا معهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ
غَيْرِهِ﴾^(١)، وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله، المستهزئين بها
في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم؛ ولم يفرق بين الخائف
وغيره إلا المكره؛ وهذا وهم في بلد واحد في أول الإسلام، فكيف
بمن كان في سعة الإسلام وعزه وبلاده؛ فدعا الكافرين بآيات الله
المستهزئين بها إلى بلاده، واتخذهم أولياء وأصحاباً وجلساء،

(١) والذي أنزل الله ﷻ عليهم قبل ذلك هو الآية المشابهة في قوله تعالى:
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ وَإِنَّمَا
يُؤَسِّرُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ [الأنعام] . فهذه
الآية مكية، وآية النساء أعلاه مدنية .

وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرهم، وطَرَدَ أهل التوحيد وأبعدهم؟!
 الدليل الثامن: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ
 أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
 ﴿٥١﴾ [المائدة].

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وأخبر
 أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم؛ وهكذا حكم من تولّى الكفار
 من المجوس وعُبَاد الأوثان، فهو منهم.
 فإن جادل مجادلًا في أن عبادة القَبَاب، ودعاء الأموات مع الله
 ليس بشرك، وأن أهلها ليسوا بمشركين، بان أمره، واتضح عناده
 وكفره.

ولم يفرّق تعالى بين الخائف وغيره؛ بل أخبر الله تعالى أن
 الذين في قلوبهم مرضٌ يفعلون ذلك خوفًا من الدوائر^(١)؛ وهكذا
 حال هؤلاء المرتدين، خافوا من الدوائر؛ فزال ما في قلوبهم من
 الإيمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد، فبادروا وسارعوا
 إلى الشرك، خوفًا أن تصيبهم دائرة، قال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ
 أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ
 ﴿٥٢﴾ [المائدة].

الدليل التاسع: قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لِيُشَاقِقُوا مَا قَدِمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾
 [المائدة]؛ فذكر تعالى أن موالة الكفار موجبة لسخط الله، والخلود
 في النار بمجردھا - وإن كان الإنسان خائفًا - إلا المكره بشرطه؛

فكيف إذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح؛ وهو معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة على زوال دعوة الله بالإخلاص، وعلى تثبيت دعوة غيره؟!

الدليل العاشر: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٨١) [المائدة].

فذكر تعالى أن موالاته الكفار منافية للإيمان بالله والنبى وما أنزل إليه. ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين، ولم يفرق بين من خاف الدائرة ومن لم يخف. وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم؛ كثير منهم فاسقون، فجر ذلك إلى موالاته الكفار والردة عن الإسلام. نعوذ بالله من ذلك.

الدليل الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١٣) [الأنعام].

وهذه الآية نزلت لما قال المشركون: تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله^{(١)؟}! فأنزل الله هذه الآية^(٢).

(١) وهذه الفتنة الشيطانية - فتنة الشبهات - تتزايد مع مرور الأزمان؛ وجُلُّ من يحمل لواءها اليوم هم الأحزاب المبتدعة؛ الذي يرغبون في تمرير بدعهم بشبهات عقيمة، وجهالات ذميمة، ليشككوا الناس في صحة المنهاج النبوي وما كان عليه أسلافنا الطاهرون. وانظر عددًا من ذلك في كتابي: «فرقة الدعوة والتبليغ في ميزان أهل السنة والجماعة».

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٨١٩)، والترمذي (٣٠٦٩)، والبزار في «مسنده» - كما في «تفسير القرآن العظيم» (١٧٧/٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٦١/١١)، والضياء في =

فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركًا - من غير فرق بين الخائف وغيره - إلا المكره، فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم، والكون معهم، ونصرهم، والشهادة أنهم على حق، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين؟! فهؤلاء أولى بالكفر والشرك، ممن وافقهم على أن الميتة حلال.

الدليل الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الأعراف].

وهذه الآية نزلت في رجل عالم عابد، في زمان بني إسرائيل، يقال له: «بلعام»، وكان يَعْلَمُ الاسم الأعظم^(١).

□ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: «لما نزل بهم موسى عليه السلام - يعني بالجبارين - أتوه^(٢) بنو عمّه وقومه، فقالوا: إن موسى رجلٌ حديد^(٣)، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يُهْلِكُنَا، فادع

= «المختارة» (٢٦٩)، والبيهقي (٢٤٠/٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٣٠٠/٢٢)، وابن مردويه في «تفسيره» - كما في «الدر المنثور» (٣/٣٤٦) -، من حديث ابن عباس عليه السلام. وقال الترمذي: «حسن غريب»، وصحّحه الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضًا -، وكذا صاحب «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١٥٥/٢).

(١) صحّ عن ابن مسعود عليه السلام أن المراد بالآية هو هذا الرجل «بلعام»، وصحّ عن ابن عباس عليه السلام أنها نزلت في أمية بن الصلت. فانظر: «الاستيعاب في بيان الأسباب» (١٦٩/٢).

(٢) أي: أتوا إلى بلعام.

(٣) أي: شديد قاسٍ.

اللَّهُ أَنْ يرد موسى ومن معه. قال: إني إن دعوت الله ذهبت دنياي وأخرتي. فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾. □ وقال ابن زيد: «كان هواه مع القوم».

يعني الذين حاربوا موسى وقومه.

فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله بعد أن أعطاه الله إياها، وعرفها، وصار من أهلها، ثم انسلخ منها، أي: ترك العمل بها. وذكر في انسلاخه منها ما معناه أنه مظهرةً المشركين، ومعاونتهم برأيه، والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه أن يردّهم الله عن قومه، خوفًا على قومه، وشفقةً عليهم، مع كونه يعرف الحق ويقطع به، ويتكلم به ويشهد به، ويتعبد، ولكن صدّه عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه، وإخلادّه إلى الأرض؛ فكان هذا انسلاخًا من آيات الله.

وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين - وأعظم -؛ فإن الله تعالى أعطاهم آياته التي فيها الأمر بتوحيده ودعوته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك به ودعوة غيره، والأمر بموالاتة المؤمنين، ومحبتهم ونصرتهم، والاعتصام بحبل الله جميعًا، والكون مع المؤمنين، والأمر بمعاداة المشركين وبغضهم، وجهادهم وفراقهم، والأمر بهدم الأوثان، وإزالة القحاب^(١) واللواط والمنكرات، وعرفوها وأقروا بها، ثم انسلخوا من ذلك كله، فهم أولى بالانسلاخ من آيات الله والكفر والردة من بلعام، أو هم مثله.

(١) كذا في المطبوعات و«الفتاوى النجدية»، ومعناها: الزانيات.

الدليل الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣) [هود].

فذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة والكفار والظالمين موجب لمسيس النار، ولم يفرّق بين من خاف منهم وغيره، إلا المكره؛ فكيف بمن اتخذ الركون إليهم ديناً ورأياً حسناً، وأعانهم بما قدر عليه من مالٍ ورأي، وأحبّ زوال التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك عليهم؟! فإن هذا من أعظم الكفر والركون.

الدليل الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْثَرِهِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٠٧) [النحل].

فحكّم تعالى حكماً لا يبدّل: أن من رجع عن دينه إلى الكفر فهو كافر، سواء كان له عذرٌ - خوفاً على نفس أو مال أو أهل - أم لا، وسواء كفر بباطنه وظاهره، أم بباطنه دون ظاهره، وسواء كفر بفعاله أو مقاله، أو بأحدهما دون الآخر، وسواء كان طامعاً في دنيا ينالها من المشركين أم لا، فهو كافرٌ على كل حال، إلا المكره، وهو في لغتنا: المغضوب؛ فإذا أكره إنسانٌ على الكفر، أو قيل له: «اكفر وإلا قتلناك، أو ضربناك»، أو أخذه المشركون فضربوه، ولم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم = جاز له موافقتهم في الظاهر؛ بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان - أي: ثابتاً عليه معتقداً له -، فأما إن وافقهم بقلبه فهو كافر - ولو كان مكرهاً -.

وظاهر كلام أحمد: أنه في الصورة الأولى لا يكون مكرهاً حتى

يعذبه المشركون:

□ فإنه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، فما زال يعتذر ويقول: «حديث عمار، وقال الله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾»، فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر، فقال يحيى: لا يقبل عذراً. فلما خرج يحيى قال أحمد: يَحْتَجُّ بحديث عمار! وحديث عمار: «مررت بهم وهم يسبُّونك، فنهيتهم فضربوني»^(١)، وأنتم قيل لكم: نريد أن نضربكم^(٢). فقال يحيى: والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله منك»^(٣).

ثم أخبر تعالى: أن هؤلاء المرتدِّين الشارحين صدورهم بالكفر - وإن كانوا يقطعون [أنهم] على الحق، ويقولون: ما فعلنا هذا إلا خوفاً -، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل].

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك، أو الجهل بالتوحيد، أو البغض للدين، أو محبة الكفر؛ وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فأثره على الآخرة، وعلى رضا رب العالمين؛ فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل]، فكفرهم تعالى، وأخبر أنه لا يهديهم - مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا -.

(١) حسن - إن شاء الله -: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢٤٩/٣)، والطبري في «تفسيره» (٣٧٤/١٤)، والحاكم (٣٥٧/٢)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٤٠/١)، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر في «الدراية» (١٩٧/٢): «إسناده صحيح إن كان محمد بن عمار سمع من أبيه».

(٢) أي: عمارٌ ومن معه ﷺ عَذَّبُوا فعلياً، ولم يُهَدَّدُوا فحسب.

(٣) انظر: «مَهَذَّبُ مناقب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ» (رقم: ٨٤٦ - تهذيبي).

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة هم ﴿الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾، وأنهم الغافلون، ثم أخبر خبراً مؤكداً محققاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [النحل].

الدليل الخامس عشر: قوله تعالى عن أهل الكهف: ﴿إِنَّمَا إِنْ يَطْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ ﴿٢٠﴾ [الكهف].

فذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إن قهروكم وغلبوكم فهم بين أمرين:

- إما أن يرموكم، أي: يقتلوكم شرّاً قتلةٍ برجم.

- وإما أن يُعيدوكم في مِلَّتِهِمْ ودينهم، ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾، أي:

وإن وافقتموهم على دينهم - بعد أن غلبوكم وقهروكم - فلن تفلحوا إذن أبداً؛ فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه، فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد، وأجابهم إلى ما طلبوا من غير غلبة ولا إكراه، ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون؟!

الدليل السادس عشر: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١١﴾ [الحج].

فأخبر تعالى أن من الناس ﴿مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، أي: على طرف^(١)، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ أي: نصرٌ وعزٌّ وصحةٌ، وسعةٌ وأمنٌ وعافية، ونحو ذلك، ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾، أي: ثبت، وقال: «هذا دينٌ حسن، ما رأينا فيه إلا خيراً»، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾، أي: خوفٌ ومرضٌ وفقرٌ

(١) والمقصود - كما عليه أكثرُ المفسرين -: على شك.

ونحو ذلك، ﴿انْقَلَبْ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾، أي: ارتد عن دينه، ورجع إلى أهل الشرك.

فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة سواءً بسواء؛ فإنهم قبل هذه الفتنة يعبدون الله على حرف، أي: على طرف، ليسوا ممن يعبد الله على يقين وثبات، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم، وأظهروا الموافقة للمشركين، وأعطوهم الطاعة، وخرجوا عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين، فهم معهم في الآخرة كما هم معهم في الدنيا، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج].

هذا مع أن كثيراً منهم في عافية، ما أتاهم من عدو، وإنما ساء ظنهم بالله، فظنوا أنه يُدِيلُ^(١) الباطل وأهله على الحق وأهله، فأرداهم^(٢) سوء ظنهم بالله، كما قال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت].

وأنت - يا من من الله عليه بالثبات على الإسلام - احذر أن تدخل في قلبك شيء من الريب، أو تحسین [حال] هؤلاء المرتدين، وأن موافقتهم للمشركين وإظهار طاعتهم رأيي حسن^(٣)، حذراً على الأنفس والأموال والمحارم! فإن هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيراً من الأولين والآخرين في الشرك بالله، ولم يعذرهم الله بذلك، وإلا فكثيرٌ منهم يعرفون الحق، ويعتقدونه بقلوبهم، وإنما يدينون لله

(١) يُدِيلُ: ينصر.

(٢) أرداهم: أهلكهم.

(٣) في بعض المطبوعات: «رأياً حسناً».

بالشرك للأعداء الثمانية التي ذكرها الله في كتابه - أو لبعضها -؛ فلم يعذر بها أحداً ولا ببعضها، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) [التوبة].

الدليل السابع عشر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ (١) (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ (٢٨) [محمد].

فذكر تعالى عن المرتدين على أدبارهم: أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدوا على علم، فلم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة، وغرهم الشيطان بتسويله، وتزيين ما ارتكبوه من الردة. وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، غرهم الشيطان؛ فأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة، وأنهم بمعرفة الحق ومحبتة والشهادة به لا يضرهم ما فعلوه! ونسوا أن من المشركين من يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به، ولكن يتركون متابعتة والعمل به محبةً للدنيا، وخوفاً على الأنفس والأموال، والمآكل والرياسات.

ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾، فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة، وتسويل الشيطان والإملاء لهم، هو قولهم للذين كرهوا ما نزل

اللَّهُ: ﴿سَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾، فإذا كان مَنْ وَعَدَ المشركين - الكارهين لما أنزل الله - طاعتهم في بعض الأمر كافرًا - وإن لم يفعل ما وعدهم به -، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات، وأظهر أنهم على هدى، وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم، وأن الصواب في مسالمتهم والدخول في دينهم الباطل؟! فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الأمر.

ثم أخبر تعالى عن حالهم الفظيع عند الموت، ثم قال: ﴿ذَلِكَ﴾، أي: الأمر الفظيع عند الوفاة، ﴿يَأْنَهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾. ولا يستريب المسلم أن اتباع المشركين، والدخول في جملتهم، والشهادة أنهم على حق، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله، ونصرة القباب والقحاب واللواط = مِنْ اتَّبَعَ ما يُسَخِطُ الله وكراهة رضوانه، وإن ادَّعَوْا أن ذلك لأجل الخوف؛ فإن الله ما عذر أهل الرِّدة بالخوف من المشركين؛ بل نهى عن خوفهم. فأين هذا ممن يقول: ما جرى منا شيء ونحن على ديننا؟!

الدليل الثامن عشر: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر].

فعقد الله تعالى الأُخُوَّةَ بين المنافقين والكفار، وأخبر أنهم يقولون لهم في السر: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾، أي: لئن غلبكم محمد ﷺ وأخرجكم من بلادكم، ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا﴾، أي: لا نسمع

من أحد فيكم قولاً، ولا نعطي فيكم طاعةً، ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرْكُمْ﴾، أي: إن قاتلكم محمد ﷺ لننصرنكم ونكون معكم. ثم شهد الله إنهم لكاذبون في هذا القول.

فإذا كان وَعْدُ المشركين في السرِّ بالدخول معهم، ونَصْرهم والخروج معهم إن جُلُوا^(١) = نفاقاً وكفرًا - وإن كان كذبًا -، فكيف بمن أظهر ذلك صادقاً، وقَدِم عليهم، ودخل في طاعتهم، ودعا إليها^(٢)، ونصرهم، وانقاد لهم وصار من جملتهم، وأعانهم بالمال والرأي؟! هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفاً من الدوائر، كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]، هكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، فإنَّ عذر كثير منهم هو هذا العذر الذي ذكره الله عن الذين في قلوبهم مرض، ولم يعذرهم الله به، قال تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ ٥١ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ٥٢ [المائدة].

ثم قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوٍّ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]؛ فأخبر تعالى أنه لا بد عند وجود المرتدِّين من وجود المحبين المجاهدين، ووصفهم بالذلة والتواضع للمؤمنين، والعزة والغلظة والقسوة على الكافرين، بضدٍّ من كان تواضعه وذُلُّه وليُّنه لِعِبَادِ القباب وأهل القحاب واللواط، وعزُّته وغلظته على أهل التوحيد والإخلاص؛

(٢) أي: إلى طاعتهم.

(١) أي: أخرجوا من ديارهم.

فكفى بهذا دليلاً على كفر من وافقهم - وإن ادعى أنه خائف -، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾؛ وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفاً من المشركين.

ثم قال تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في توحيده، صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم، لتكون كلمة الله هي العليا، ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ أي: لا يبالون بمن لامهم وآذاهم في دينهم؛ بل يَمْضُونَ على دينهم مجاهدين فيه، غير ملتفتين للوم أحدٍ من الخلق، ولا لسخطه ولا لرضاه، وإنما همَّتْهم وغايةُ مطلوبهم رضا سيدهم ومعبودهم، والهربُ من سخطه؛ وهذا بخلاف مَنْ كانت همته وغاية مطلوبه رضَى عِبَادَ الْقِيَابِ وأهل القحاب واللواط، ورجاءهم، والهرب مما يُسخطهم؛ فإن هذا غاية الضلال والخذلان.

ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة]، فأخبر الله تعالى أن هذا الخير العظيم، والصفات الحميدة لأهل الإيمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن = ليس بحولهم ولا بقوتهم، وإنما هو ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، كما قال تعالى: ﴿يَخْضُضُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة]. فأخبر الله تعالى - خبراً بمعنى الأمر - بولاية الله ورسوله والمؤمنين، وفي ضمنه النهي عن موالة أعداء الله ورسوله والمؤمنين، ولا يخفى أيُّ الحزبين أقرب إلى الله ورسوله: أهل الأوثان والقباب والقحاب واللواط والخمور والمنكرات، أم أهل الإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة! فالمتولي لضدَّهم واضعٌ للولاية في غير محلِّها، مستبدلٌ بولاية الله ورسوله

والمؤمنين - المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة - ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب.

ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ومن تولاهم، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة].

الدليل التاسع عشر: قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

فأخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يوادُّ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - ولو كان أقرب قريب -، وأن هذا منافٍ للإيمان مضادٌّ له، لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار.

وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة].

ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر، ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس. فإذا كان لم يرخص لأحد في موالاتهم، واتخاذهم أولياء بأنفسهم، خوفاً منهم وإيثاراً لمرضاتهم، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباة وأولياء وأصحاباً، وأظهر لهم الموافقة على دينهم، خوفاً على بعض هذه الأمور، ومحبة لها؟! ومن العجب استحسانهم لذلك، واستحلالهم له، فجمعوا مع الردة استحلال الحرام.

الدليل العشرون: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنْخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولَئِكَ تُلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَآيِنَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١﴾ [المتحنة]. أي: أخطأ الصراط المستقيم.

فأخبر تعالى أن من تولَّى أعداء الله - وإن كانوا أقرباء وأصدقاء - ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، أي: أخطأ الصراط المستقيم، وخرج عنه إلى الضلال؛ فأين هذا ممن يدعي أنه على الصراط المستقيم لم يخرج عنه؟! فإن هذا تكذيبٌ لله - ومن كذب الله فهو كافر -، واستحلالٌ لما حَرَّمَ الله من ولاية الكفار - ومن استحل محرماً فهو كافر -.

ثم ذكر تعالى شبهةً من اعتذر بالأرحام والأولاد، فقال: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ [المتحنة]، فلم يعذر الله تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد، والخوف عليهما، ومشقة مفارقتهما؛ بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة، ولا تغني من عذاب الله شيئاً، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْأَلُونَ﴾ [المؤمنون].

الدليل الحادي والعشرون: من السنة: ما رواه أبو داود وغيره، عن سُمرة بن جندب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ جَامَعَ الْمَشْرَكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ» ^(١).

فجعل ﷺ في هذا الحديث من جامع المشركين - أي: اجتمع

معهم وخالطهم وسكن معهم - فهو مثلهم؛ فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم، وآواهم وأعانهم؟ فإن قالوا: خفنا، قيل لهم: كذبتُم.

وأيضاً فليس الخوف بعذر؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]؛ فلم يعذر الله ﷻ من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف، فكيف بمن لم يُصبه أذى ولا خوف، وإنما جاء إلى الباطل محبةً له وخوفاً من الدوائر؟

والأدلة على هذا كثيرة، وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته. وأما من أراد الله فتنته وضلالته، فكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ١٧].

فنسأل الله الكريم المَنَّان أن يحيينا مسلمين، وأن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، برحمته؛ وهو أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد.



[٢٤]

حكم السفر إلى بلاد الشرك
والإقامة فيها

للشيخ

سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

📖 المسألة الأولى: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار الحربية،

لأجل التجارة أم لا؟

الجواب: الحمد لله.

إن كان يقدر على إظهار دينه، ولا يوالي المشركين، جاز له ذلك؛ فقد سافر بعض الصحابة رضي الله عنهم - كأبي بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة - إلى بلدان المشركين لأجل التجارة، ولم يُنكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، كما رواه أحمد في «مسنده» وغيره ^(١).

وإن كان لا يقدر على إظهار دينه، ولا على عدم موالاتهم، لم يجز له السفر إلى ديارهم - كما نص على ذلك العلماء -، وعليه تُحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين، فما كان ذريعةً وسبباً إلى إسقاط ذلك لم يجز.

وأيضاً فقد يجزئه ذلك إلى موافقتهم وإرضائهم، كما هو الواقع لكثير ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فساق المسلمين، نعوذ بالله من ذلك.

(١) صحيح: لكني لم أقف على حديث «المسند» الذي أشار إليه المصنف رحمه الله. لكن ثبت في «الصحيح» (٢٩٢٩) أن أبا بكر رضي الله عنه كان يتاجر في بصرى على عهد الحبيب رضي الله عنه.

المسألة الثانية: هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلد الكفار - وشعائر الكفر ظاهرة - لأجل التجارة؟

الجواب عن هذه المسألة: هو الجواب عن التي قبلها سواءً، ولا فرق في ذلك بين دار الحرب أو دار الصلح، فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها، لا يجوز له السفر إليها.

المسألة الثالثة: هل يفرق بين المدة القريبة - مثل شهر أو شهرين -، والمدة البعيدة؟

الجواب: أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة، فكل بلد لا يقدر على إظهار دينه فيها، ولا على عدم موالاته المشركين، لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً، إذا كان يقدر على الخروج منها.

المسألة الرابعة: في معنى قوله ﷺ: «إِن كُنتُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ» [النساء: ١٤٠]، وقوله ﷺ في الحديث: «مَنْ جَامَعَ الْمَشْرِكَ»^(١) وسكن معه فإنه مثله»^(٢):

الجواب: أن معنى الآية على ظاهرها؛ وهو أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، فجلس عند الكافرين المستهزئين من غير إكراه ولا إنكار، ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره = فهو كافر مثلهم - وإن لم يفعل فعلهم -؛ لأن ذلك يتضمن الرضاء بالكفر، والرضاء بالكفر كفر.

وبهذه الآية - ونحوها - استدلل العلماء على أن الراضي بالذنوب كفعله؛ فإن ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه؛ لأن الحكم

(١) سيأتي المراد لاحقاً - إن شاء الله - .

(٢) حسن: وقد تقدم.

على الظاهر، وهو قد أظهر الكفر؛ فيكون كافرًا؛ ولهذا لما وقعت الردة بعد موت النبي ﷺ وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك، لم يقبل منهم الصحابة ذلك؛ بل جعلوهم كلهم مرتدين، إلا من أنكر بلسانه وقلبه.

وكذلك قوله في الحديث: «من جامع المشرك وسكن معه، فإنه مثله» على ظاهره؛ وهو أن الذي يدعي الإسلام، ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم - بحيث يعدّه المشركون منهم -، فهو كافرٌ مثلهم - وإن ادعى الإسلام -، إلا إن كان يُظهر دينه، ولا يوالي المشركين؛ ولهذا لما ادعى بعضُ الناس الذين أقاموا في مكة بعدما هاجر النبي ﷺ، فادعوا الإسلام إلا أنهم أقاموا في مكة، يعدّهم المشركون منهم، وخرجوا معهم يوم بدر كارهين للخروج، فقتلوا، فظن بعضُ الصحابة أنهم مسلمون، وقالوا: «قتلنا إخواننا!» فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] (١).

□ قال الشَّاذي وغيره من المفسرين: «إنهم كانوا كفارًا، ولم يعذر الله منهم إلا المستضعفين».

📖 المسألة الخامسة: هل يقال لمن أظهر علامات النفاق - ممن يدعي

الإسلام - : إنه منافق أمر لا؟

الجواب: أنه من ظهرت منه علاماتُ النفاق الدالة عليه - كارتداده عند التحزيب على المؤمنين، وخذلانهم عند اجتماع العدو؛ كالذين قالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وكونه إذا غلب

المشركون التجأ معهم، وإن غلب المسلمون التجأ إليهم، ومدحه للمشركين بعض الأحيان، وموالاتهم من دون المؤمنين، وأشبه هذه العلامات التي ذكر الله أنها علامات للنفاق وصفات للمنافقين -؛ فإنه يجوز إطلاق النفاق عليه، وتسميته منافقاً.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك كثيراً:

□ كما قال حذيفة رضي الله عنه: «إن [كان] الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ؛ فيكون بها منافقاً».

□ وكما قال عوف بن مالك رضي الله عنه لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح ^(١): «كذبت؛ ولكنك منافق» ^(٢).

□ وكذلك قال عمر رضي الله عنه في قصة حاطب: «يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق». وفي رواية: «دعني أضرب عنقه؛ فإنه منافق» ^(٣).

وأشبه ذلك كثير.

□ وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عباد رضي الله عنهما - لما قال ذلك الكلام ^(٤) -: «كذبت؛ ولكنك منافق، تجادل عن المنافقين» ^(٥).

(١) كان هذا حين قال بعض المنافقين - في غزوة تبوك -: «لم أر مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً»، وقد تقدم ص (١٤٣).

(٢) حسن: وقد تقدم، وهو عندما طعن المنافقون في النبي ﷺ وصحابته بقولهم: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً».

(٣) رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي رضي الله عنه.

(٤) انظر التالي.

(٥) رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها.

ولكن ينبغي أن يُعرف أنه لا تلازم بين إطلاق النفاق عليه ظاهراً، وبين كونه منافقاً باطناً، فإذا فعل علاماتِ النفاق جاز تسميته منافقاً لمن أراد أن يسمّيه بذلك - وإن لم يكن منافقاً في نفس الأمر -؛ لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الإنسانُ مخطئاً لا علم عنده، أو لمقصدٍ يخرج به عن كونه منافقاً [في الباطن]، فمن أطلق عليه النفاق لم يُنكر عليه، كما لم يُنكر النبي ﷺ على أُسيد بن حضير تسميته سعداً منافقاً - مع أنه ليس بمنافق -، ومن سكت لم ينكر عليه، بخلاف المذبذب الذي ليس مع المسلمين ولا مع المشركين؛ فإنه لا يكون إلا منافقاً.

واعلم أنه لا يجوز إطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصبية، أو لكونه يشاحن رجلاً في أمر دنياء، أو يبغضه لذلك، أو لكونه يخالف في بعض الأمور التي لا يزال الناس فيها مختلفين؛ فليحذر الإنسان أشد الحذر؛ فإنه قد صح في ذلك الحديث عن النبي ﷺ

= والكلام المذكور كان في قصة الإفك المريرة، حين قام رسول الله ﷺ وطلب من أصحابه نُصرتَه على من اتهم زوجته الطاهرة بما اتهمها به، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: «أعذرَك منه - يا رسول الله -؟ إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرَك، قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: فقام سعد بن عبادة - وهو سيد الخزرج -، وكان رجلاً صالحاً، ولكن اجتَهلته الحميّة، فقال لسعد بن معاذ: لَعَمْرُ اللَّهِ لا تقتله، ولا تقدُرْ على قتله، فقام أُسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ -، فقال لسعد بن عبادة: كذبت؛ لَعَمْرُ اللَّهِ لنقتلته؛ فإنك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين».

في: «مَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»^(١)، وإنما يجوز من ذلك إذا^(٢) كانت العلامات مطردة في النفاق - كالعلامات التي ذكرنا وأشباهاها -، بخلاف مثل الكذبة والفجرة ونحو ذلك، وكان قصد الإنسان ونيته إعلاء كلمة الله ونصر دينه.

المسألة السادسة: في الموالاة والمعاداة؛ هل هي من معنى «لا إله إلا

الله»، أو من لوازمها؟

الجواب: أن يقال: الله أعلم، لكن بحسب المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين، وعدم موالاتهم، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم، وأخبر أن ذلك من شروط الإيمان، ونفى الإيمان عمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم^(٣).

وأما كون ذلك من معنى «لا إله إلا الله» أو لوازمها، فلم يكلّفنا الله بالبحث عن ذلك، وإنما كلّفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك وأوجبه، وأوجب العمل به، فهذا هو الفرض والحتم الذي لا شك فيه، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لوازمها فهو حسنٌ وزيادةٌ خير، ومن لم يعرفه فلم يكلّف بمعرفته، لا سيما إذا كان الجدل والمنازعة فيه مما يُفضي إلى شرٍّ واختلاف، ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الإيمان، وجاهدوا في الله، وعادوا المشركين ووالوا المسلمين؛ فالسكوت عن ذلك متعيّن، وهذا ما

(١) رواه البخاري (٦١٠٥)، من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٢) في المطبوع: «ما»، والأدق - إن شاء الله - ما أثبتّه.

(٣) كما في الآية الأخيرة من سورة «المجادلة».

ظهر لي؛ على أن الاختلاف قريبٌ من جهة المعنى.
والله تعالى أعلم. والله الحمد والمنة.
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً^(١).



(١) تكررت في بعض المطبوعات - بعد هذه الرسالة - رسالة «القواعد الأربعة»، للإمام محمد بن عبد الوهّاب رَحِمَهُ اللهُ، وقد قمت بحذفها اكتفاءً بموضعها السابق. وقد ذكرتُ هذا في المقدمة.

[٢٥]

معنى كلمة التوحيد، وتضمنها الكفر
بما يعبد من دون الله

للشيخ

عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل العالم العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن؛ المعروف بـ«أبا بطين» رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى - عن معنى «لا إله إلا الله»، وعن قالها، ولم يكفر بما يُعبد من دون الله، وهل من قالها ودعا نبياً أو ولياً؛ هل تنفعه؟ أو هو مباح الدم والمال ولو قالها؟

أجاب - رحمه الله تعالى وعفا عنه - : معنى «لا إله إلا الله» عند جميع أهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء؛ كلهم يفسّرون «الإله» بالمعبود، و«التأله»: التعبد.

وأما «العبادة»: فعرفّها بعضهم بأنه ما أمر به شرعاً، من غير اطرادٍ عرفي، ولا اقتضاءٍ عقلي^(١).

والمأثور عن السلف: تفسير العبادة بالطاعة؛ فيدخل في ذلك فعلُ المأمور وتركُ المحذور؛ من واجبٍ ومندوب، وترك المنهي عنه من محرّم ومكروه، فمن جعل نوعاً من أنواع العبادة لغير الله

(١) الاطراد العرفي: ما تتابع الناس على فعله أو تركه؛ حتى صار عرفاً لهم.

الاقتضاء العقلي: هو ما يلزم بدلالة العقل فعله أو تركه؛ كاجتناب ما يُخشى ضرره.

والمقصود من هذا التعريف: أن العبادة مبنية على الأمر فقط، لا يُنظر فيها إلى عرف الناس، ولا إلى عقولهم، ولا كون العرف يطرّد في هذا أو يكون جائزاً، أو أن العقل يقتضيه، فلا دخل للعبادة في ذلك. وهذا التعريف المثبت أعلاه للعبادة هو تعريف الأصوليين.

كالدعاء والسيجود والذبح والنذر وغير ذلك = فهو مشرك.
و«لا إله إلا الله» متضمنة للكفر بما يُعبد من دونه؛ لأن معنى
«لا إله إلا الله» إثباتُ العبادة لله وحده، والبراءة من كلِّ معبودٍ
سواه، وهذا معنى الكفر بما يُعبد من دونه؛ لأن معنى الكفر بما
يُعبد من دونه: البراءة منه، واعتقاد بطلانه؛ وهذا معنى «الكفر
بالطاغوت» في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والطاغوت: اسمٌ لكل معبود سوى الله؛ كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]،
وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر
بما يعبد من دون الله = حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»^(١).

فقوله: «وكفر بما يُعبد من دون الله»: فالظاهر أن هذا زيادة
إيضاح؛ لأن «لا إله إلا الله» متضمنة الكفر بما يعبد من دون الله،
ومن قال «لا إله إلا الله»، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر - كدعاء
الموتى والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات،
والتقرب إليهم بالنذور والذبائح = فهذا مشركٌ - شاء أم أبى -، والله
لا يغفر أن يشرك به، و﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ
النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

و[هو] مع هذا الفعل مشرك، ومن فعله فهو كافر.
ولكن على ما قال الشيخ لا يقال: «فلان كافر»؛ حتى يبين له ما
جاء به الرسول ﷺ، فإن أصرَّ بعد البيان حُكم بكفره، وحلَّ دمه
وماله.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾، أي: شرك، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فإذا كان في بلد وثنٌ يعبد من دون الله = قوتلوا لأجل هذا الوثن، أي: لإزالته وهدمه وترك الشرك؛ حتى يكون الدين كله لله.

والدعاء دين، سماه الله دينًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، أي: الدعاء.

وقال ﷺ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»^(١)، فمتى كان شيءٌ من العبادة مصروفًا لغير الله، فالسيف مسلول على ذلك.

والله أعلى، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلّم.



[٢٦]

رسالة في معنى كلمة التوحيد

للشيخ

عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سأل بعض الإخوان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين - رحمة الله تعالى علينا وعليه - عن معنى «لا إله إلا الله»، وما تنفي وما تثبت.

فأجاب رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: وما سألت عنه من معنى «لا إله إلا الله»، وما تثبت وما تنفي:

فأول واجب على الإنسان معرفة معنى هذه الكلمة.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقال: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شِئِدَ بِالْحَقِّ﴾، أي: بـ«لا إله إلا الله» ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، فأفرض الفرائض معرفة معنى هذه الكلمة، ثم التلطف بمقتضاها، فالإله هو المعبود، والتأله التعبد. [و] لا معبود إلا الله؛ [فهذه الآية] نفت الإلهية عمن سوى الله، وأثبتتها لله تعالى وحده.

فإذا عرفت أن الإله هو المعبود، والإلهية هي العبادة، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبُّه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال = فالإله هو المعبود المطاع، فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك، وذلك كالسجود والدعاء والذبح والنذر، وكذلك التوكل والخوف والرجاء، وغير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة.

وإفراد الله سبحانه بالعبادة، ونفيها عمن سواه = هو حقيقة التوحيد، وهو معنى «لا إله إلا الله»؛ فمن قال: «لا إله إلا الله»

بصدق و يقين أخرجت من قلبه كل ما سوى الله محبةً وتعظيمًا، وإجلالًا ومهابةً، وخشيةً وتوكلًا؛ فلا يصير في قلبه محبةٌ لما يكرهه الله، ولا كراهةٌ لما يحبه؛ وهذا حقيقة الإخلاص الذي قال فيه ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله مخلصًا من قبله دخل الجنة، أو حرم الله عليه النار»^(١).

□ قيل للحسن البصري: «إن ناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة! فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها...» إلخ.

وغالب من يقول: «لا إله إلا الله» إنما يقولوها تقليدًا، ولم يخالط الإيمانُ بشاشة قلبه، فلا يعرف الإخلاص فيها، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يُصرف عنها عند الموت. وفي غالب من يفتن بالقبور^(٢) أمثال هؤلاء، كما في الحديث: «سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته»^(٣).

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة.

والله أعلم، وصلى الله على محمدٍ وآله وصحبه وسلم.



(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) في المطبوع: «القبور»، والأصح - إن شاء الله - ما أثبتته.

(٣) رواه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها.

[٢٧]

تعريف العبادة، وتوحيد العبادة

للشيخ

عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال: ما قولكم - دام فضلكم - في:

١ - تعريف العبادة.

٢ - وتعريف توحيد العبادة، وأنواعه.

٣ - وتعريف الإخلاص.

٤ - وما بين الثلاثة من العموم والخصوص، وهل هو مطلق أو وجهي^(١).

٥ - وما معنى «الإله»؟

٦ - وما معنى «الطاغوت» الذي أمرنا باجتنابه والكفر به؟

فأجاب الشيخ العالم عبدالله بن عبدالرحمن المعروف بـ«أبا بطين» بهذا الجواب:



(١) يأتي بيان المقصود - إن شاء الله تعالى - .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين.

١ - أما العبادة في اللغة: فهي من الذَّلُّ؛ يقال: بعيرٌ معبَّدٌ: أي مذللٌ، وطريقٌ معبَّدٌ: إذا كان مذلًّا قد وطئته الأقدام. وكذلك الدِّين - أيضًا - من الذل؛ يقال: دنته فدان: أي أذلته فذلَّ.

٢ - وأما تعريفها في الشرع: فقد اختلفت عباراتهم^(١) في تعريفها، والمعنى واحد.

- فعرفها طائفة بقولهم: هي ما أمر به شرعًا من غير اطرادٍ عُرفي، ولا اقتضاءٍ عقلي^(٢).

- وعرفها طائفة: بأنها كمالُ الحب مع كمال الخضوع.

□ وقال أبو العباس^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ فالصلاة، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك = من العبادة، وكذلك حبُّ الله ورسوله،

(١) يعني أهل العلم.

(٢) راجع ص (٤٥٧).

(٣) يعني الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك، فالدين كله داخل في العبادة» انتهى.

ومن عرفها بالحب مع الخضوع؛ فلأن الحب التام مع الذل التام يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له، فالعبد هو الذي ذلَّه الحب والخضوع لمحبوبه؛ فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون طاعته، فمحبة العبد لربه وذله له يتضمن عبادته وحده لا شريك له، والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب؛ فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له.

□ كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

ليس العبادة غير توحيد هـ مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يحب هـ وبغض ما لا يرتضي بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان

فعرَّف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح؛ فمن أحب شيئاً وخضع له فقد تعبد قلبه له؛ فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة، ولا الخضوع بلا محبة عبادة، فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة، فلا يكون أحدهما عبادةً بدون الآخر، فمن خضع لإنسان مع بغضه له لم يكن عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما يحب ولدَه وصديقه؛ ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى؛ بل يجب أن يكون الله أحبَّ إلى العبد من كل شيء، وأن يكون أعظمَ عنده من كل شيء؛ بل لا يستحق المحبة

الكاملة والذلّ التام إلا الله سبحانه .

إذا عُرِفَ ذلك :

٣ - فتوحيد العبادة: هو إفراد الله سبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفها، وهو نفس العبادة المطلوبة شرعاً؛ ليس أحدهما دون الآخر .
□ ولهذا قال ابن عباس: «كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد» .

وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون .

وإما العبادة من حيث هي؛ فهي أعمُّ من كونها توحيداً عمومًا مطلقًا، فكل موحدٍ عابدٌ الله، وليس كل من عبد الله يكون موحدًا؛ ولهذا يقال عن المشرك: إنه يعبد الله مع كونه مشركًا .

كما قال الخليل ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء] .

وقال ﷺ: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف] .

فاستثنى الخليلُ ربّه من معبوديهم؛ فدلّ أنهم يعبدون الله سبحانه .

فإن قيل: ما معنى النفي في قوله سبحانه: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٢﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾ [الكافرون]؟

قيل: إنما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت، ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد^(١) .

(١) أي: نفى الله تعالى كونهم عابدين العبودية التامة الدائمة، ولم ينف =

وقد نبّه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هذا المعنى اللطيف في «بدائع الفوائد»:

□ فقال - لما انجز كلامه على سورة ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾ -:
«وأما المسألة الرابعة: وهو أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم
الفاعل^(١)، وفي جهته [ﷺ] جاء بالفعل المستقبل تارة^(٢)، وباسم
الفاعل أخرى^(٣)، وذلك - والله أعلم - لحكمةٍ بديعة؛ وهي أن
المقصود الأعظم براءته [ﷺ] من معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت،
فأتى أولاً بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد، ثم أتى - في
هذا النفي بعينه - بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت،
فأفاد في النفي الأول أن هذا لا يقع مني، وأفاد في الثاني أن هذا
ليس وصفي ولا شأني؛ فكأنه قال: «عبادة غير الله لا تكون فعلاً لي
ولا وصفاً»؛ فأتى بنفيين لمنفيين مقصودين بالنفي، وأما في حقهم
فإنما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل، أي:
الوصف الثابت اللازم للعابد لله منتفٍ عنكم، فليس هذا الوصف
ثابتاً لكم، وإنما يثبت لمن خَصَّ الله وحده بالعبادة لم يُشرك معه
فيها أحداً، وأنتم لمّا عبدتم غيره فلستم من عابديه - وإن عبدتموه
في بعض الأحيان -؛ فإن المشرك يعبد الله، ويعبد معه غيره، كما
قال أهل الكهف: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦]، أي:
اعتزلتم معبوديهم إلا الله؛ فإنكم لم تعتزلوه. وكذا قول المشركين

= أنهم يعبدونه أحياناً.

(١) أي: ﴿عَبِدُون﴾.

(٢) أي: ﴿أَعْبُدُ﴾.

(٣) أي: ﴿عَابِدٌ﴾.

عن معبوديهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣]؛ فهم كانوا يعبدون الله، ويعبدون معه غيره؛ لم يَنْفِ عنهم الفعل لوقوعه منهم، ونفى الوصف لأن مَنْ عَبَدَ غير الله [معه] لم يكن ثابتًا على عبادة الله موصوفًا بها.

فتأمل هذه النكتة البديعة؛ كيف تجد في طيِّها أنه لا يوصف بأنه عابدٌ لله - وإنَّ عَبَدَهُ -، ولا المستقيم على عبادته: إلا من انقطع إليه بكليته، وتبتَّل إليه تبتيلًا^(١)، لم يلتفت إلى غيره، ولم يُشرك به أحدًا في عبادته، وأنه إنَّ عَبَدَهُ وأشرك به غيره فليس عابدًا لله، ولا عبدًا له.

وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة، التي هي أحد سورتي الإخلاص التي تعدل رُبْع القرآن - كما جاء في بعض السنن^(٢) -، وهذا لا يفهمه كل أحد، ولا يدركه إلا من منحه الله فهمًا من عنده؛ فله الحمد والمنة». انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٤ - وأما الإخلاص: فحقيقته أن يُخلص العبد لله في أقواله وأفعاله، وإرادته ونيتته، وهذه هي الحنيفية ملَّةُ إبراهيم ﷺ، التي أمر الله بها عباده كلَّهم، ولا يقبل من أحدٍ غيرها، وهي حقيقة الإسلام؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران]، وهي ملَّةُ إبراهيم التي مَنْ رَغِبَ عنها فهو

(١) التبتُّل: الانقطاع - أيضًا -.

(٢) ضعيف: رواه أحمد (١٤٦/٣)، والترمذي (٢٨٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥١٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢٤٣/١)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٦٤٨)، وضعَّفه الإمام الترمذي، والشيخ الألباني ثمَّ، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٤٧٢/١٩).

من أسفه السفهاء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على اشتراط الإخلاص للأعمال والأقوال الدينية، وأن الله لا يقبل منها إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه؛ ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم، ويرون الإخلاص أعزَّ الأشياء، وأشقَّها على النفس؛ وذلك لمعرفةهم بالله، وما يجب له، وبعلل الأعمال وآفاتهما، ولا يُهمُّهم العملُ لسهولته عليهم، وإنما يُهمُّهم سلامة العمل، وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه، أو المُنقصة له.

□ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «أمر النية شديد».

□ وقال سفيان الثوري: «ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من نيَّتي؛ لأنها تتقلَّبُ عليَّ».

□ وقال يوسف بن أسباط: «تخليصُ النية من فسادها أشدُّ على العاملين من طول الاجتهاد».

□ وقال سهل بن عبد الله: «ليس على النفس شيءٌ أشقُّ من الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب».

□ وقال يوسف بن الحسين: «أعزُّ شيءٍ في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبُت فيه على لونٍ آخر». فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء؛ لأن «الأعمال بالنيات، ولكل امرئٍ ما نوى»^(١).

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، من حديث الفاروق عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٥ - وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص، وهل هو وجهي أو مطلق؛ فقد قدمنا أن العبادة من حيث هي أعمُّ من توحيد العبادة عمومًا مطلقًا، وأن العبادة المطلوبة شرعًا هي نفس توحيد العبادة. ودلَّ كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ توحيد العبادة أعمُّ من الإخلاص. □ حيث قال:

فلو اُحِدٌ كن واحدًا في واحدٍ أعني سبيلَ الحقِّ والإيمانِ
هذا وثاني نوعي التوحيد تو حيدُ العبادة منك للرحمن
أَنْ لا تكون لغيره عبدًا ولا تعبُدُ بغير شريعة الإيمانِ
فتقوم بالإخلاص والإيمان وال إحسان في سرٍّ وفي إعلانِ
والصدق والإخلاص ركنًا ذلك الت وحيد كالركنين للبيانِ
□ إلى أَنْ قال:

وحقيقةُ الإخلاص توحيد المرا دِ فلا يزاحمُه مرادُّ ثانٍ
والصدقُ توحيد الإرادة وهو بذ لُ الجهدِ لا كسِلًا ولا متوانٍ
والسُّنَّةُ المثلى لسالكها فتو حيد الطريقِ الأعظم السلطانِ
فقوله رَحِمَهُ اللهُ: «والصدق والإخلاص ركنًا ذلك التوحيد»: جعل
الإخلاص أحد ركني العبادة، والصدق ركنه الآخر، وفَسَّرَ الصدق
بما ذكر.

□ وقال في بعض كلامه: «ومقام الصدق جامعٌ للإخلاص». فعرَّفنا رَحِمَهُ اللهُ أَنْ توحيد العبادة أعمُّ من الإخلاص، ولم يذكر إلا عمومًا مطلقًا.

وأما العموم الوجهي: فالظاهر أن المراد به: إذا كان أحد الشيئين أعمَّ من وجهٍ، وأخصَّ من وجهٍ، والعموم الذي بين مطلق العبادة وتوحيد العبادة والإخلاص: مطلق لا وجهي.

٦ - وأما الإله: فهو الذي تأله القلوب بالمحبة، والخضوع والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من الرغبة والرغبة، والتوكل والاستغاثة والدعاء، والذبح والنذر والسجود، وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة؛ فهو إلهٌ بمعنى مألوه - أي معبود -، وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى الإله.

□ قال الجوهري: «أله - بالفتح - إلهة، أي: عبد عبادة». قال: ومنه قولنا: الله، وأصله إله على فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه بمعنى معبود، كقولنا: «إمام» فعال بمعنى مفعول؛ لأنه مؤتم به. قال: والتأليه: التعبيد، والتأله: التنسك والتعبد. قال رؤبة: سَبَّحَنَ واسترجعن من تألهي^(١). انتهى.

□ وقال في «القاموس»: «أله إلهة وألوهة: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة. واختلف فيه على عشرين قولاً - يعني في لفظ الجلالة - . قال: وأصله إله بمعنى مألوه، وكل ما اتُّخذ معبوداً إله عند مُتَّخِذِهِ، قال: والتأله: التنسك والتعبد». انتهى.

وجميع العلماء - من المفسرين وشرّاح الحديث والفقه وغيرهم - يفسرون الإله بأنه «المعبود»، وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين؛ فظن أن الإله هو «القادر على الاختراع»! وهذه زلة

(١) عَجَزَ بيت شعر، وتماه:

لِلَّهِ دُرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّةِ سَبَّحَنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأْلَهِي

عظيمة، وغلطٌ فاحش، إذا تصوّره العاقلُ تبينَ له بطلانه، وكأن هذا القائلَ لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه، ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرّون بأن الله هو القادر على الاختراع، وهم مع ذلك مشركون.

ومن أبعد الأشياء: أن عاقلًا يمتنع من التلفظ بكلمة يُقرُّ بمعناها، ويعترف به ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً؛ هذا ما لا يفعله من له أدنى مُسكةٍ من عقل.

□ قال أبو العباس رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع - كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين -؛ حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقرَّ بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد ألا إله إلا الله؛ فإن المشركين كانوا يقرّون بهذا التوحيد.

كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾

[لقمان: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥) الآيات [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٦) [يوسف].

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «تسألهم: من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره!».

وهذا التوحيد^(١) من التوحيد الواجب؛ لكن لا يحصل به الواجب، ولا يُخلصُ بمجردة عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر؛ الذي لا

(١) يعني توحيد الربوبية.

يغفره الله؛ بل لا بد أن يُخْلِصَ لله الدين؛ فلا يَعْبُدُ إلا إياه؛ فيكون دينه لله، والإله: هو المألوه الذي تأله القلوب، فهو إله بمعنى مألوه^(١) انتهى.

وقد دل صريح القرآن على معنى الإله، وأنه هو المعبود؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف].

□ قال المفسرون: «[الكلمة]: هي كلمة الوحيد: لا إله إلا الله؛ ﴿بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أي: ذريته». انتهى.

□ قال قتادة: «لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحّده».

والمعنى: جَعَلَ هذه الموالاة والبراءة من كل معبودٍ سواه كلمةً باقيةً في ذرية إبراهيم؛ يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة «لا إله إلا الله».

فتبيّن أن موالاة الله بعبادته والبراءة من كل معبود سواه هو معنى: «لا إله إلا الله».

إذا تبين ذلك؛ فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة المتقدم تعريفها - كالحب والتعظيم، والخوف والرجاء، والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك -؛ فقد عبّد ذلك الغير، واتخذة إلهًا، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فرّ من تسمية فعله ذلك:

(١) ورد في المطبوعات بعد ذلك عبارة: «لا بمعنى إله»، ولا أدري ما وجهها، وهذا النص عن شيخ الإسلام ابن تيمية ثابتٌ في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٣٨٧/٢)، وقد انتهى عند قوله: «تأله القلوب». فالله تعالى أعلم.

تألُّها وعبادةً وشرًّا.

ومعلومٌ عند كل عاقلٍ أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغيُّر أسمائها، فلو سُمي الزنا والربا والخمر بغير أسمائها، لم يُخرجها تغيُّر الاسم عن كونها زناً ورباً وخمراً ونحو ذلك، ومن المعلوم أن الشرك إنما حرُم لقبحه في نفسه، وكونه متضمناً مسبّة الرب، وتنقُصه، وتشبيّهه بالمخلوقين^(١)؛ فلا تزول هذه المفاسد بتغيُّر اسمه؛ كتسميته: «توسلاً، وتشفُّعاً، وتعظيماً للصالحين، وتوقيراً لهم»، ونحو ذلك، فالمشرك مشرّكٌ شاء أم أبى، كما أن الزاني زانٍ شاء أم أبى، والمرابي مرابٍ شاء أم أبى.

وقد أخبر النبي ﷺ أن طائفةً من أمّته يستحلُّون الربا باسم البيع^(٢)، ويستحلون الخمر باسمٍ آخرٍ غير اسمها^(٣)، وذمّهم على ذلك، فلو كان الحكمُ دائراً مع الاسم - لا مع الحقيقة - لم يستحقّ

(١) راجع ما ذكرته عن «التشبيه» و«التمثيل» ص (٣٧٨).

(٢) ضعيف: رواه الخطابي في «غريب الحديث» (٢١٨/١)، وإسناده ضعيف لإعضاله كما بيّن الشيخ مشهور آل سلمان في تحقيق «إعلام الموقعين» (٥٢٩/٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٣٧/٤)، والنسائي (٥٦٥٨)، وفي «الكبرى» (٥١٤٨)، والطيالسي (٥٨٧)، وأبو نُعيم في «المعرفة» (٧٨٩)، من حديث رجلٍ من الصحابة رضي الله عنه. وصحّحه الشيخ الألباني عند النَّسائي، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٢٩٦/١٥). وفي الباب عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه. فانظره في «المسند» (٥٣٤/٣٧)، و«سنن أبي داود» (٥٣٠/٥)، كلاهما طبع مؤسسة الرسالة. وكذا: «إعلام الموقعين» (٥٢٧/٤) - ط: دار ابن الجوزي.

الذم، وهذه من أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديمًا وحديثًا؛ أخرج لهم الشرك في قالب: «تعظيم الصالحين وتوقيرهم»، وغير اسمه بتسميته إياه توسلاً وتشفعاً، ونحو ذلك. واللّه الهادي إلى سواء السبيل.

٦ - وأما تعريف الطاغوت^(١): فهو مشتق من: طغا، وتقديره: طغوت، ثم قلبت الواو ألفاً. قال النحويون: وزنه فَعْلُوت، والتاء زائدة. □ قال الواحدي: «قال جميع أهل اللغة: الطاغوت كل ما عُبد من دون الله؛ يكون واحداً، وجمعاً، ويذكر ويؤنث: قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]؛ فهذا في الواحد.

وقال تعالى في الجمع: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ﴾^(٢) يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ [البقرة: ٢٥٧].

وقال في المؤنث: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]. □ قال: «ومثله في الأسماء^(٣): الفُلُك؛ يكون واحداً، وجمعاً، مذكراً، ومؤنثاً».

□ قال: «قال الليث وأبو عُبَيْدة والكِسائي وجماهير أهل اللغة: الطاغوت كل ما عُبد من دون الله. وقال الجوهري: الطاغوت: الكاهن، والشيطان، وكل رأسٍ في الضلال». □ وقال مالكٌ وغير واحد من السلف والخلف: «كل ما عُبد من

(١) راجع: «رسالة في معنى الطاغوت» (٢٧٧).

(٢) يعني الطواغيت.

(٣) في المطبوع: «أسماء». ولعل الأصح ما أثبتّه.

دون الله فهو طاغوت^(١)».

□ وقال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما وكثير من المفسرين:
«الطاغوت: الشيطان».

□ قال ابن كثير: «وهو قول قوي جداً؛ فإنه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها».

□ وقال الواحدي - عند قول الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] -: «كل معبود من دون الله فهو جبّ و طاغوت».

□ قال ابن عباس في رواية عطية: «الجبت: الأصنام، والطاغوت تراجمة الأصنام، الذين يكونون بين أيديهم يُعْبَرُونَ عنها الكذب ليضلوا الناس».

□ وقال في رواية الوالبي: «الجبت: الكاهن، والطاغوت: الساحر».

□ وقال بعض السلف في قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]: «إنه كعب بن الأشرف».

□ وقال بعضهم: «حُيِّي بن أخطب».

وإنما استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤوس الضلال، وإفراطهما في الطغيان، وإغوائهما الناس، ولطاعة اليهود لهما في معصية الله؛ فكل من كان بهذه الصفة هو طاغوت.

□ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى [في قوله ﷺ]: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ - لَمَّا ذَكَرَ ما قيل: إنها نزلت فيمن طلب التحاكم إلى كعب

(١) هذا إذا كان باختياره أو رضاه.

ابن الأشراف أو إلى حُكَّام الجاهلية وغير ذلك^(١)، قال: «والآية أعمُّ من ذلك كله؛ فإنها ذامَّةٌ لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل؛ وهو المراد بالطاغوت هاهنا».

فتحصَّل من مجموع كلامهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ: أن اسم «الطاغوت» يشمل: - كلَّ معبود من دون الله، وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسِّنه.

- ويشمل - أيضًا -: كلَّ مَنْ نَصَّبه الناسُ للحُكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله.

- ويشمل - أيضًا -: الكاهن، والساحر، وسدنة الأوثان^(٢)، إلى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضلَّة للجهال المُوهمة أن المقبور ونحوه يقضي حاجة مَنْ توجَّه إليه وقصده، وأنه فعل كذا وكذا - مما هو كذب، أو من فعل الشياطين -؛ ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة مَنْ قصده، فيوقعهم في الشرك الأكبر وتوابعه.

وأصل هذه الأنواع كلها، وأعظمها: الشيطان؛ فهو الطاغوت الأكبر. والله ﷻ أعلم.

هذا ما جمعه الشيخ عبد الله بن عبد الرَّحْمَنِ المعروف بـ«أبا بطين» شكر الله سعيه، آمين.



(١) موضوع: وقد تقدم.

(٢) السدنة: الخُدَّام.

[٢٨]

الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة

للشيخ

عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال شيخ الإسلام الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - أسكنهما الله الفردوس الأعلى - :

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي بعثه رحمةً للعالمين، وحنةً على المعاندين، الذي أكمل الله به الدين، وختم به الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد :

فهذه فصولٌ وكلماتٌ نقلتها من كلام العلماء المجتهدين أصحاب الأئمة الأربعة - الذين هم أئمة أهل السنة والدين - في بيان بعض الأفعال والأقوال المكفرة للمسلم، المخرجة له من الدين، وأن تلقّظه بالشهادتين، وانتسابه إلى الإسلام، وعمله ببعض شرائع الدين = لا يمنع من تكفيره وقتله وإلحاقه بالمرتدين.

والسبب الحامل على ذلك: أن بعض من ينتسب إلى العلم والفقه - من أهل هذا الزمان - غلط في ذلك غلطًا فاحشًا قبيحًا، وأنكر على من أفتى به من أهل العلم والدين إنكارًا شنيعًا؛ ولم يكن لهم بإنكار ذلك مستندٌ صحيح، لا من كلام الله، ولا من كلام رسوله، ولا من كلام أئمة العلم والدين، إلا أنه خلاف عاداتهم وأسلافهم؛

عيادًا بالله من الجهل والخذلان والتعصب.

وأذكر من ذلك ما مسّت إليه الحاجة، وغلِطَ فيه من غلِط، من المنسويين إلى العلم في هذا الزمان، الذين غلبت عليهم الشقاوة والجهل والتعصب والخذلان، لما جُبِلوا عليه من مخالفة الكتاب والسنة، وعمل السلف والأئمة المهديين، وحب الرياسة وشهوات الدنيا، والطمع فيما في أيدي الناس، والفسقة المعاندين؛ نسأل الله أن يوفقنا لما يرضاه من العمل، ويجنبنا لما يسخطه من الزلل، إنه لا يخيبُ مَنْ رجاه، ولا يرد سؤال من دعاه.

فنقول - وبالله التوفيق -: اعلم أن هذه المسائل من أهم ما ينبغي للمؤمن الاعتناء بها؛ لثلا يقع في شيء منها وهو لا يشعر، وليتبين له الإسلام والكفر، حتى يتبين له الخطأ من الصواب، ويكون على بصيرة في دين الله، ولا يغترّ بأهل الجهل والارتياب؛ وإن كانوا هم الأكثرين عددًا، فهم الأقلون عند الله وعند رسوله والمؤمنين قدرًا.

وقد اعتنى العلماء عليهم السلام بذلك في كتبهم، وبوّبوا لذلك في كتب الفقه في كل مذهب من المذاهب الأربعة، وهو: «باب حكم المرتد»، وهو: المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، وذكروا أنواعًا كثيرة، كل نوع منها يكفر به المسلم، ويبيح دمه وماله.

وسأذكر - إن شاء الله تعالى - من ذلك ما يكفي ويشفي لمن هداه الله، وألهمه رشده، وأجعل كلام كل طائفة من أتباع الأئمة الأربعة - أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد - على حدة، ليسهل ذلك على من أراد الاطلاع عليه. ونبدأ بكلام في الشرك

الأكبر، وتكفيرهم لأهله حين وقع في زمانهم من بعض المنتسبين إلى الإسلام والسنة؛ لأنه هو المهم؛ فنقول:

■ أما كلام الشافعية:

□ فقال ابن حجر في كتاب «الزواجر عن اقتراف الكبائر»: «الكبيرة الأولى: الكفر والشرك - أعاذنا الله منه -، ولما كان الكفر أعظم الذنوب كان أحق أن يُسقط الكلام عليه، وعلى أحكامه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة].

وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور». فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت^(١). ثم ذكر أحاديث كثيرة.

□ ثم قال: «تنبيهات، منها: بيان الشرك...» - وذكر جملة من أنواعه - «لكثرة وقوعها في الناس، وعلى السنة العامة، من غير أن يعلموا أنها كذلك؛ فإذا بانث لهم فلعلهم أن يجتنبوها، لئلا تحبط أعمال مرتكبي ذلك، ويخلدون في أعظم العذاب، وأشد العذاب؛ ومعرفة ذلك أمر مهم جدًا.

(١) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧)، من حديث أبي بكره رضي الله عنه.

فإن من ارتكب مكفرًا تحبط جميع أعماله، ويجب عليه قضاء الواجب منها عند جماعةٍ من الأئمة كأبي حنيفة، ومع ذلك فقد توسع أصحابه في المكفرات، وعدّوا منها جملاً مستكثرةً جدًّا، وبالغوا في ذلك أكثر من بقية أئمة المذاهب؛ هذا مع قولهم: إن الرّدة تحبط جميع الأعمال، وبأن من ارتد بانت منه زوجته، وحرمت عليه، فمع هذا التشديد بالغوا في الاتساع في المكفرات.

فتعين على كل ذي مُسكةٍ في دينه أن يعرف ما قالوه، حتى يجتنبه، ولا يقع فيه فيحبط عمله، ويلزمه قضاؤه، وتبين منه زوجته عند هؤلاء الأئمة؛ بل عند الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: أن الرّدة وإن لم تُحبط العمل، لكنها تحبط ثوابه، فلم يبق الخلاف بينه وبين غيره إلا في القضاء فقط.

ثم ذكر أنواع الكفر نوعًا نوعًا؛ وسيأتي بقية كلامه - إن شاء الله تعالى - في ذلك.

لكن تأمل - رحمك الله - قوله: «لكثرة وقوعها في الناس على ألسنة العامة، من غير أن يعلموا أنها كذلك»، وأن الشرك والرّدة قد وقع فيه كثير من أهل زمانه، يتبين لك مصداق ما قلنا - إن شاء الله تعالى -.

وقال النووي في «شرح مسلم»: «وأما الذبح لغير الله، فالمراد به أن يذبح باسم غير الله، كمن ذبح للصنم، أو للصليب، أو لموسى، أو عيسى، أو للكعبة ونحو ذلك؛ وكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًا أو يهوديًا، نص عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا؛ فإن قصد مع ذلك تعظيم

المذبوح له غير الله والعبادة له = كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح قبل ذلك مسلمًا، صار بالذبح مرتدًا» انتهى.

فتأمل قوله: «فإن قصد مع ذلك...» إلخ، تجده صريحًا في أن المسلم إذا قصد بالذبح لغير الله تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة، أنه يصير كافرًا مرتدًا، والله أعلم.

■ وأما كلام الحنفية:

□ فقال في كتاب «تبيين المحارم المذكورة في القرآن»: «باب الكفر؛ وهو الستر وجحود الحق وإنكاره، وهو أول ما ذكر في القرآن العظيم من المعاصي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة]، وهو أكبر الكبائر على الإطلاق، فلا كبيرة فوق الكفر».

□ إلى أن قال: «واعلم أن ما يلزم به الكفر أنواع: نوع يتعلق بالله سبحانه، ونوع يتعلق بالقرآن، وسائر الكتب المنزلة، ونوع يتعلق بنبينا محمد ﷺ وسائر الأنبياء والملائكة والعلماء، ونوع يتعلق بالأحكام.

فأما ما يتعلق بالله سبحانه: إذا وصف الله سبحانه بما لا يليق به؛ بأن شبه الله سبحانه بشيء من المخلوقات، أو نفى صفاته، أو قال بالحلول والاتحاد، أو معه قديم غيره، أو معه مدبر مستقل غيره، أو اعتقد أنه سبحانه جسم، أو محدث، أو غير حي، أو اعتقد أنه لا يعلم الجزئيات، أو كفر باسم من أسمائه، أو أمر من أمره، أو وعيده أو وعده، أو أنكرهما، أو سجد لغير الله، أو سب الله سبحانه، أو ادعى أن له ولدًا، أو صاحبةً، أو أنه متولدٌ من شيء

كائن عنه، أو أشرك بعبادته شيئاً من خلقه، أو افترى على الله ﷻ الكذب بادعاء الإلهية أو الرسالة، أو نفى أن يكون خالقُه ربُّه، وقال: «ليس لي ربًّا»، أو قال لذرة من الذرات: «هذه خلقت عبثاً وهملاً»، وما أشبه ذلك مما لا يليق به - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - .

يكفر في هذه الوجوه كلها بالإجماع، سواء فعله عمداً أو هزلاً؛ ويُقتل إن أصر على ذلك، وإن تاب تاب الله عليه، وسلم من القتل». انتهى كلامه بحروفه .

فتأمل - رحمك الله - تصريحه بأن من أشرك في عبادة الله غيره، أنه يكفر بالإجماع، ويُقتل إن أصر على ذلك! والعبادة التي لا تصلح إلا لله، ولا يجوز أن يشرك معه فيها غيره أنواع:

منها: الدعاء لجلب خير، أو دفع ضرر.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن].

وقال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كِبَاسٌ كَثِيرٌ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغِهِ﴾ [الرعد: ١٤]، الآية .

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح].

وقال رسول الله ﷺ لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»^(١).

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/٤٠٩)، والترمذي (٢٥١٦)، وابن أبي عاصم =

ومن أنواع العبادة: الصلاة، فلا يصلّي إلا لله، ولا يسجد ولا يُركع إلا لله وحده.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام]، الآية.

وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر].

ومن أنواع العبادة: النسك وهو الذبح، فلا يجوز أن يتقرب العبد بالذبح لأحد سوى الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام] الآية.

وقال لنبه ﷺ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر] أي: أخلص لربك الصلاة والنحر، بلا شريك له في ذلك.

وقال النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»^(١).

وقد قرن الله بين هاتين العبادتين - الصلاة والنسك - في هاتين الآيتين؛ فإذا كان من صلى لغير الله، أو ركع لغير الله، أو سجد

= في «السنة» معلقاً (٣١٦)، والطبراني في «الكبير» (١٢٩٨٨)، و«الأوسط» (٥٤١٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٩٥)، و«الآداب» (١٠٧٣)، وعبد بن حميد (٢٣٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٥٣/٣)، والآجري في «الشرعية» (٤١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣١٤/١)، والحاكم (٥٤١/٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤١٠/٤).

(١) صحيح: وقد تقدم.

غير الله = فقد أشرك في عبادة الله غيره، فكذلك من ذبح قربان
غير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره.

ومن أنواع العبادة - أيضاً -: الخشية؛ فلا تجوز الخشية إلا لله وحده،
قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ
يُؤْتُونَ﴾ [النور: ٥٢].

فجعل الطاعة لله ولرسوله، وجعل الخشية والتقوى لله وحده.
ومن أنواع العبادة: التوكل، وهو إسناد العبد أمره إلى الله تعالى
وحده لا شريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

[وقال]: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٣٣].

فمن توكل على غير الله، فقد أشرك في عبادة الله غيره.
ومن أنواع العبادة: الاستعانة:

قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «إذا استعنت فاستعن بالله»^(١)؛ فمن
استعان بغير الله، فقد أشرك في عبادة الله غيره.

ومن أنواع العبادة: النذر، فلا ينذر إلا لله وحده، قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وقال تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧) [الإنسان].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يَطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِيعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ» (١).

والحاصل: أن العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبُّه الله ويرضاه، من أقوال العباد وأفعالهم، مما أمرهم الله به في كتابه، على لسان رسوله ﷺ.

وقد صرح هذا الحنفي في كتابه الذي قدمته لك: أن من أشرك في عبادة الله غيره فهو كافر بالإجماع، سواء فعله عمدًا أو هزلًا، وأنه يقتل إن أصر على ذلك، وإن تاب تاب الله عليه، وسلم من القتل؛ والله أعلم.

وذكر - أيضًا -: أن ما يكون فعله كفرًا بالاتفاق، إذا فعله مسلمٌ تحبَطُ جميع أعماله، ويلزمه إعادة الحج، ولا يلزمه إعادة الصلاة والصوم، لأنهما يسقطان عن المرتد، ويكون وطؤه امرأته حرامًا وزِنًا، وإن أتى بكلمة الشهادة بحكم العادة، ولم يرجع عما قاله، لا يرتفع الكفر؛ والله أعلم.

□ وقال الشيخ قاسم في «شرح الدرر»: «النذر الذي يقع من أكثر العوام، بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء، قائلًا: «يا سيدي فلان، إن رُدَّ غائبي، أو عوفي مريض، أو قُضيت حاجتي، فلك من الذهب أو من الطعام أو الشمع كذا» = باطلٌ إجماعًا، لوجوه:

منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز.

ومنها: أن ذلك كفر».

□ إلى أن قال: «وقد ابتلي الناس بذلك - ولا سيما في مولد أحمد البدوي -» انتهى.

فصرح بأن هذا النذر كفرٌ يكفر به المسلم؛ واللّه أعلم.
ومن كلام الشافعية - أيضًا -:

□ ما قاله الإمام المحقق ناصر السنة شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم محدث الشام - المعروف بأبي شامة - في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»: «ومن هذا: ما قد عم به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة = تخليق^(١) الشيطان والعمد، وموضع مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاك، أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك.

ثم يتجاوزون ذلك إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي: ما بين عيونٍ وشجرٍ وحائطٍ وحجر. وفي مدينة دمشق - صانها الله تعالى - موضعٌ متعددة، كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلّق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليايسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها.

(١) التخليق: التطيب.

فما أشبهها بذات أنواطٍ الواردة في الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق، وسفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، وكانت لقريش شجرةٌ خضراءُ عظيمةٌ، يأتونها كل سنة، فيعلقون عليها سلاحهم، ويعكفون عندها، ويذبحون لها.

وفي رواية: خرجنا مع النبي ﷺ قبل حُنين، ونحن حديثو عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عليها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله - وفي الرواية الأولى: وكانت تسمى: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، وفي رواية: بشجرةٍ عظيمةٍ خضراء، فتنادينا من جنبتي الطريق، ونحن نسير إلى حنين: يا رسول الله -، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر! هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾» [الأعراف]! لتركبن سنن من كان قبلكم». وأخرجه الترمذي بلفظٍ آخر، والمعنى واحد، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»^(١).

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه: «فانظروا - رحمكم الله -؛ أينما وجدتُم سدرَةً أو شجرةً يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها أسلحتهم، ويضربون عليها المسامير والخرق = فهي ذات أنواط؛ فاقطعوها».

قلت: ولقد أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبنياني رحمه الله - أحد الصالحين ببلاد إفريقية في المئة الرابعة -، حكى عنه صاحبه

الصالح أبو عبدالله محمد بن أبي العباس المؤدب: أنه كان إلى جانبه عين تسمى «عين العافية»، كان العامة قد افتتنوا بها، يأتونها من الآفاق، مَنْ تَعَذَّرَ عليها نكاحٌ أو ولد، قالت: «امضوا بي إلى عين العافية»؛ فتعرف بها الفتنة. قال أبو عبدالله: فإننا في السحر ذات ليلة، إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها، وأذن الصبح عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك، فلا ترفع لها رأسًا، قال: فما رفع لها رأس إلى الآن».

قلت: وأدهى من ذلك وأمر: إقدامهم على قطع الطريق السابلة، يُجيزون في أحد الأبواب الثلاثة القديمة العادية - التي هي من بناء الجن في زمن نبي الله سليمان بن داود عليه السلام، أو من بناء ذي القرنين؛ وقيل فيها غير ذلك ما يؤذن بالتقدم؛ على ما نقلناه في كتاب «تاريخ مدينة دمشق» حرسها الله تعالى -، وهو الباب الشمالي، ذَكَرَ لهم بعض من لا يوثق به، في أحد شهور سنة ست وثلاثين وستمئة: أنه رأى منامًا يقتضي أن ذلك المكان دُفن فيه بعض أهل البيت عليهم السلام.

وقد أخبرني عنه ثقة: أنه اعترف له أنه افعل ذلك، فقطعوا طريق المارة فيه، وجعلوا الباب بكماله أصل مسجد مغصوب؛ وقد كان الطريقُ يَضِيقُ بسالكه، فتضاعف الضيقُ والخرج، على من دخل ومن خرج؛ ضاعف الله عذاب من تسبب في بنائه، وأجزل ثواب من أعان على هدمه وإزالته وإعدامه، اتباعًا لسنة النبي صلى الله عليه وآله في مسجد الضرار المُرصد لأعدائه من الكفار^(١).

(١) انظر فوائد قيمة على موقع «الإسلام سؤال وجواب»، تحت عنوان: =

قلت: فلم ينظر الشرع إلى كونه مسجدًا، وهدمه لما قُصد به السوء والردى، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]. أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه، وألّا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه» انتهى.

فتأمل - رحمك الله -: كلام هذا الإمام، وتصريحه بأن الذي تفعله العامة في زمانه في العمد والشجر والمواضع المخصصة، أنه مثل فعل المشركين بذات أنواط، وكذلك تصريح أبي بكر الطرطوشي - وكان من أئمة المالكية - بأن كل شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، فهي ذات أنواط.

وكذلك تأمل قوله: ولقد أعجبنى ما فعل الشيخ أبو إسحاق، ببلاد إفريقية في المئة الرابعة، في هدمه تلك العين، التي تسمى «عين العافية» لما رأى الناس يقصدونها، ويتبركون بها = يتبين لك أن الشرك قد حدث في هذه الأمة من زمانٍ قديم، وأن أهل العلم عليهم السلام ينكرون ذلك أشدَّ الإنكار، ويهدمون ما قَدَرُوا عليه مما يُفتتن به الناس، وأن هذا مما حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة، وأن ذلك ليس من الدين بإجماع أهل العلم، ويجب على من قدر على ذلك إزالته، فويل للأمرء والقضاة القادرين على إزالته والنهي عنه.

وتأمل - أيضًا -: كلام أبي شامة في المسجد الذي بني على قارة الطريق، وتمنيّه هدمه وإزالته، وتشبيهه إياه بمسجد الضرار! وكان

أبو شامة رَضِيَ اللَّهُ فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ السَّابِعِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَزِيدُ إِلَّا شِدَّةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فهذا ما وقفنا عليه من كلام الشافعية والحنفية في هذه المسألة.

■ وأما كلام الحنابلة:

□ فقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل: «لما صعبت التكاليف على الجاهل والطغام، عدلوا^(١) عن أوضاع الشرع، إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم؛ وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرِّقَاع، فيها: «يا مولاي، افعل بي كذا وكذا»، وإلقاء الخرق على الشجر، اقتداءً بمن عبد اللات والعزى». انتهى كلامه.

فتأمل قوله: «وهم عندي كفار بهذه الأوضاع»، وتشبيهه إياهم بمن عبد اللات والعزى!

□ وقال الشيخ تقي الدين في «الرسالة السنية» - لما ذكر حديث الخوارج، ومروقهم من الدين، وأمره ﷺ بقتالهم^(٢)، قال: «فإذا كان على عهد النبي ﷺ وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام مَنْ قد مَرَقَ منه مع عبادته العظيمة؛ فليُعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق - أيضًا - من الإسلام؛ وذلك بأسباب، منها: الغلو الذي ذمه الله في كتابه، حيث قال: ﴿يَا هَلْ أَلْكَيْتَ لَّا

(١) عدلوا: حادوا وانحرفوا.

(٢) رواه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري

تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ ﴿[النساء: ١٧١] الآية.

وعلي بن أبي طالب عليه السلام حَرَّقَ الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد حُدَّتْ لهم عند باب كندة، فقذفهم فيها؛ واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس عليهما السلام كان مذهبه أن يُقتلوا بالسيف بلا تحريق، وهو قول أكثر العلماء^(١)، وقصتهم معروفة عند العلماء؛ وكذلك الغلو في بعض المشايخ؛ بل الغلو في علي بن أبي طالب؛ بل الغلو في المسيح ونحوه.

فكل من غلا في نبيٍّ أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية - مثل أن يقول: «يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو اجبرني، أو أنا في حسبك»، ونحو هذه الأقوال -، فكل هذا شرك وضلال يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل؛ فإن الله إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب ليُعبدَ وحده، لا يُجعل معه إله آخر.

والذين يدعون مع الله آلهةً أخرى - مثل المسيح والملائكة والأصنام - لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، أو تُنزل المطر، أو تُنبئ النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو صورهم، ويقولون: «إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى»، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]؛ فبعث الله رسله تنهى أن يُدعى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥١ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: الآية].

(١) لأنه عليه السلام نهى عن التعذيب بالنار في حديثه الصحيح.

قال طائفة من السلف: كان أقوامٌ يَدْعُونَ المسيحَ وعُزيرًا والملائكة، فنزلت فيهم.

□ إلى أن قال ^(١): «وعبادة الله وحده هي أصل الدين، وهي التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وكان ﷺ يُحَقِّقُ التوحيدَ ويُعَلِّمُهُ أُمَّتَهُ، حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتني لله ندًا؟ بل ما شاء الله وحده» ^(٢)، ونهى عن الحلف بغير الله، وقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» ^(٣)، وقال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» - يحذر ما فعلوا ^(٤) -، وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» ^(٥).

ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يُشْرَعُ بناء المساجد على القبور والصلاة عندها؛ وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور؛ ولهذا اتفق العلماء على أن من سَلَّمَ على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته، ولا يقبلها، لأنه إنما يكون لأركان بيت الله، فلا يُشَبَّهُ بَيْتُ المخلوق ببيت الخالق؛ كل هذا

(١) أي: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) صحيح: وقد تقدم.

(٥) صحيح: وقد تقدم.

لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه، الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، ولا يغفر لمن تركه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]؛ ولهذا: كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]^(١)، وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢). والإله هو الذي يأله القلب، عبادة له واستعانة به، ورجاء له وخشية منه وإجلالاً» انتهى كلامه.

فتأمل أول كلامه وآخره، وتأمل كلامه فيمن دعا نبياً أو ولياً، مثل أن يقول: «يا سيدي فلان أغثنني ونحوه»: أنه يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل = تجده صريحاً في تكفير أهل الشرك، وقتلهم بعد الاستتابة، وإقامة الحجة عليهم، وأن من غلا في نبياً أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، فقد اتخذها إلهاً مع الله؛ لأن الإله هو المألوه الذي يأله القلب، أي: يقصده بالعبادة والدعوة

(١) رواه مسلم (٨١٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٣٣/٥)، وأبو داود (٣١١٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٠٧)، وابن ماجه (٣٧٩٦)، والحميدي (٣٧٣)، والبخاري (٢٦٢٦)، والشاشي (١٣٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٢٢١)، وفي «الدعاء» (١٤٧١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٩٨/٢)، وابن حبان (٢٠٠)، والحاكم (٣٥١/١)، والبيهقي في «الشعب» (٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣١٢/٧)، وفي «المعرفة» (٥٩٦٣)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٣٦٣/٣٦).

والخشية والإجلال والتعظيم، وإن زعم أنه لا يريد إلا الشفاعة والتقرب عند الله؛ لأنه بيّن أن هذا هو مطلوب المشركين الأولين، ويستدل على ذلك بالآيات الصريحة القاطعات، والله أعلم.

وقال رحمه الله في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم»: «وكانت الطواغيت الكبار التي تُشد إليها الرحال ثلاثة: ﴿الَّتِ وَالْعَزَى﴾ (١٩) وَمَنْوَةُ الثَّالِثَةِ الْآخَرَى﴾ [النجم]، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب:

فكانت «اللات» لأهل الطائف، ذكروا أنه كان في الأصل رجلاً صالحاً، يُلْتُ السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره.

وأما «العزى» فكانت لأهل مكة قريباً من عرفات، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون؛ وأما «مناة» فكانت لأهل المدينة، وكانت حذو قديد من ناحية الساحل.

ومن أراد أن يعرف كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه، حتى يتبين له تأويل القرآن = فلينظر إلى سيرة النبي ﷺ وأحوال العرب في زمانه، وما ذكره الأزرقى في أخبار مكة وغيره من العلماء.

ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم، ويسمونها «ذات أنواط»، فقال بعض الناس: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال: «الله أكبر! إنها السنن، لتركن سنن من كان قبلكم»^(١)؛ فأنكر ﷺ، مجرد مشابهتهم في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم؛ فكيف بما هو أطم من ذلك

(١) صحيح: وقد تقدم.

الشرك بعينه؟».

□ إلى أن قال: «فمن ذلك أمكنة بدمشق مثل: مسجد يقال له «مسجد الكف» فيه تمثال كف، يقال: إنه كف علي بن أبي طالب! حتى هدم الله ذلك الوثن؛ وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد، وفي الحجاز منها مواضع». انتهى كلامه.

فتأمل - رحمك الله - كلام هذا الإمام في «اللات» و«العزى» و«مناة»، وجعله بعينه هذا الذي يفعل بدمشق وغيرها من البلاد من ذلك؛ وتأمل قوله على حديث ذات أنواط وتدبره؛ فإنه نافع جدًا.

□ وقال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]: «ظاهره: أنه ما ذبح لغير الله - سواءً لُفِظَ به أو لم يلفظ -؛ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: «باسم المسيح» ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه: «بسم الله»؛ فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور؛ والعبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله؛ فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه لحرم، وإن قال فيه بسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة؛ وإن كان هؤلاء مرتدين لا تُباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن». انتهى كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

فتأمل - رحمك الله - هذا الكلام، وتصريحه فيه بأن من ذبح لغير الله من هذه الأمة، فهو كافر مرتد لا تُباح ذبيحته؛ لأنه يجتمع فيها مانعان:

الأول: أنها ذبيحة مرتد، وذبيحة المرتد لا تباح بالإجماع.

الثاني: أنها مما أهل به لغير الله، وقد حرم الله ذلك في قوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وتأمل قوله: «ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن»، والله أعلم.

فصل: [أنواع الشرك]:

□ وقال ابن القيم رحمه الله في «شرح المنازل»، في «باب التوبة»: «وأما الشرك فهو نوعان: أكبر، وأصغر:

فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندًا يحبه كما يحب الله؛ بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويغضبون لمنتقص معبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين؛ وقد شاهدنا هذا نحن منهم جهرًا.

وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده على لسانه، إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن استوحش^(١)؛ وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله، وشفيعه عنده؛ وهكذا كان عباد الأصنام سواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم؛ فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها من البشر، قال الله تعالى - حاكياً عن أسلاف هؤلاء -: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ

(١) أي: شعر بالوحشة.

بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٢﴾ [الزمر].

فهذه حال من اتخذ من دون الله وليًا يزعم أنه يقربه إلى الله تعالى، وما أعزَّ من تخلص من هذا! بل ما أعز من يعادي من أنكره! والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفهم: أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك؛ وقد أنكر الله ذلك عليهم في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له.

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [٢٢] وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. [سبأ].

والقرآن مملوء من أمثال هذه الآية، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته، ويظنه في قوم قد خلوا ولم يُعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين المرء وبين فهم القرآن؛ كما قال عمر بن الخطاب: «إنما تنتقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه = وقع فيه وأقره، وهو لا يعرف أنه الذي عليه أهل الجاهلية، فتنتقض بذلك عرى الإسلام، ويعودُ المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنةً والسنة بدعةً، ويُكفَّر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويُبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع؛ ومن له بصيرةٌ وقلب حي يرى ذلك عياناً، فالله المستعان.

ومن أنواعه^(١): طلب الحوائج من الموتى، والاستعانة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، فضلاً لمن استغاث به، أو سأل أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده؛ فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه. والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن؛ والميت محتاج إلى من يدعو له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين، أن نترحم عليهم، ونسأل لهم العافية، فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد، فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبتهم إلى التنقص بالأموات.

وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بدمهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به؛ وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبيين لهم، ولله در خليله إبراهيم حيث قال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥) رَبِّ إِنِّي أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ الْآلَسِ ﴿[إبراهيم]، وما نجا من شرك^(٢) هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وتقرب بمقتهم إلى الله. انتهى كلامه ﷺ.

فتأمل - رحمك الله - كلام هذا الإمام، وتصريحه بأن من دعا الموتى وتوجه إليهم، واستغاث بهم ليشفعوا له عند الله = فقد فعل

(١) يعني الشرك الأكبر.

(٢) الشرك - بفتح الشين والراء -: الفخ.

الشرك الأكبر الذي بُعث محمد ﷺ بإنكاره وتكفير من لم يتب منه، وقتاله ومعاداته، وأن هذا قد وقع في زمانه، وأنهم غيروا دين الرسول ﷺ، وعادوا أهل التوحيد الذين يأمرونهم بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له!

وتأمل قوله - أيضًا -: «وما أعزَّ من تخلص من هذا! بل ما أعز من لا يعادي من أنكره!»؛ يتبين لك الأمر - إن شاء الله -. وكذلك تأمل - أرشدك الله - قوله: «وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين لله» إلى آخره، يتبين لك أن الإسلام لا يستقيم إلا بمعاداة أهل الشرك، فإن لم يُعادهم فهو منهم وإن لم يفعله، والله أعلم.

□ وقال رحمه الله في كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» - في الكلام على غزوة الطائف، وما فيها من الفقه -، قال: «وفيها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت، بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات؛ فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة.

وهكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور، التي اتُّخذت أوثانًا وطواغيت تُعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل؛ لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض، مع القدرة على إزالته؛ وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شرًّا عندها وبها، والله المستعان.

ولم يكن أحدٌ من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق أو ترزق، أو تحيي وتميت، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله

إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حَذَوُ القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع.

وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعةً، والبدعة سنةً؛ ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطُمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر، بما كسبت أيدي الناس؛ ولكن لا تزال طائفةً من الأمة المحمدية قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

ومنها^(١): جواز صرف الإمام الأموال - التي تصير إلى هذه المشاهد والطواغيت، في الجهاد ومصالح المسلمين، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات، وأعطاهَا أبا سفيان يتألفه بها، وقضى منها دين عروة والأسود؛ وكذلك الحكم في أوقافها، فإن وقفها والوقف عليها باطل، ومال ضائع، فإن الوقف لا يصح إلا في قربة؛ وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الإسلام ومن اتبع سبيلهم، والله أعلم. انتهى كلامه.

فتأمل - رحمك الله - هذا الكلام، وما فيه من التصريح بأن هذا الذي يُفعل عند المشاهد والقباب التي على القبور في كثير من البلدان، أنه هو الشرك الأكبر الذي فعله المشركون، وأن كثيراً

(١) أي: من فوائد غزوة الطائف.

منها بمنزلة «اللات والعزى ومناة»؛ بل أعظم شركاً من شرك أهل اللات والعزى ومناة، وتصريحه بأنهم فعلوا فعل المشركين، واتبعوا سبيلهم حذو القذة بالقذة؛ وتأمل قوله: «وغلّب الشرك على أكثر النفوس؛ لظهور الجهل وخفاء العلم»، واللّه أعلم.

□ وقال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللّهُ - لما سئل عن قتال التتار، مع التمسك بالشهادتين، وَلِمَا زَعَمُوا من اتباع أصل الإسلام -، فقال: «كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة، المتواترة من هؤلاء القوم أو غيرهم = فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ مانعي الزكاة؛ وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم - بعد سابقة مناظرة عمر لأبي بكر رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ^(١) -، فاتفق الصحابة على القتال على حقوق الإسلام، عملاً بالكتاب والسنة.

وكذلك ثبت عن النبي ﷺ من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج، والأمر بقتالهم، وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة، مع قوله: «تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم»^(٢)، فعلم أن مجرد الاعتصام بالإسلام، مع عدم التزام شرائعه، ليس بمسقط للقتال؛ فالقتال واجب.

فأيما طائفة ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء أو الأموال، أو الخمر، أو الميسر، أو الزنى أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام

(١) صحيح: وقد تقدم. وهو حديث: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولون: لا إله إلا الله». (٢) صحيح: وقد تقدم.

جهاد الكفار، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين، أو محرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها التي يكفر الواحد بجحودها = فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها - وإن كانت مقرةً بها -؛ وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء.

وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة، إذا أصرت على ترك بعض السنن، كركعتي الفجر، والأذان، والإقامة - عند من لا يقول بوجوبها -، ونحو ذلك من الشعائر، وهل تُقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا؟ فأما الواجبات والمحرمات المذكورة ونحوها، فلا خلاف في القتال عليها.

وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين على الإمام، أو الخارجين عن طاعته - كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) -؛ فإن أولئك خارجون عن طاعة إمام معين، أو خارجون عليه لإزالة ولايته، وأما المذكورون فهم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة، وبمنزلة الخوارج الذين قاتلهم علي (عليه السلام)؛ ولهذا افترقت سيرته في قتاله لأهل البصرة وأهل الشام، وفي قتاله لأهل النهروان، فكانت سيرته مع البصريين والشاميين سيرة الأخ مع أخيه، ومع الخوارج بخلاف ذلك، وثبتت النصوص عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما استقر عليه إجماع الصحابة من قتال الصديق لمانعي الزكاة، وقتال عليٍّ للخوارج» انتهى كلامه.

فتأمل - رحمك الله - تصريح هذا الإمام في هذه الفتوى، بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة، كالصلوات الخمس،

والصيام والزكاة والحج، أو ترك المحرمات كالزنى، أو تحريم الدماء والأموال، أو شرب الخمر أو المسكرات، أو غير ذلك = أنه يجب قتال الطائفة الممتنعة عن ذلك، حتى يكون الدين كله لله، ويلتزموا جميع شرائع الإسلام - وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائع الإسلام -، وأن ذلك مما اتفق عليه العلماء من سائر الطوائف من الصحابة فمن بعدهم، وأن ذلك عملاً بالكتاب والسنة.

فتبين لك أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمُسقطٍ للقتال، وأنهم يقاتلون قتالَ كفرٍ وخروج عن الإسلام، كما صرح به في آخر الفتوى، بقوله: وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين عن الإمام، بل هم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعي الزكاة». والله أعلم.

□ وقال الشيخ رحمه الله في آخر كلامه على كفر مانعي الزكاة: «والصحابه لم يقولوا: هل أنت مقرٌّ بوجوبها أو جاحد لها، هذا لم يُعهد عن الصحابة بحال، بل قال الصديق لعمر رضي الله عنهما: «والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»، فجعل المبيع للقتال مجرد المنع، لا جحد وجوبها؛ وقد روي أن طوائف منهم كانوا يقرُّون بالوجوب، لكن بخلوا بها.

ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم سيرة واحدة، وهي قتلُ مُقاتِلَتِهِم، وسبِّي ذراريهم، وغنيمةُ أموالهم، والشهادة على قتلهم بالنار، وسمُّوهم جميعهم أهل الردة؛ وكان من أعظم فضائل الصديق عندهم أن ثبتته الله على قتالهم، ولم يتوقف كما توقف غيره حتى ناظرهم فرجعوا إلى قوله.

وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة، فهؤلاء لم يقع بينهم نزاعٌ في قتالهم؛ وهذه حجة من قال: إن قاتلوا الإمامَ عليها كفروا، وإلا فلا؛ فإن كفر هؤلاء وإدخالهم في أهل الردة، قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة، بخلاف من لم يقاتل الإمامَ عليها؛ فإن في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قيل له: منع ابن جميل؛ فقال: «ما ينقم ابنُ جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله؟»^(١)، فلم يأمر بقتله، ولا حكم بكفره.

وفي السنن من حديث بهز بن حكيم، عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ: «ومن منعها فإننا آخذوها وشرّ ماله»^(٢) الحديث. انتهى.

فتأمل كلامه وتصريحه بأن الطائفة الممتنعة عن أداء الزكاة إلى الإمام = أنهم يقاتلون، ويُحكم عليهم بالكفر والردة عن الإسلام، وتسبى ذراريهم، وتُغنم أموالهم، وإن أقروا بوجوب الزكاة، وصلّوا الصلوات الخمس، وفعلوا جميع شرائع الإسلام غير أداء الزكاة،

-
- (١) رواه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/٥)، وعبدالرزاق (٦٨٢٤)، وأبو داود (١٥٧٥)، والنسائي (٢٤٤٩)، وفي «الكبرى» (٢٢٣٦)، والدارمي (١٦٧٧)، وابن أبي شيبة (١٢٢/٣)، وأبو عبيد في «الأموال» (٩٨٧)، وابن زنجويه في «الأموال» (١٤٤٣)، وابن خزيمة (٢٢٦٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٩/٢)، والطبراني في «الكبير» (٩٨٤/١٩)، والحاكم (٣٩٨/١)، وابن حزم في «المحلى» (٥٧/٦)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠٥/٤)، والخطيب في «تاريخه» (٤٤٨/٩)، وصحّحه الحاكم، سكت عليه الذهبي، وحسّنه الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرناؤوط عند أبي داود (٢٦/٣).

وأن ذلك ليس بمسقطٍ للقتال لهم، والحكم عليهم بالكفر والردة،
وأن ذلك قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الصحابة رضي الله عنهم، والله
أعلم.

📖 [حكم من سب الرسول ﷺ]:

□ وقال الشيخ رحمه الله تعالى في كتاب «الصارم المسلول على شاتم
الرسول»: «قال الإمام إسحاق بن راهويه - أحد الأئمة، يعدل
بالشافعي وأحمد -: أجمع المسلمون أن من سب الله أو رسوله،
أو دفع شيئاً مما أنزل الله = أنه كافر بذلك - وإن كان مقراً بكل
ما أنزل الله -.

وقال محمد بن سحنون - أحد الأئمة من أصحاب مالك -: أجمع
العلماء على أن شاتم الرسول كافر، وحكمه عند الأئمة القتل، ومن
شك في كفره كفر؛ قال ابن المنذر: أجمع عوامُّ أهل العلم على أن
على من سبه القتل.

وقال الإمام أحمد فيمن سبه: يقتل، قيل له: فيه أحاديث؟ قال:
نعم؛ منها: حديث الأعمى الذي قتل المرأة^(١)؛ وقول ابن عمر:
«من شتم النبي ﷺ قُتل». وعمر بن عبدالعزيز يقول: «يقتل»؛ وقال

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي في «الكبرى» (٣٥١٩)، وفي
«المجتبى» (٤٠٧٠)، والحاكم (٣٩٤/٤)، والطبراني في «الكبير» (١١/
٣٥١)، والبيهقي في «الكبرى» (٩٦/٧)، والدَّارَقُطْنِي (١١٦/٤)، وابن
أبي عاصم في «الديات» ص (٧٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصحَّحه
الحاكم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الشيخ الألباني عند أبي داود، وقوَّاه
الشيخ شعيب الأرناؤوط عنده - أيضاً - (٤١٦/٦).

في رواية عبد الله: لا يستتاب؛ فإن خالد بن الوليد قتل رجلاً شتم النبي ﷺ ولم يستتبه» انتهى.

فتأمل - رحمك الله - كلام إسحاق بن راهويه، ونقله الإجماع على أن من سب الله، أو سب رسوله، أو دفع شيئاً مما أنزل الله؛ أنه كافر، وإن كان مقرراً بكل ما أنزل الله؛ يتبين لك أن من تلفظ بلسانه بسب الله تعالى، أو سب رسوله، فهو كافر مرتد عن الإسلام، وإن أقر بجميع ما أنزل الله، وإن كان هازلاً بذلك لم يقصد معناه بقلبه، كما قال الشافعي: «من هزل بشيء من آيات الله فهو كافر»، فكيف بمن هزل بسب الله، أو سب رسوله ﷺ؟

□ ولهذا قال الشيخ تقي الدين: «قال أصحابنا وغيرهم: من سب الله تعالى كفر - مازحاً أو جاداً -؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة]، الآية قال: وهذا هو الصواب المقطوع به» انتهى.

ومعنى قول إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «أو دفع شيئاً مما أنزل الله»: أن يدفع أو يرد شيئاً مما أنزل الله في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من الفرائض، أو الواجبات، أو المسنونات، أو المستحبات، بعد أن يعرف أن الله أنزله في كتابه، أو أمر به رسوله ﷺ أو نهى عنه، ثم دفعه بعد ذلك = فهو كافر مرتد، وإن كان مقرراً بكل ما أنزل الله في كتابه من الشرع، إلا ما دفعه وأنكره لمخالفته لهواه أو عادته، أو عادة أهل بلده.

وهذا معنى قول العلماء: من أنكر فرعاً مجمعاً عليه كفر^(١)، فإذا

(١) قال الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ فِي طَبْعَتِهِ ص (٣٢٣): «زاد العلماء في هذه =

كان من أنكر النهي عن الأكل بالشمال، أو النهي عن إسبال الثياب، بعد معرفته أن الرسول ﷺ نهى عن ذلك، فهو كافر مرتد - ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم -، فكيف بمن أنكر إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الدعوة والاستغاثة، والنذر والتوكل، وغير ذلك من أنواع العبادة، التي لا تصلح إلا لله وحده، ولا يصلح منها شيء لمَلَكٍ مقرب، ولا نبي مرسل، التي ^(١) أرسل الله جميع رسله، وأنزل جميع كتبه لأجل معرفتها والعمل بها، التي هي أعظم شعائر الإسلام، الذي هو معنى لا إله إلا الله؟ فمن أنكر ذلك وأبغضه، وسبه وسب أهله، وسماهم الخوارج = فهو الكافر حقاً الذي يجب قتاله حتى يكون الدين كله لله، بإجماع المسلمين كلهم؛ والله سبحانه أعلم.

فصل: [قول ابن القيم في اتخاذ القبور أعياداً]:

□ وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «الإغاثة»: «قال ﷺ: «لا تَتَّخِذُوا قبوري عيداً» ^(٢)، وقال: «اللهم لا تجعل قبوري وثناً يُعبد. اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد» ^(٣)؛ وفي اتخاذها عيداً من

= المسألة أن يكون المجمع عليه معلوماً من الدين بالضرورة، فذا كان من أمور العادات الدنيوية لا يكفر بجحده ولا بإنكاره - فضلاً عن تركه -، وإذا كان من أمور الدين الخفية غير معلوم للجمهور بالضرورة فلا تكفير فيه، ومثلوا له بإرث بنت الابن مع بنت الصلب السدس، فأطلقه للقاعدة وما فرَّعه عليها فيه ما علمت اهـ.

(١) أي: العبادة.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

أعيادهم من المفاصد العظيمة = ما يَغضِبُ لأجله من في قلبه وقار
لله وَغَيْرُهُ عَلَى التوحيد؛ ولكن ما لجرح بميت إيلام.

منها: الصلاة إليها، والطواف بها واستلامها، وتعفير الخدود على
ترابها، وعبادة أصحابها، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء
الديون، وتفريج الكربات، التي كان عُبَاد الأوثان يسألونها أوثانهم،
وكلُّ من شم أدنى رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سد
الذريعة إلى ذلك، وأنه ﷺ أعلم بعاقبة ما نهى عنه، وما يؤول
إليه.

وإذا لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ قبور الأنبياء مساجد يعبد الله فيها، فكيف
بملازمتها واعتياد قصدها؟ وَمَنْ جمع بين سنة رسوله ﷺ في
القبور، وما أمر به ونهى عنه، وما عليه أصحابه، وبين ما عليه
أكثر الناس اليوم = رأى أحدهما مضادًا للآخر.

فنهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ونهى
عن تشريفها، وهؤلاء يُوقِفُونَ الوقوف على إيقاد القناديل عليها،
ونهى أن تتخذ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا.

وأمر بتسويتها - كما في «صحيح مسلم» عن عليٍّ رضي الله عنه^(١) -، وهؤلاء
يرفعونها، ويجعلون عليها القباب.

ونهى عن تجصيص القبر^(٢) والبناء عليه، كما في «صحيح مسلم»
عن جابر^(٣).

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) التجصيص: بناؤها بالجص، وهو ما يسمى في عصرنا: «الجير».

(٣) رواه مسلم (٩٧٠).

ونهى عن الكتابة عليها، كما رواه الترمذي عن جابر وصححه^(١).
ونهى أن يُزاد عليها غير ترابها، كما رواه أبو داود عن جابر^(٢).
وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن، ويزيدون
على ترابها بالجص والآجر والأحجار.

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور
حجًّا، ووضعوا له مناسك، حتى صنف بعضهم كتابًا سماه: «مناسك
حج المشاهد»؛ ولا يخفى أن هذا مفارقةٌ لدين الإسلام، ودخول في
دين عباد الأصنام؛ فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه
الرسول ﷺ وما شرعه هؤلاء!

والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لأنها تذكّر الآخرة^(٣)، وأمر
الزائرين أن يدعوا لأهل القبور، ونهاه أن يقول هُجرًا^(٤)؛ فهذه

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٠٥٢)، والنسائي (٢٠٢٧)، وفي «الكبرى»
(٢١٦٥)، وابن حبان (٣١٦٤)، والحاكم (٣٧٠/١)، وابن أبي شيبة في
«المصنف» (٢٣/٣)، وعبد بن حميد (١٠٧٥)، والطحاوي في «شرح
المعاني» (٢٩٤٥)، والبيهقي في «الصغرى» (١١١٣)، وفي «المعرفة»
(٧٧٤٣)، من حديث جابر رضي الله عنه - أيضًا -، وقال الترمذي: «حسن
صحيح»، وصححه الحاكم، وأقرّه الذهبي، وكذا الشيخ الألباني عند
الترمذي، والشيخ شعيب الأرناؤوط ثم - أيضًا - (٥٣١/٢).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٢٢٦)، وهي إحدى روايات الحديث قبل
السابق الذي رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم (٩٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وانظر أحاديث مشابهة في «الإبداع في مضار الابتداع»، تحت عنوان:
«بدع المقابر والأضرحة وزيارة القبور»، بعنايتي.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٩٧٧)، واللفظ لأحمد (٣٦١/٥)، والنسائي في =

الزيارة التي أذن فيها لأمته، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئاً مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادةً لما هم عليه من كل وجه؟!

وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمه الله: «لن يُصلَحَ آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلَحَ أولها».

ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، عوّضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك.

ولقد جرّد السلف الصالح التوحيد، وحمّوا جنبه؛ حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا؛ وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة؛ أنه يستقبل القبلة للدعاء حتى لا يدعو عند القبر؛ فإن الدعاء عبادة.

وبالجملة: فالميت قد انقطع عمله، فهو محتاج إلى من يدعو له؛ ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يشرع مثله للحی؛ ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له، والدعاء له، وكان ﷺ يقف على القبر بعد الدفن، فيقول: «سلّوا له التثبيت؛ فإنه الآن يسأل»^(١)، فبدل أهل الشرك والبدع قولاً غير الذي قيل لهم؛ فبدلوا

= «الكبرى» (٢١٧١)، وفي «المجتبى» (٢٠٣٣)، من حديث بريدة رضي الله عنه.

(١) صحيح: رواه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٤٢٥)، وفي زياداته على «فضائل الصحابة» لأبيه (٧٧٣)، وأبو داود (٣٢٢١)، والبزار (٤٤٥)، وابن المنذر في «الأوسط» (٤٥٨/٥)، والحاكم (٣٧٠/١)، والبيهقي في «الكبرى» (٥٦/٤)، والضياء في «الأحاديث المختارة» (٣٨٨)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٤٧/٣٠)، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وصحّحه الشيخ الألباني في «سنن أبي داود»، وحسّنه الشيخ شعيب =

الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به، والزيارة التي شُرعت إحساناً للميت وإلى الزائر بسؤال الميت والإقسام به على الله، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء - الذي هو مخ العبادة -، وحضور القلب عندها، وخشوعه أعظم منه في المساجد.

وذكر ابن إسحاق عن أبي العالية قال: «لما فتحنا تُسْتَر، وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجلٌ ميتٌ عند رأسه مصحف^(١)، فحملنا المصحف إلى عمر، فدعا كعباً، فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه؛ قرأته مثلما أقرأ القرآن، فيه سيرتكم وأمورك، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد؛ قلت: فما صنعتُم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه، وسوينا القبور كلها، لنعميه على الناس ألا ينشوه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حُبست عنهم^(٢) أبرزوا السرير فيمطرون، قلت: من كنتم تظنون الرجل: قال: دانيال؛ قلت: منذ كم مات؟ قال: من ثلاثمئة سنة؛ قلت: ما تغير منه شيء؟ قال: لا؛ إلا شعراتٌ من قفاه؛ إن لحوم الأنبياء لا تُبليها الأرض، ولا تأكلها السباع».

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به؛ ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف وعبدوه، فهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يدانيه، وجعلوا لها سدنة.

= الأرئوط عنده - أيضاً - (١٢٧/٥).

(١) أي: صحيفة فيها كلام. (٢) أي: لم ينزل المطر.

وقد أنكر الصحابة ما هو دون هذا بكثير:

فقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشجرة التي بويع رسول الله ﷺ تحتها، ولما رأى عمر الناس يذهبون، فسأل عن ذلك ف قيل: «مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وبيعاً؛ فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يتعمدها»^(١).

وقد أنكر رسول الله ﷺ على الصحابة لما سألوه شجرة يعلقون عليها أسلحتهم بخصوصها... (ثم ذكر حديث ذات أنواط)^(٢).

فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها، اتخاذ إله مع الله - وهم لا يعبدونها ولا يسألونها -؛ فما الظن بالعكوف حول القبر، ودعائه والدعاء عنده، والدعاء به؟ وأين نسبة الفتنة بشجرة، إلى الفتنة بالقبر، لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟ ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم، في هذا الباب وغيره = علم أن بين السلف وبينه

(١) صحيح: رواه ابن سعد في «الطبقات» (١٠٠/٢)، وصححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٤٤٨/٧) عن نافع؛ لكن فيه انقطاع بينه وبين عمر رضي الله عنه. وانظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧٤/٢).

وانظر مشاركات قيمة لإخواننا من أهل الحديث - كثر الله جمعهم - حول هذه المسألة على الرابط التالي:

<https://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=4040>

(٢) صحيح: وقد تقدم.

أبعد مما بين المشرق والمغرب؛ والأمر واللّه أعظم مما ذكرنا.
وفي «صحيح البخاري» عن أم الدرداء قالت: دخل عليّ أبو
الدرداء مغضباً، فقلت: ما لك؟ فقال: واللّه ما أعرف فيهم شيئاً
من أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعاً» انتهى.

فتأمل - رحمك الله - كلام الشيخ، وتصريحه بأن عبادة الأوثان
قد وقعت في زمانه، وتصريحه - بعد ذكره لقصة دانيال - بأن أهل
زمانه المتأخرين قد اتخذوا من قبور من لا يدانيه في المرتبة
والفضل والصلاح أوثاناً، وأنهم لو وجدوه لجالدوا عليه بالسيوف،
وعبدوه من دون الله = يتبين لك ما أصبح غالب الناس فيه من
عبادة غير الله، ودعائهم، والاستغاثة بهم في الشدائد، وتفريج
الكربات، وإغاثة اللهفات، والإخلاص لهم في العبادة في أوقات
الشدائد عند ركوبهم في البحر وغيره، الذي لم يفعله المشركون
الأولون، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [٦٥] ﴿[العنكبوت]، وقوله:
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾ [٤٠] بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [٤١]﴾
[الأنعام].

فتأمل - رحمك الله - ما ذكر الإله عن هؤلاء المشركين من
إخلاص الدعوة له أوقات الشدائد، ثم تأمل ما يفعله المشركون في
زماننا مما ذكرت لك = يتبين لك غربة الإسلام الذي جاء به النبي
ﷺ في هذه الأزمان.

فإذا كان هذا كلام أهل العلم، وتصريحهم بأن الشرك غلب على

أكثر النفوس، وأن القليل الذي تخلص منه، بل القليل من لا يعادي من أنكر الشرك، فما ظنك بزمانك هذا؟ ومعلوم أن الأمر لا يزداد إلا شدةً وغربة؛ وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه». أخرجه البخاري في «صحيحه» عن أنس^(١).

ولكن الأمر كما قال الشيخ رحمه الله: «ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره = علم أن بينهما أبعد مما بين المشرق والمغرب».

وهذه هي الفتنة التي قال فيها ابن مسعود رضي الله عنه: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، يتخذها الناس سنة، إذا غيرت قيل: غيرت السنة!!». والله أعلم.

فصل: [ابتلاء الناس بالأنصاب والأزلام]:

□ قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «والناس قد ابتلوا بالأنصاب والأزلام، فالأنصاب للشرك، والأزلام لطلب علم ما استأثر الله به، هذه للعلم، وتلك للعمل، ودين الله مضاد لهذا، وهذا؛ وعمى الصحابة قبر دانيال بأمر عمر، ولمّا بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع رسول الله ﷺ تحتها أرسل فقطعها، قال عيسى بن يونس: هو عندنا من حديث ابن عون عن نافع.

فإذا كان هذا فعله في الشجرة التي ذكر الله في القرآن، وبايع تحتها الصحابة رسول الله ﷺ، فماذا حكمه فيما عداها؟ وأبلغ من ذلك: أن رسول الله ﷺ هدم مسجد الضرار^(٢)؛ ففيه

(٢) راجع الحاشية ص (٤٩٦).

(١) رواه البخاري (٧٠٦٨).

دليل على هدم المساجد التي هي أعظم فسادًا منه، كالمبنية على القبور، وكذلك قبابها؛ فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله، والله يُقيم لدينه من ينصره ويدبُّ عنه.

وكان بدمشق كثيرٌ من هذه الأنصاب، فَيَسَّرَ الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين؛ وكانوا يقولون - أي العامة - لشيء منها: إنه يقبل النذر، أي: يقبل العبادة من دون الله، فالنذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له.

ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام، الذي أمر الله أن يُتخذ منه مصلىً، قال قتادة في الآية: «إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه». ولقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا من رأى أثر أصابعه، فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق.

وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب: فتنة أصحاب القبور، وهي أصل فتنة عبادة الأصنام، كما ذكره الله في سورة «نوح»، في قوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح] الآية؛ ذكر السلف في تفسيرها: أن هؤلاء أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم؛ وتعظيم الصالحين إنما هو باتباع الصالحين، واتباع ما دَعَوْا إليه دون اتخاذ قبورهم أعيادًا وأوثانًا، فأعرضوا عن المشروع، واشتغلوا بالبدع. ومن أصغى إلى كلام الله وتفهمه أغناه عن البدع والآراء، ومن بُعد عنه فلا بد أن يتعوض عنه بما لا ينفعه، كما أن من عمّر قلبه بمحبة الله وخشيته والتوكل

عليه، أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه؛ فالمعرض عن التوحيد مشرك - شاء أم أبى -، والمعرض عن اتباع السنة مبتدع - شاء أم أبى -، والمعرض عن محبة الله عابد الصور - شاء أم أبى -.

📖 [أنواع البدع عند القبور]:

وهذه الأمور المبتدعة عند القبور أنواع^(١):

أبعدها عن المشروع: أن يسأل الميت حاجته، كما يفعله كثير؛ وهؤلاء من جنس عبّاد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت، كما يتمثل لعباد الأصنام، وهذا يحصل للمشركين وأهل الكتاب، وكذلك السجود للقبر، وتقبيله والتمسح به. والنوع الثاني: أن يسأل الله به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعةٌ إجماعاً.

النوع الثالث: أن يظن أن الدعاء عنده مستجاب، وأنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد القبر لذلك؛ فهذا - أيضاً - من المنكرات إجماعاً، وما علمت فيه نزاعاً بين أئمة الدين، وإن كان كثير من المتأخرين يفعله.

وبالجملة: فأكثر أهل الأرض مفتنون بعبادة الأوثان، ولم يتخلص منه إلا الحنفاء أتباع إبراهيم، وعبادتها في الأرض من قبل نوح، وهياكلها ووقوفها، وسدنتها وحجّابها، والكتب المصنفة في عبادتها طبق الأرض.

(١) لا زال الكلام للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

قال إمام الحنفاء رحمته الله: ﴿وَأَجْبُنِي وَبَيِّنْ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۖ﴾ (٣٥) رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿[إبراهيم]. وكفى في معرفة أنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ بَعَثَ النَّارَ»^(١) مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِئَةً وَتِسْعَةً وَتِسْعُونَ»^(٢).

وقد قال تعالى: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۖ﴾ (الإسراء: ٨٩) وقال: ﴿وَإِنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنعام: ١١٦).

وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ (يوسف: ١٠٣) وقال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٢).

ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة، لما أقدم عبّادها على بذل نفوسهم، وأموالهم وأبنائهم دونها، وهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم، ولا يزيدهم ذلك إلا حبًّا لها وتعظيمًا، ويوصي بعضهم بعضًا بالصبر عليها، والله أعلم.

فتأمل - رحمك الله تعالى - كلام الشيخ في الأنصاب والأزلام والقباب المبنية على القبور، وأنه يجب المبادرة إلى هدمها، وأنها أعظم ضررًا من مسجد الضرار الذي قال الله في أهله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: ١٠٧]، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه وتحريقه،

(١) أي: الذين سيدخلون النار. نسأله تعالى السلامة والنجاة.

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢)، من حديث أبي سعيد الخدري

ونهى الله نبيه عن الصلاة فيه .

وقوله : «والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه؛ وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب، فیسر الله كسرهما على يد شيخ الإسلام، وحزب الله الموحدين»، ومراده بذلك الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله، فإنه هدم مواضع كثيرة بدمشق مما يعبده العامة من دون الله، وينذرون له، ويقولون: إنه يقبل النذر، أي: يقبل العبادة. وذلك لأن النذر عبادة:

قال تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].
وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

فإذا عرفت أن النذر عبادة، وصرفته لغير الله، فقد أشركت في عبادة الله غيره.

وقد أقام الله في زماننا هذا - وهو آخر القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية - من بعث به دين الإسلام، وإخلاص العبادة لله وحده بعد اندراسه، وهو الشيخ الإمام العالم، ذو الفضائل والمكارم، والأخلاق السنية والأعمال المرضية السنية، محيي السنة النبوية، وقامع البدعة الشريكية: محمد بن عبد الوهاب، أسكنه الله الجنة التي هي أحسن المآب، وبرّد مضجعه، وأجزل له الثواب.

فنصر الله به الدين القويم، وبين بسببه صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأزال الله به الشرك وعبادة الأوثان من أرض نجد من الكفر والطغيان، ويسر الله كسر تلك الأوثان على يده وأيدي أتباعه من

الموحدين، وحزب الله المفلحين.

وكان قبل ذلك في كل أرضٍ وبلدٍ من أرض نجد أوثانٌ وأشجار تعبد من دون الله، وينذر لها ويذبح لها القربان، ويعظمونها أعظم من تعظيم الله، كقبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه في «الجبيلة» وكشجرة في «قريوة» في بلد الدرعية، وشجرة أخرى لأهل «الطرفية»، وغار يقال له «غار بنت الأمير» في أسفل بلد الدرعية، وقبر يقال له «قبر المغربي».

وأعظم من ذلك: عبادتهم «تاجًا وشُمسًا»^(١)، مع شهادتهم عليهم بالفجور، لكن يزعمون أنهم أولياء لا تضرهم الذنوب، ويهابونهم أعظم مما يهابون الله؛ ومنهم من يدعو الجن ويذبح لهم، وفي كل بلد من ذلك شيء عظيم؛ فأزال الله ذلك كله بشيخ الإسلام، وأقام الله به الحجة على أهل زمانه، وعرف التوحيد جميع أهل عدوانه، وأقروا أنه دين الله ورسوله، وأن الذي هم عليه الشرك بالله تعالى، ولم يردهم ذلك إلا بغضًا له وعداوة، وسعوا في إزالته وعداوته بكل ممكن حسدًا له، لِمَا أظهر الله الدين على يده، حتى أظهره الله عليهم ونصره، ونصر أتباعه على من خذلهم وخالفهم - مع ضعفهم وقلة عددهم، وقوة عدوهم وكثرتهم، وأدخل الله جميع أهل نجد في الإسلام، ودانوا به، واجتمعوا عليه، حاضرتهم وباديتهم؛ فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله؛ ونسأل الله العظيم المنان أن يشبتنا على الإسلام، وألاً يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن

(١) تقدم الكلام عن هذين الطاغوتين ص (٢٠٠).

يعيذنا من التفرق والاختلاف، إنه على كل شيء قدير.

فصل: [رد الإمام ابن تيمية على ابن البكري في مسألة الاستغاثة]:

□ وقال الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في ردّه على ابن البكري في مسألة الاستغاثة -: «العبادة مبناها على الاتباع، لا على الابتداع، فليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. وفي «الصحيحين» عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد».

وفي لفظ في «الصحيح»: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رد»^(١).

وفي «الصحيح» وغيره: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»^(٢).

ولهذا قال الفقهاء: «العبادات مبناها على التوقيف»، كما في «الصحيحين» عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قَبَّلَ الحجر الأسود، وقال: «والله إني لأعلم أنك لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبّلتك»^(٣).

والله ﷻ أمرنا باتباع الرسول ﷺ وطاعته وموالاته ومحبته، وضمن لنا بطاعته ومحبته وكرامته محبته لنا ومغفرته، وهدايته

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠)، من حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وإدخالنا الجنة :

فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

[آل عمران: ٣١].

وقال: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

وقال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وأمثال ذلك في القرآن كثير، ولا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا الباب عما مضت به السنة، وكان عليه سلف الأمة.

وبالجملة: فمعنا أصلان عظيمان:

أحدهما: ألا نعبد إلا الله.

والثاني: ألا نعبد إلا بما شرع؛ لا نعبد به عبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

قال الفضيل بن عياض: «أخلصه وأصوبه؛ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً صواباً؛ والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة».

وذلك تحقيق قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا

وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وجاءت السنة أن يُسأل الله بأسمائه وصفاته، فيقال: «أسألك

بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المَنَّانُ، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم، أسألك بأنك أنت الله، لا إله إلا أنت،

الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»^(١).

وكذلك قوله: «اللهم إني أسألك بمعاقِدِ العزِّ من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمِكَ الأعظم، وجدك الأعلى، وكلماتك التامة»^(٢).

مع أن هذا الدعاء الثاني في جواز الدعاء به قولان للعلماء.

وقال الشيخ أبو الحسين القدوري: «قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به،

(١) صحيح: رواه أحمد (١٢٠/٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٣)، وابن أبي شيبة (٢٧٢٠)، وأبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٢٢٤)، وفي «المجتبى» (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وابن جبان (٨٩٣)، والحاكم (٦٨٣/١)، والطحاوي في «شرح المشكل الآثار» (١٧٤)، والبيهقي في «الدعوات» (١٢٦)، وفي «الأسماء والصفات» (١٢٦)، والطبراني في «الصغير» (١٠٣٨)، وفي «الدعاء» (١١٦)، وابن منده في «التوحيد» (٢٣٠)، من حديث أنس رضي الله عنه، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السنن»، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٢٣٨/١٩).

(٢) موضوع: رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٤١/٢)، من رواية الحاكم، وذكره الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٠٢١)، وعزاه للحاكم - أيضاً -، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع، وأقره الزيلعي في «نصب الراية» (٢٧٢/٤)، وكذا فعل الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٤١٨). وانظر: «معجم المناهي اللفظية» للعلامة بكر أبو زيد رحمته الله ص (٩٠).

تنبيه: حكم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله على الدعاء بمعاقِدِ العزِّ بأنه لا أصل له، بالرغم من وجود قولين فيه للعلماء. انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٤٤/١).

وأكره أن يقول: بمعقد العز من عرشك، أو بحق خلقك». وهو قول أبي يوسف.

قال أبو يوسف: «بمعقد العز من عرشك هو الله^(١)، فلا أكره هذا، وأكره «بحق فلان»، أو «بحق أنبيائك ورسلك»، و«بحق البيت»، و«المشعر الحرام».

قال القدوري: «المسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق». يعني: فلا تجوز وفاقاً.

وقال البلدجي في «شرح المختار»: ويكره أن يدعو الإله إلا به، فلا يقول: «أسألك بحق فلان، وبملائكتك، أو بأنبيائك»، ونحو ذلك؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق، ويقول في دعائه: «أسألك بمعقد العز من عرشك». وعن أبي يوسف أنه يجوز.

قلت: وهذا عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما يقتضي المنع أن يسأل الله تعالى بغيره.

وأما سؤال الميت والغائب - نبيًا كان أو غير نبي - فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين؛ وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن أحدًا منهم ما كان يقول - إذا نزلت به شدة، أو عرّضت له حاجة - لميت: «يا سيدي فلان، أنا في حسبك، أو اقض حاجتي»، كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين؛ ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته، ولا

(١) فيه نظرٌ بيّن؛ إذ لا أصل لمثل تلك الصفة في صفات رب العالمين ﷻ.

بغيره من الأنبياء، لا عند قبورهم، ولا إذا بَعِدُوا عنها، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء، ولا الصلاة عندها.

ولما قحط الناس في زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس، وتوسل بدعائه، وقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إذا أجدبنا بنينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»، فيُسْقَوْنَ، كما ثبت ذلك في «صحيح البخاري»^(١).

وكذلك معاوية رضي الله عنه لما استسقى بأهل الشام، توسل بيزيد بن الأسود الجُرشي.

فهذا الذي ذكره عمر رضي الله عنه توسَّلَ منهم بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته؛ ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس، ودعاء يزيد بن الأسود، وهذا هو الذي ذكره الفقهاء في كتاب «الاستسقاء»، فقالوا: يُسْتَحَبُّ أَنْ يُسْتَسْقَى بِالصَّالِحِينَ، وإذا كانوا من أقارب رسول الله ﷺ فهو أفضل.

وقد كره العلماء - كمالك وغيره -: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَدْعُو لِنَفْسِهِ، وَذَكَرُوا أَنَّ هَذَا مِنَ الْبِدْعِ، الَّتِي لَمْ يَفْعَلْهَا السَّلَفُ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ^(٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ^(٥٧) [الإسراء]، قال: عيسى ابن مريم وعزير والملائكة.

وكذلك عن إبراهيم النخعي قال: كان ابن عباس يقول في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾: «هو عزير، والمسيح، والشمس، والقمر».

وكذلك شعبة روى عن السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «عيسى وأمه والعُزَيْر».

وعن عبدالله بن مسعود قال: «نزلت في نفرٍ من العرب، كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فنزلت هذه الآية»، ثبت ذلك عنه في «صحيح البخاري».

وهذه الأقوال كلها حق؛ فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابدًا لله - سواء كان من الملائكة، أو من الجن، أو من البشر -؛ والسلف في تفسيرهم، يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل، كما يقول الترجمان لمن سأله: ما معنى لفظ «الخبز»؟ فيريه: رغيفًا، فيقول: «هذا»، فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع، مع شمول الآية للنوعين؛ فالآية خطاب لكل من دعا دون الله مدعوًا، وذلك المدعو يُبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته ويخاف عذابه.

فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين - سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها - فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن؛ ومعلوم أن هؤلاء كلهم وسائط فيما يُقدَّرُ الله بأفعالهم، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويلًا؛ لا يرفعونه بالكلية، ولا يحولونه من موضع إلى موضع - كتغيير صفته أو قدره - ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾، فذكر نكرة تعم أنواع التحويل.

فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين، أو دعا

الملائكة، أو دعا الجن، فقد دعا من لا يغيث، ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويلاً؛ وقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]؛ وقد نص الأئمة - أحمد وغيره - على أنه لا يجوز الاستغاثة بمخلوق، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق، قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله، وأمر بذلك^(١)؛ ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويز التي لا يُعرف معناها؛ خشية أن يكون فيها شرك.

ومما يبيّن حكمة الشريعة وعظم قدرها، وأنها كما قيل: «كسفيانة نوح؛ من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق» = أن الذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك، وطائفة من هؤلاء يُصلون إلى الميت، ويستدبر أحدهم القبلة، ويسجد للقبور؛ ويقول أحدهم: «القبلة قبله العامة، وقبر الشيخ فلان قبله الخاصة»، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادةً وزهدًا وهو شيخ متبوع، ولعله من أمثل أتباع شيخه يقوله في شيخه.

وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين - أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد -، يأمر المريـد أول ما يذهب يتوب: أن يذهب إلى قبر الشيخ، فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها.

وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يَجِدُونَ عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب = ما لا يجده أحدهم في مساجد الله التي أذن أن تُرفع ويذكر فيها اسمه.

وآخرون يحجّون للقبور، وطائفة صنفوا «مناسك حج المشاهد»،

كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد - أحد شيوخ الإمامية - كتابًا في ذلك، وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل. وآخرون يسافرون إلى قبور المشائخ، وإن لم يسموا ذلك «منسكًا وحجًا»، فالمعنى واحد؛ ومن هؤلاء من يقول: «وَحَقَّ النَّبِيُّ الَّذِي تَحُجُّ إِلَيْهِ الْمَطَايَا»، فيجعل الحجَّ إلى النبي لا إلى بيت الله ﷺ، وكثير من هؤلاء أعظمُ قَصْدِهِ من الحج قصْدَ قبر النبي ﷺ لا حجَّ البيت.

وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح، صنف كتابًا أسماه: «الاستغاثة بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام»، وهذا الضالُّ استعان بهذا الكتاب، وقد ذُكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة، وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده، ثم رجع ولم يذهب إلى مكة، وجعل هذا من مناقبه! فإن كان هذا مستحبًا، فينبغي لمن يجب عليه حج البيت إذا حج أن يجعل المدينة منتهى قصده، ولا يذهب إلى مكة، فإنه زيادة كُلفةٍ ومشقة، مع ترك الأفضل، وهذا لا يقوله عاقل.

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة = على طريق ابن سبعين، قيل عنه: إنه كان يقول: «البيوت المحجوجة ثلاثة: مكة، وبيت المقدس، والبيت الذي للمشركين بالهند»، وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حقٌّ ودين النصارى حقٌّ^(١).

(١) قال الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ فِي طَبْعَتِهِ ص (٣٤١): «هذا التعليل لا يكفي؛ بل يزداد عليه ما هو أظهر في المقام، وهو: ودينٌ بوذية الهند وغيرها =

وجاء بعض إخواننا العارفين - قبل أن يعرف حقيقته - فقال له :
«أريد أن أسلك على يديك، فقال: على دين اليهود أو النصارى أو
المسلمين؟ فقال: اليهود والنصارى ليسوا كفارًا؟! فقال: لا تشدد
عليهم، لكن الإسلام أفضل».

ومن هؤلاء مَنْ قَدَّمَ الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت؛
ومنهم من يرجح الحج إلى البيت، لكن قد يقول أحدهم: «إنك إذا
زرت قبر الشيخ مرتين أو ثلاثًا كان كحجة»؛ ومن الناس من يجعل
مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات، يسافرون إليها وقت الموسم، فيُعرفون
بها كما يعرف المسلمون بعرفات، كما يُفعل هذا بالمشرق والمغرب.

ومنهم من يجعل السفر إلى المشهد والقبر الذي يعظمه أفضل من
الحج، ويقول أحد المريدين للآخر - وقد حج سبع حجج إلى بيت
الله العتيق -: «أتبيني زيارة قبر الشيخ بالحجج السبع؟ فشاور
الشيخ، فقالوا: لو بعته كنت مغلوبًا». ومنهم من يقول: «من طاف
بقبر الشيخ سبعًا كان كحجة»، ومنهم من يقول: «زيارة المغارة
الفلانية ثلاث مرات كحجة». ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت أنه
قال: «كل خطوة إلى قبري كحجة، ويوم القيامة لا أبيع بحجة»؛
وأنكر بعض الناس ذلك، فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ في منامه،
وزجره على إنكار ذلك! وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله
رب العالمين، فليسوا على ملة الحنفاء، وليسوا من عمار مساجد

= حق - أي: عنده -؛ فإن لفظ «البد» مأخوذ من «بوده» - بالمهملة
وبالمعجمة -؛ بل هو وأمثاله يقولون: إن عباد الشمس والقمر والأوثان
والأصنام كلهم يعبدون الله؛ إذ لا موجود غيره فيُعبد» اهـ.

اللَّهُ؛ الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، فعمار مساجد الله لا يخشون إلا الله.

وعمار مشاهد القبور يخشون غير الله، ويرجون غير الله، حتى إن طائفة من أرباب الكبائر - الذين لا يخشون الله فيما يفعلونه من القبائح - كان^(١) إذا رأى قبة الميت، أو الهلال الذي على رأس القبة، يخشى^(٢) من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: «ويحك هذا هلال القبة»، فيخشون المدفون تحت الهلال، ولا يخشون الذي خلق السماوات والأرض، وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج.

وهؤلاء إذا نواظروا خوَّفوا مُناظِرهم، كما صنع المشركون بإبراهيم، قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠]، إلى قوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ [الأنعام: ٨٢].

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله، والشيخ الحي المتعلق به كالنبي؛ فمن الميت تُطلب قضاء الحاجات، وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما أحله، والحرام ما حرمه، وكأنهم في أنفسهم قد عزلوا الله عن أن يتخذوه إلهاً، وعزلوا محمداً ﷺ أن يتخذوه رسولاً.

(١) انتقل إلى الإفراد، وكانت الجادة: كانوا... إلخ.

(٢) في المطبوع: «فيخشى»، والأصح - إن شاء الله - ما أثبتته.

وقد يجيء الحديث العهد بالإسلام أو التابع لهم الحسنُ الظن بهم أو غيره، يطلب من الشيخ الميت إما دفعَ ظلم ملكٍ يريد أن يظلمه أو غير ذلك، فيدخل ذلك السادن، فيقول: «قد قلت للشيخ، والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول لله، والله قد بعث رسولا إلى السلطان فلان»؛ فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارى! وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك ونصراني، ولا يروج عليه.

ويأكلون من النذور والمنذور وما يؤتى به إلى قبورهم، ما يدخلون به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّوهُنَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، يعرضون بأنفسهم، ويمنعون غيرهم؛ إذ التابع لهم يعتقد أن هذا سبيل الله ودينه، فيمتنع بسبب ذلك من الدين الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه.

والله تعالى لم يذكر في كتابه المشاهد؛ بل ذكر المساجد وأنها خالصة له:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨] الآية.

وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتِ صَوَائِعُ وَبِعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

ولم يذكر بيوت الشرك - كبيوت الأصنام والمشاهد - ولا ذكر بيوت النار؛ لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب؛ فالممدوح من ذلك ما كان مبنياً قبل النسخ والتبديل، كما أثنى على اليهود والنصارى والصابئين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل، يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويعملون الصالحات.

فبيوت الأوثان، وبيوت النيران، وبيوت الكواكب، وبيوت المقابر = لم يمدح الله شيئاً منها، ولم يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]؛ فهؤلاء الذين اتخذوا مسجداً على أهل الكهف كانوا من النصارى الذين لعنهم النبي ﷺ؛ حيث قال: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وفي رواية: «والصالحين»^(١).

ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك، وقد قدم بعض شيوخ المشرق، وتكلم معي في هذا، فبينت له فساد هذا، فقال أليس قد قال النبي ﷺ: «إذا أعيتمكم الأمور، فعليكم بأصحاب القبور»؟ فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم، لم يروه عن النبي ﷺ أحد من علماء الحديث.

وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»^(٢).

وهؤلاء الغلاة المشركون إذا حصل لأحدهم مطلوبه - ولو من

كافر - لم يقبل على الرسول ﷺ؛ بل يطلب حاجته من حيث يظن أنها تُقضى.

فتارةً يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح، ويكون فيه قبر كافر أو منافق، وتارةً يعلم أنه كافرٌ أو منافق، ويذهب إليه، كما يذهب قوم إلى كنيسة، أو إلى موضع، يقال لهم: إنها تقبل النذر؛ فهذا يقع فيه عامتهم، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم؛ حتى إن بعض أصحابنا المباشرين لقضاء القضاة، لما بلغه أنني أنهى عن ذلك، صار عنده من ذلك شبهة ووسواس لما يعتقده من الحق فيما أذكره، ولما عنده من المعارضة؛ لذلك قال لبعض أصحابنا سرًا: «أنا جربت إجابة الدعاء عند قبرٍ بالقرافة، فقال له ذلك الرجل: فأنا أذهب معك إليه، لنعرف من هو قبره»، فذهب إليه، فوجد مكتوبًا عليه «عبد علي»؛ فعرفوا: أنه إما رافضي، أو إسماعيلي.

وكان بالبلد جماعة كثيرون يظنون في العبيدين أنهم أولياء الله الصالحون، فلما ذكرت لهم أن هؤلاء كانوا منافقين زنادقة، وخيارٌ من فيهم الرافضة، جعلوا يتعجبون، ويقولون: نحن نذهب بالفَرَس التي فيها مغلٌ^(١) إلى قبورهم؛ فتشفى عند قبورهم، فقلت لهم: هذا من أعظم الأدلة على كفرهم.

وطلبت طائفةً من سِيَّاس الخيل، فقلت: أنتم بالشام ومصر إذا أصاب الخيل المغل أين تذهبون بها؟ فقالوا: في الشام نذهب بها إلى قبور اليهود والنصارى، وإذا كنا بأرض الشمال نذهب بها إلى القبور التي ببلاد الإسماعيلية - كالعليقة والمنيقة ونحوهما - وأما

(١) الظاهر أنه مرض.

في مصر فنذهب بها إلى دير هناك للنصارى، ونذهب بها إلى قبور هؤلاء الأشراف، وهم يظنون أن العبيديين أشراف لَمَّا أظهروا أنهم من أهل البيت.

فقلت: هل تذهبون إلى قبور صالحى المسلمين، مثل الليث بن سعد، والشافعى، وابن القاسم، ونفيسة، وغير هؤلاء؟ فقالوا: لا؛ فقلت لأولئك: اسمعوا، إنما يذهبون بها إلى قبور الكفار، والمنافقين، وبَيَّنْتُ لهم سبب ذلك، فقلت: لأن هؤلاء يعذبون في قبورهم، والبهائم تسمع أصواتهم - كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح^(١) -، فإذا سمعت ذلك فزعت؛ فبسبب الرعب الذي يحصل لها تنحل بطونها فتروث، فإن الفرع يقتضى الإسهال، فتعجبوا من ذلك؛ وهذا المعنى كثيراً ما كنت أذكره للناس، ولم أعلم أن أحداً قاله، ثم وجدته قد ذكره بعض العلماء.

والمقصود هنا أن كثيراً من الناس يُعظَّم قبر من يكون في الباطن كافراً أو منافقاً، ويكون هذا عنده والرسول من جنس واحد؛ لاعتقاده أن الميت يقضى حاجته إذا كان رجلاً صالحاً، وكلاً هذين عنده من جنس من يستغيث به.

(١) رواه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦)، من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها. وروى البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠)، من حديث أنس رضي الله عنه: أن ملائكة القبر حين تضرب الميت، فإنه يصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين - عياداً برحمة الله تعالى -.

وفي «صحيح مسلم» (٢٨٦٧)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان راكباً على بغلة، فحادث به - أي مالت -، فكاد يسقط من فوقها ﷺ، وذلك لأنها سمعت أصوات بعض اليهود المعدبين في قبورهم.

وكم من مَشْهَدٍ يَعِظُّهُ الناس وهو كذب! بل يقال: إنه قبر كافر! كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان، الذي يقال: إنه قبر نوح؛ فإن أهل المعرفة يقولون: إنه قبر بعض العمالقة، وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة، وقبر أبي بن كعب الذي في دمشق، اتفق العلماء على أنه كذب، ومنهم من قال: هما قبران لنصرانيين؛ وكثيرٌ من المشاهد متنازع فيها، وعندها شياطين تُضِلُّ بسببها مَنْ تُضِلُّ.

ومنهم من يرى في المنام شخصًا يظن أنه المقبور، ويكون ذلك شيطانًا تَصَوَّرَ بصورته، أو بغير صورته، كالشياطين التي تكون بالأصنام، وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالأصنام، والموتى والغائبين؛ وهذا كثيرٌ في زماننا وغيره.

مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التي بالبرابي بديار مصر بأخميم وغيرها، يرصدون التمثال مدةً، لا يتطهرون طهر المسلمين، ولا يصلون صلاة المسلمين، ولا يقرؤون حتى يتعلق الشيطان تلك الصورة، فيراها تتحرك فيضع فيها شمعةً أو غيرها، فيرى شيطانًا قد خرج له، فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضي بعض حوائجه.

وقد يُمكنه من فعل الفاحشة حتى يقضي حوائجه، ومثل هذا كثير في شيوخ الترك الكفار، يسمونه «البوشت» - وهو «المخنث» -، إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور أرسلوا له من ينكحه، وينصبون له حركاتٍ عاليةً في ليلة ظلماء، وقربوا له خبزًا أو ميتةً، وغنَّوا غناءً يناسبه؛ بشرط ألا يكون عندهم من يذكر الله، ولا هناك شيءٌ فيه شيءٌ من ذكر الله. ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في الهواء، ويرون الدف يطير في الهواء، ويضرب من مديده إلى الخبز، ويضرب الشيطان بآلات اللهو وهم يسمعون، ويغني لهم الأغاني التي

كانت تغنيها آباؤهم الكفار، ثم قد يغيب، وكذلك الطعام، فيرونه وقد نُقل إلى بيت «البوشت»، وقد لا يغيب، ويقربون له ميتةً يحرقونها بالنار، ويقضي بعض حوائجهم؛ ومثل هذا كثير جدًا للمشركين، فالذي يجري عند المشاهد من جنس ما يجري عند الأصنام.

وقد ثبت بطرقٍ متعددةٍ أن ما يُشركُ به من دون الله - من صنم وقبر وغير ذلك - قد يكون عنده شياطينٌ تُضِلُّ من أشرك به، وأن تلك الشياطين لا يقضون إلا بعض أغراضهم، وإنما يقضونها إذا حصل منهم من الشرك والمعاصي ما يحبه الشيطان؛ فمنهم من يأمر الداعي أن يسجد له، ومنهم من يأمره بالفواحش، وقد يفعلها الشيطان، وقد ينهاه عما أمر الله به من التوحيد والإخلاص، والصلوات الخمس، وقراءة القرآن ونحو ذلك.

والشياطين تُغوي الإنسان بحسب ما تطمع منه، فإن كان ضعيف الإيمان أمرته بالكفر البين، وإلا أمرته بما هو فسقٌ أو معصية؛ وإن كان قليلض العلم، أمرته بما لا يعلم أنه مخالف للكتاب والسنة؛ وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ، الذين لهم نصيب وافر، من الدين والزهد والعبادة، لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله ﷺ طمعت فيهم الشياطين، حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة.

وقد جرى [هذا] لغير واحد من أصحابنا المشائخ، يستغيث بأحدهم بعض أصحابه، فيرى الشيخ قد جاء في اليقظة حتى قضى ذلك المطلوب؛ وإنما هي شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله.

والجن بحسب الإنس، فالكافر للكافر، والفاجر للفاجر، والجاهل للجاهل، وأما أهل العلم والإيمان فأتباع الجن لهم كأتباع الإنس، يتبعونهم فيما أمر الله تعالى به ورسوله.

وقد حدثني بعض الثقات عن هذا الشيخ - يعني ابن البكري الذي جَوَّز في كتابه الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث بالله -؛ أنه كان يقول: إن النبي ﷺ علم مفاتيح الغيب التي قال فيها النبي ﷺ: «خمس لا يعلمها إلا الله»، ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]^(١)، وأظنه ذَكَر عنه أنه قال: «علمها بعد أن أخبر أنه لا يعلمها إلا الله».

وآخر من جنسه - يياشر التدريس وينسب إلى الفتيا - كان يقول: «إن النبي ﷺ يعلم ما يعلمه الله، ويقدر على ما يقدر الله عليه، وأن هذا السر انتقل بعده إلى الحسن، ثم انتقل في ذرية الحسن إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي»، وقالوا: «هذا مقام القطب الغوث، الفرد الجامع».

وكان شيخ آخر معظم عند أتباعه يدعي هذه المنزلة، ويقول: «إنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ»^(٢)، وأنه يزوج عيسى بابنته، وأن نواصي الملوك والأولياء بيده، يولي من يشاء، ويعزل من يشاء، وأن الرب يناجيه دائماً، وأنه الذي يُمدُّ حَمَلَةَ العرش وحيثان البحر».

(١) رواه البخاري (٤٦٢٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) راجع كتاب: «المهدي»، للشيخ محمد بن إسماعيل المقدّم.

وقد عززته تعزيراً بليغاً في يوم مشهود بحضرة من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة، فعرفه الناس، وانكسر بسببه أشباهه من الدجاجة.

ومن هؤلاء: من يقول [في] قول الله سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ [الفتح]: «إن الرسول هو الذي يسبح بكرة وأصيلًا». ومنهم من يقول: «نحن نعبد الله ورسوله!» فيجعلون الرسول معبودًا!

ومنهم من يأتي إلى قبر الميت - الرجل أو المرأة - الذي يُحسِّنُ الظن لنفسه، فيقول: «اغفر لي وارحمني، ولا توقفني على زلة»، ونحو هذا الكلام، إلى أمثال هذه الأمور التي يُتخذ فيها المخلوق إلهاً.

ولما استقر هذا في نفوس عامتهم، تجد أحدهم إذا سئل عن ينهاهم: «ما يقول هذا؟ فيقول: فلان عنده ما ثم إلا الله»، لما استقر في نفوسهم أنهم يجعلون مع الله إلهاً آخر! وهذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر، وآخر يقول - معظمًا لمن يدعو إلى التوحيد -: «قد جعل الآلهة إلهاً واحدًا».

وهؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله، ويعظمون دعاء غير الله من الأموات؛ فإذا أمروا بالتوحيد، ونهوا عن الشرك، استخفوا به، كما أخبر تعالى عن المشركين بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُّوكَ إِلَّا هُزُوءًا﴾ [الفرقان: ٤١] الآية، فاستهزؤوا بالرسول ﷺ لما نهاهم عن الشرك.

وقال تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَينَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ [الصفات].

وقال تعالى: ﴿وَجَبَّوْا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ [ص]. . . (وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ آيات كثيرة).

وما زال المشركون يَسْفَهون الأنبياء، ويصفونهم بالجنون، والضلال والسفاهة، كما قال قوم نوح لنوح وعاد لهُود: ﴿أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فأعظم ما سفهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد.

وهكذا تجد من فيه شبه هؤلاء من بعض الوجوه، إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله، وإخلاص الدين له، وألاً يعبد الإنسان إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه = استهزأ بذلك؛ لما عنده من الشرك؛ وكثير من هؤلاء يخربون المساجد، فتجد المسجد الذي بني للصلوات الخمس معطلاً مخرباً، ليس له كسوة إلا من الناس، كأنه خان من الخانات^(١)، والمشهد الذي بُني على الميت فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام، والنذور تغدو وتروح إليه.

فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وآياته ورسوله، وتعظيمهم للشرك؟ فإنهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذي بُني له المشهد، والاستغاثة به، أنفع لهم من دعاء الله والاستغاثة به في البيت الذي بُني لله ﷻ؛ ففضلوا البيت الذي بُني لدعاء المخلوق، على البيت

الذي بني لله.

وإذا كان لهذا وقفٌ ولهذا وقف؛ كان وقف الشرك أعظم عندهم منه، مضاهاة لمشركي العرب الذين ذكر الله حالهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآية، كما يجعلون لله زرعًا وماشيةً، ولآلهتهم زرعًا وماشيةً، فإذا أصيب نصيب آلهتهم أخذوا من نصيب الله فوضعوه فيه، وقالوا: «الله غني، وآلهتنا فقيرة»، فيفضّلون ما يُجعل لغير الله على ما يجعل لله.

وهكذا هؤلاء؛ الوقوف والنذور التي تبذل عندهم للمشاهد أعظم مما تبذل عندهم للمساجد، ولعمار المساجد، والجهاد في سبيل الله؛ وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه بكى عنده وخضع، ويدعو ويتضرع، ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب = ما لا يحصل له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن؛ فهل هذا إلا من حال المشركين المبتدعين، لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟!

ومثل هذا: أنه إذا سمع أحدهم سماع الآيات، يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله؛ فيخشع عند سماع المشركين المبتدعين، ولا يخشع عند سماع المتقين المخلصين؛ بل إذا سمعوا آيات الله اشتغلوا عنها، وكرهوها، واستهزؤوا بها، وبمن يقرؤها، ما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَعَآلِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسنٍ لاغية^(١)، كأنهم

(١) لاغية: مشغولة باللغو وما لا فائدة منه.

صمّ وعمي، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم، وسكنت حركاتهم، حتى لا يشرب العطشان منهم ماءً.

ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم، فأذن المؤذن؛ قالوا: «نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه». ومنهم من يقول: «كنا في الحضرة، فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا إلى الباب».

وقد سألتني بعضهم عن ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال، فقلت: كذب، كان في حضرة الشيطان، فصار على باب الله، فإن البدع والضلالة فيها من حضور الشيطان ما قد فصل في غير هذا الموضع.

والذين يجعلون دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ، أفضل من دعاء الله أنواع متعددة، منهم من تقدم، ومنهم من يحكي أنواعاً من الحكايات:

- كحكاية أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه، واستغاث بشيخه فأغاثه.

- وحكاية أن بعض المأسورين في بلاد العدو دعا الله؛ فلم يخرجه، فدعا بعض المشائخ الموتى، فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام.

- وحكاية أن بعض الشيوخ قال لمريده: «إذا كانت لك إلى الله حاجة، فتعال إلى قبري»، وآخر قال: «فتوسل إلى الله بي»، وآخر قال: «قبر فلان هو الترياق المجرب».

فهؤلاء وأشباههم يرجّحون هذه الأدعية على أدعية المخلصين لله، مضاهاةً لسائر المشركين، وهؤلاء يتمثل لكثير منهم صورة

شيخه الذي يدعوه، فيظنه إياه، أو ملكًا على صورته، وإنما هو شيطانٌ أغواه. ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلا اسمه، قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه، فيستنصر به أحدهم، فيقول: يا فلان؛ وقد قال الله تعالى للموحدين: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بشيخه وإمامه ويصدق ولا يكذب؛ فيكون شيخه عنده في صدره أعظم من الله. فإذا كان دعاء الموتى - مثل الأنبياء والصالحين - يتضمن هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله، فأى الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله؟ من كان يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم، مع ما يترتب على ذلك من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله ﷺ أو من كان يأمر بدعاء الله وحده لا شريك له، كما أمرت به رُسُلُه، ويوجب طاعة الرسول ﷺ ومتابعته في كل ما جاء به؟

وأيضًا: فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس إيجابًا لرعاية جانب الرسول ﷺ، وتصديقًا له فيما أخبر، وطاعة له فيما أمر، واعتناء بمعرفة ما بُعث به، والتمييز بين ما روي عنه من الصحيح والضعيف، والصدق والكذب، واتباع ذلك دون ما خالفه، عملاً بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف].

وأما أولئك الضلال أشباه المشركين والنصارى، فعمدتهم إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة، أو منقولات عنمن لا يُحتج بقوله، إما أن يكون كُذب عليه، وإما أن يكون غلطًا منه؛ إذ هي نقلٌ غير

مصدق عن قائل غير معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول ﷺ حرّفوا الكلم عن مواضعه، وتمسكوا بمتشابهه، وتركوا مُحكمه - كما يفعل النصارى -، وكما فعل هذا الضال؛ أخذ لفظ «الاستغاثة»، وهي تنقسم إلى الاستغاثة بالحي وبالميت، والاستغاثة بالحي تكون فيما يقدر عليه وما لا يقدر عليه، فجعل حكم ذلك كله واحداً، ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغاثة، ولم يكفه ذلك حتى جعل الطالب منه إنما طلب من الله، لا منه، فالمستغيث به مستغيثاً بالله، ثم جعل الاستغاثة بالله بكل ميت من نبيٍّ وصالحٍ جائزة.

واحتج على هذه الدعوى العامة الكلية - التي أدخل فيها من الشرك والضلال ما لا يعلمه إلا ذو الجلال - بقضية خاصة جزئية، كسؤال الناس للنبي ﷺ في الدنيا والآخرة أن يدعو الله، وتوجههم إلى الله بدعائه وشفاعته؛ ومعلوم أن هذا الذي جاءت به السنة حق لا ريب فيه، لكن لا يلزم من ذلك ثبوت جميع تلك الدعاوى العامة وإبطال نقيضها؛ إذ الدعوى الكلية لا تثبت بمثالٍ جزئي، لا سيما عند الاختلاف والتباين.

وهذا كمن يريد أن يثبت جميع الملاهي لكل أحد، والتقرب بها إلى الله بكون جاريتين غنتا عند عائشة رضي الله عنها في بيت النبي ﷺ يوم عيد، مع كون وجهه كان مصروفاً إلى الحائط لا إليهما، ويحتج على استماع كل قول بقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر]، ولا يدري أن «القول» هنا هو القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وإلا فمسلم لا يُسوّغُ استماع كل قول.

وقد نهى الله ﷻ عن الجلوس مع الخائضين في آياته، وخوضهم نوع من القول، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨] الآية، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] الآية.

وهذا الضال يجوز عنده أن يستغاث بالرسول في كل ما يستغاث بالله، على معنى أنه وسيلة من وسائل الله في طلب الغوث؛ وهذا عنده ثابت للصالحين، وهو ثابت عند هذا الضال بعد موته ثبوته في حياته، لأنه عند الله في مزيد دائم لا ينقص جاهه. فدخل عليه الخطأ من وجوه:

منها: أنه جعل المتوسل به بعد موته في الدعاء مستغاثاً به؛ وهذا لا يُعرف في لغة أحد من الأمم - لا حقيقة ولا مجازاً -، مع دعواه الإجماع على ذلك؛ فإن المستغاث هو المسؤول المطلوب منه، لا المسؤول به.

الثاني: ظنه أن توسل الصحابة به في حياته كان توسلاً بذاته لا بدعائه وشفاعته، فيكون التوسل به بعد موته كذلك؛ وهذا غلط، لكنه يوافقه طائفة من الناس بخلاف الأول، فإني ما علمت أحداً وافقه عليه.

الثالث: أنه أدرج سؤاله - أيضاً - في الاستغاثة به، وهذا صحيح جائز في حياته؛ وهو قد سَوَّى في ذلك بين محياه ومماته، وهذا أصاب في لفظ «الاستغاثة»، لكن أخطأ في التسوية بين المحيا والممات.

وهذا ما علمته يُنقل عن أحد من العلماء، لكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل الشيخ يحيى الصرصري، ففي شعره قطعة منه؛ والشيخ محمد بن النعمان له كتاب «المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام»، وهذا الرجل قد نقل منه فيما يغلب على ظني.

وهؤلاء لهم صلاح ودين، لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام، وليس لهم دليل شرعي، ولا نقلٌ عن عالم مرضي، بل عادة جَرَوْا عليها؛ كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه.

وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم فضل وعلم وزهد، إذا نزل به أمرٌ خطأ إلى جهة الشيخ عبدالقادر^(١) خطواتٍ معدودةً، واستغاث به، وهذا يفعلُه كثير من الناس؛ ولهذا لما نُبِّه من نُبِّه من فضلائهم تنبهوا، وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام؛ بل هو مشابهة لعباد الأصنام.

لكن هؤلاء كلهم ليس منهم من يَعُدُّ نَفْيَ هذا والنهي عنه كفرًا، إلا مثل هذا الأحق الضال الذي حاق به وبيل النكال؛ فإنه من غلاة أهل البدع الذين يتدعون القول ويكفرون من خالفهم فيه كالخوارج والروافض والجهمية؛ فإن هذا القول الذي قالوه لم يوافقهم عليه أحد من علماء المسلمين الأولين ولا الآخرين.

وقد طاف بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم، فما وافقوه، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبته، فما خالفوه؛

وقد كان بعض الناس يوافقه على جواز التوسل بالنبي الميت، لكنهم لم يوافقوه على تسميته «استغاثة»، ولا على كفر من أنكر الاستغاثة به، ولا جعل هذا من السب؛ بل عامتهم وافقوا على منع الاستغاثة به، بمعنى أنه يُطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله.

وما علمت عالمًا نازع في أن الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من المخلوقين بهذا المعنى لا تجوز، مع أن قومًا كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قيامًا عظيمًا، واستغاثوا بمن كان له غرض من ذوي السلطان، وجمعوا الناس وعقدوا مجلسًا عظيمًا، ضلَّ فيه سعيهم، وظهر فيه جهلهم، وخاب فيه قصدهم، وظهر فيه الحق لمن يعاونهم من الأعيان، وتمنوا أن ما فعلوه ما كان لأنه كان سببًا لظهور الحق مع الذي عادوه وقاموا عليه، وسببًا لانقلاب الخلق إليه، وكانوا كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه^(١)، مع فرط تعصبهم، وكثرة جمعهم، وقوة سلطانهم، ومكائد شيطانهم.

وهذه الطريقة - التي سلكها هذا وأمثاله - هي طريقة أهل البدع الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعةً مخالفةً للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم كالخوارج المارقين، وكذلك الروافض الذين كفروا من خالفهم من الصحابة وجمهور المؤمنين، حتى كفروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن والاهم وأئمة السنة والجماعة.

وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون

(١) مارن الأنف: طرفه.

الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون فيمن خرج عنها ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥] الآية، وقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] الآية.

فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم - وإن كان ذلك المخالف يكفرهم -؛ لأن الكفر حكم شرعي؛ فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزني بأهلك؛ ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله، وكذلك التكفير حق لله، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله.

وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها؛ فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر؛ ولهذا لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين - كقدامة بن مظعون وأصحابه - الخمر، وظنوا أنها تباح لمن عمل صالحاً على ما فهموه من آية المائدة^(١) = اتفق علماء الصحابة - كعمر وعلي وغيرهما - على أنهم يستتابون، فإن أصرروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا به جلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداءً لأجل الشبهة التي عرضت لهم، حتى يتبين لهم الحق، فإذا أصرروا على الجحود كفروا.

وقد ثبت في «الصحيحين» حديث الذي قال لأهله: «إذا أنا متُ

(١) وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

فاسحقوني، ثم ذرُونِي فِي الْيَمِّ؛ فَوَاللَّهِ لئن قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيَّ لِيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ؛ فَرَدَّ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَرَدَّ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ، وَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشِيتُكَ - يَا رَبِّ -. فَغَفَرَ لَهُ»^(١).

فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لن يقدر الله على إعادته، وأنه لا يعيده، أو جَوَّز ذلك؛ وكلاهما كفر، لكن كان جاهلاً لم يتبين له الحق بياناً لا يعذر بمخالفته، فغفر الله له.

ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن يكون الله تعالى فوق العرش: أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأنني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم.

وهو قد احتج بحديث الأعمى الذي قال: «اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمدٍ نبي الرحمة»^(٢).

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦)، من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٣٨/٤)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٧٩)، والترمذي (٣٥٧٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤١٩)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٦٥٩)، وابن ماجه (١٣٨٥)، وابن خزيمة (١٢١٩)، والحاكم (٣١٣/١)، والطبراني في «الكبير» (٣٠/٩)، وفي «الصغير» (٥٠٨)، وفي «الدعاء» (١٠٥٠)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٢٣٥)، و«الدلائل» (١٦٦/٦)، وابن قانع في «المعجم» (٢٥٧/٢)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٤٩٢٨)، من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب»، وصحَّحه الحاكم، وأقرَّه الذهبي، وصحَّحه الشيخ الألباني =

وهذا الحديث لا حجة فيه لوجهين:

أحدهما: أنه ليس هو استغاثة؛ بل توجه به.

والثاني: أنه إنما توجه بدعائه وشفاعته؛ فإنه طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقال في آخره: «اللهم فشِّعْهُ فِيَّ»، فعلم أنه شفع له، فتوسل بشفاعته لا بذاته، كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء، وكما توسلوا بدعاء العباس بعد مماته ﷺ^(١).

وكل ذلك في أول الحديث أنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، فدل الحديث على أن النبي ﷺ شفع له ودعا له، وإن النبي ﷺ أمره هو أن يدعو الله تعالى، وأن يسأله قبول شفاعته، وقوله: «يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي»، خطاب لما ظهر في قلبه، كما نقول في صلاتنا: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، وكما يستحضر الإنسان من يحبه ويبغضه في قلبه، ويخاطبه، وهذا كثير.

وما ذكره من توسل آدم وحكاية المنصور^(٢)، فجوابها من

= في «السنن»، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٤٧٨/٢٨).

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) وهي قصة أبي جعفر المنصور مع الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ، وهي قصة باطلة؛ رواها القاضي عياض بسند فيه كذاب وضعفاء، وفيها: أن أبا جعفر المنصور رفع صوته في المسجد النبوي، فنهاه مالك، وتلا عليه بعض آيات القرآن، فقال أبو جعفر: يا أبا عبد الله، أَسْتَقْبِلُ الْقَبْلَةَ وَأَدْعُو؟ أم أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (يعني قبره ﷺ)؟ فقال مالك: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله... إلخ القصة.

وجهمين:

أحدهما: أن هذا لا أصل له، ولا تقوم به حجة، ولا إسناد لذلك.
والثاني: أنه لو دل على التوصل بذاته، لا يدل على الاستغاثة به. وأما اشتكاء البعير إليه^(١)، فهذا كاشتكاء آدمي إليه، وما زال الناس يستغيثون به في حياته، كما يستغيثون به يوم القيامة؛ وقد قلنا: إنه إذا طلب ما يليق بمنصبه فهذا لا نزاع فيه؛ والطلب منه في حياته، والاستغاثة به في حياته فيما يقدر عليه = لم ينزع فيه أحد. فما ذكره لا يدل على مورد النزاع.

ولكن هذا أخذ لفظ الاستغاثة ومعناها العام، فجعل يشبه به، وهذا إنما يليق بمن قال: «لا يستغيث به أحد حيًّا ولا ميتًا في شيء من الأشياء»، ومعلوم أن العاقل لا يقول هذا في آحاد العامة، فضلًا عن الصالحين، فضلًا عن الأنبياء والمرسلين، فضلًا عن سيد

= انظر: «الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى» (٤١/٢)، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (١٠١/٢)، كلاهما للقاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ.

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٠٤/١)، وأبو داود (٢٥٤٩)، والحاكم (١٠٩/٢)، وأبو يعلى (٦٧٨٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢١/٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٣٧)، وأبو عوانة (٤٩٧)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٥٨٤٢)، والطبراني في «الكبير» (٧٨/١٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٣/٨)، وفي «المعرفة» (٣١٠/١١)، وفي «دلائل النبوة» (٢٦/٦)، من حديث عبدالله بن جعفر رَحِمَهُ اللهُ. وصحَّحه الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «المسند» (٢٧٤/٣)، وكذا عند أبي داود (٢٠١/٤).

وأصل الحديث في «صحيح مسلم» (٣٤٢)، دون قصة البعير.

الأولين والآخرين؛ فإنه ما من أحد إلا يمكن أن يُستغاث به في بعض الأشياء، فكيف أفضل الخلق، وأكرمهم على الله؟!

ولكن النفي عاد إلى شيئين:

- إلى الاستغاثه به بعد الموت.

- وأن يُطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

وأما قول هؤلاء الجاهل فهو يستلزم الردة عن الدين، والكفر برب العالمين؛ ولا ريب أن أصل قول هؤلاء هو من باب الشرك بالله، الذي هو الكفر الذي لا يغفره الله تعالى.

فإن الله سبحانه قال في كتابه: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُ ۚ الْهَتَكُ وَلَا نَذَرُ ۚ وَدَا وَلَا سُوعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح] الآية.

وقد قال غير واحد من السلف: «هذه أسماء قوم صالحين، كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم».

وقد ذكروا ذلك بعباراتٍ متقاربةٍ في كتب الحديث والتفسير وقصص الأنبياء، كما ذكره البخاري في «صحيحه»^(١) وجماعة من أهل الحديث.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف] الآية؛ فيقول أهل الضلال: «هذا يقوله هو نفسه، وأما نحن فليس لنا أن نقول: هذا بشر، بل نقول كما قال فلان وفلان، ومن زعم أن محمداً بشرٌ كُلُّه فقد كفر».

(١) صحيح: وقد تقدم من كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا يقوله قوم منهم، وهو تشبُّهٌ بقول النصارى في المسيح، يقولون: ليس هو بشرًا كله؛ بل المسيح عندهم اسم يتناول اللاهوت والناسوت، الإلهية والبشرية جميعًا؛ وهذا يقوله طائفة من غلاة الصوفية والشيعة، يقولون باتحاد اللاهوت والناسوت، في الأنبياء والصالحين، كما تقول النصارى في المسيح.

ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأُمَّته أن يدعوا أحدًا من الأموات، لا الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا غيرها، كما أنه لم يشرع لأُمَّته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك؛ بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثيرٍ من المتأخرين = لم يمكن تكفيرهم بذلك، حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه.

ولهذا ما بيّنت هذه المسألة قط لمن يعرف دين الإسلام إلا تفتن لها، وقال: هذا أصل دين الإسلام! وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: «هذا أعظم ما بيّنته لنا»، لعلمه أن هذا أصل الدين.

وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الإسلام، ويدعون الأموات ويسألونهم، ويستجيرون بهم ويفزعون إليهم، وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم؛ لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم، فيدعونه دعاء المضطر، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه، والدعاء به عند قبره، بخلاف عبادتهم لله ودعائهم إياه؛ فإنهم يفعلون ذلك في كثير من الأوقات، على وجه التكلف والعادة،

حتى إن العدو الخارج من الإسلام لما قدم دمشق، خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور، يرجون عندها كشف ضرهم.

وقال بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر
عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكمو من الضرر

فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم، لو كانوا معكم في القتال لانهمزوا - كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد -؛ فإنه قُضي أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، والحكمة كانت لله في ذلك؛ ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة، لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله.

فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله، والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه؛ لا يستغيثون بملكٍ مقرب ولا نبيٍّ مرسل، فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة بربهم، نصرهم على عدوهم نصرًا لم يتقدم نظيره، ولم يهزم مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلاً؛ لما صح من توحيد الله وطاعة رسوله ﷺ ما لم يكن قبل ذلك؛ فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، كما قال تعالى في يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وروي أن النبي ﷺ يوم بدر كان يقول: «يا حيُّ يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث»، وفي لفظ: «أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفه عين، ولا إلى أحدٍ من خلقك»^(١).

(١) حسن: رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٣٣٠)، والحاكم (٥٤٥/١)، =

وهؤلاء يدعون الميت والغائب، فيقول أحدهم: «بك أستغيث، بك أستجير، أغثنا، أجرنا»، ويقول: «أنت تعلم ذنوبي»، ومنهم من يقول للميت: «اغفر لي، وارحمني، وتب علي»، ونحو ذلك؛ ومن لم يقل [هذا] من عقلائهم فإنه يقول: «أشكو إليك ذنوبي، وأشكو إليك عدوي، وأشكو إليك جور الولاة، وظهور البدع، وجذب الزمان»، أو غير ذلك؛ فيشكو إليه ما حصل من ضرر في الدين والدنيا، ومقصوده بالشكوى أن يُشكِيَهُ^(١)، فيزيل ذلك الضرر عنه؛ وقد يقول مع ذلك: «أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر، وأنت تعلم ما فعلته من الذنوب»، فيجعل الميت أو الحي الغائب عالمًا بذنوب العباد وجزئياتهم، التي يمتنع أن يعلمها بشرٌ حي أو ميت^(٢).

ثم منهم من يطلق سؤاله والشكوى ظانًا أنه يقضي حاجته، كما يخاطب بذلك ربه، بناءً على أنه يمكنه ذلك بطريق من الطرق، وأنه وسيلة وسبب، وإن كان السائل لا يعلم وجه ذلك.

= والبيهقي في «الشَّعْب» (٧٤٥)، و«الأسماء والصفات» (٢١٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٠٤٦)، وفي «الأوسط» (٣٥٦٥)، وفي «الصغير» (٤٤٤)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٨٧٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٨)، من حديث أنس رضي الله عنه. وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكذا الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (٢٦٩/١)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٢٠).

(١) يُشكِيهِ: يزيل شكواه.

(٢) قال الشيخ رشيد رضا رحمته الله في طبعته ص (٣٦٤): «لخواص مشركي زماننا عبارة مألوفة في ذلك؛ هي قولهم عند القبر: العارف لا يعرف! سمعها بعض أصحابنا من «قاضي شرعي» متوجه إلى القبر الحسيني المزور بمصر بغاية الخشوع» اهـ.

وعقلاؤهم يقولون: «مقصودنا أن يسأل الله لنا، ويشفع لنا»،
ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته، أنه يسأل الله لهم؛ فإنه يسأل
ويشفع، كما يسأل ويشفع لما سأله الصحابة رضي الله عنهم الاستسقاء وغير
ذلك، وكما يشفع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة؛ ولا يعلمون أن
سؤال الميت أو الغائب غير مشروع البتة، ولم يفعل أحد من
الصحابة، بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه، إلى سؤال غيره
وطلب الدعاء منه، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين
وغيرهم لا يطلب منه بعد موته من الأمور، ما كان يطلب منه في
حياته، والله أعلم. انتهى ملخصاً.

فتأمل - رحمك الله - كلامه ساعةً بعد ساعة، ويوماً بعد يوم،
وشهراً بعد شهر، وسنةً بعد سنة؛ لعلك أن تعرف دين الإسلام، الذي
بعث الله به جميع رسله، وأنزل به جميع كتبه:

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ
إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٥].

ثم تأمل ما ذكره الشيخ من أنواع الشرك الأكبر؛ الذي قد وقع
في زمانه لمن يدعي العلم والمعرفة، وينتصب للفتيا والقضاء،
لكن لما نبههم الشيخ على ذلك، وبيّن لهم أن هذا هو الشرك الذي
حرمه الله ورسوله، تنبهوا وعرفوا أن ما هم عليه شرك وضلال،

وانقادوا للحق، وأن بعضهم لما بُيِّن له ذلك، قال: «هذا أحسن ما بينته لنا» = يتبين لك غربة الإسلام؛ وهذا مصداقُ ما تواترت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» الحديث^(١).

وتأمل - أيضًا - ما وقع من هذا الرجل، وتجويزه الاستغاثة بغير الله، وأنه يجوز الاستغاثة بالنبي ﷺ في كل ما يُستغاث به الله، واحتجاجه على ذلك بمتشابه القرآن والسنة، وتكفير من قال: إنه لا يُستغاث إلا بالله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، من كشف الشدائد وإنزال الفوائد.

ثم تأمل رد الشيخ رحمه الله عليه بالآيات المحكمات، والبراهين القاطعات، من الأحاديث الصريحة = يتبين لك الأمر - إن هداك الله -، وتنزاح عنك الشبهة التي أدخلت كثيرًا من الناس النار، وهي الاغترار بما عليه الآباء والأجداد، وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد.

ومن أعجب ما ذكره الشيخ رحمه الله عن هؤلاء المشركين في زمانه: أن أحدهم يسجد للقبر ويستدبر القبلة، ويقول أحدهم: «القبلة قبلة العامة، وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة»؛ قال رحمه الله في هذا: «يقوله من هو أكثر الناس عبادةً وزهدًا، وهو شيخ متبوع».

قلت: كما يشاهدُ اليوم في زماننا، يفعل في مشهد عليٍّ وغيره من المشاهد والمساجد المبنية على القبور^(٢)، ويجدون عند عبادة

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله في طبعته ص(٣٦٦): «استقبال القبور عند =

القبور من الرقة والخشوع والبكاء أعظم مما يجدون في بيوت الله.

بل إذا قام أحدهم في الصلاة بين يدي الله نَقَرَهَا نَقَرَ الغراب، ومنهم من يحلف بالله اليمين الغموس كاذبًا، فإذا قيل له: «احلف بتربة فلان أو بفلان»، أبى أن يحلف كاذبًا، فيكون فلانٌ أو تربته والشيخ فلان أعظم في صدره من الله؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظمها من مصيبة! تالله إنها فتنة عمّت فأعمت، وربت على القلوب والأسماع فأصمت.

وتأمل - أيضًا - رحمك الله قول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا ما علمته يُنقل عن أحد من العلماء، لكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل الشيخ يحيى الصرصري، والشيخ محمد بن النعمان، وأن هؤلاء وأشباههم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام، الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام».

فإن الشيخ يحيى الصرصري الحنبلي في شعره قطعة من دعوة الرسل، والاستغاثة بهم، وكذلك غيره من المصنفين في الزيارة؛ فإياك أن تغتر بذلك، وتقلدهم في ذلك؛ فإنه ليس لهم في ذلك

= الدعاء لا يزال كثيرًا في جميع البلاد التي بُنيت فيها القبور، وُبُنيت عليها المساجد والقباب، وأما استقبالها في الصلاة - مع عدم الموافقة لاستقبال القبلة - فقليل، أخبرني الشريف محمد شرف عدنان باشا أنه رأى رجلًا يصلي في مسجد الطائف مستقبلًا قبر ابن عباس؛ فظن أنه أعمى، فأمر رجلًا بتحويله إلى القبلة، فحاول الرجل ذلك، فامتنع عليه المصلي، وإذا هو بصيرٌ متعمدٌ لاستقبال القبر، فقال له الشريف: أخرجه من المسجد؛ فإنه مشرك» اهـ.

مستندٌ صحيحٌ - لا من كتاب ولا سنة، ولا نقلٍ عن عالمٍ مرضي -؛ بل قال الشيخ رحمه الله: «عادةٌ جرّوا عليها، فلا يقتدى بهم في ذلك؛ إنما يقتدى في الدين بكلام رب العالمين وكلام رسوله ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم أجمعين -».

فهل تجد أحداً من الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ أتى رسول الله ﷺ بعد موته واستغاث به، أو استشفع به إلى ربه، أو قال: «يا رسول الله، اشفع لي إلى ربك، أو اقض ديني، أو فرّج كربتي، أو انصرني، أو اغفر لي ذنبي»؟ بل جردوا التوحيد لله تعالى، وحمّوا جانبه، ولهذا كان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة إذا سلّم على النبي ﷺ يقف، فيقول: «السلام عليك - يا رسول الله -». ثم يقف فيقول: «السلام عليك - يا أبا بكر -، ثم يقف فيقول: السلام عليك - يا أبت -».

وإذا أراد أحدهم الدعاء جعل ظهره إلى جدار القبر، واستقبل القبلة إذا أراد أن يدعو، حتى لا يدعو عند القبر.

وذكر الإمام أحمد وغيره: أنه يستقبل القبلة، ويجعل القبر عن يساره لئلا يستدبره، وذلك بعد تحيته، والصلاة والسلام عليه ﷺ، ثم يدعو لنفسه؛ وذكروا أنه إذا حيّاه وصلى عليه يستقبل وجهه - بأبي هو وأمي ﷺ -؛ فإذا أراد الدعاء جعل الحُجرة عن يساره، واستقبل القبلة ودعا الله.

وذكر أصحاب مالك أنه يدنو من القبر، فيسلم على النبي ﷺ، ثم يدعو مستقبل القبلة، يوليه ظهره، وقيل: لا يوليه ظهره؛ وإنما اختلفوا لما فيه من استدباره، فأما إذا جعل الحُجرة عن يساره، فقد زال المحذور بلا خلاف.

□ وقال مالك في «المبسوط»: «لا أرى أن يقف^(١) عند قبر النبي ﷺ، ولكن يصلي ويسلم».

فهذا هو هدي السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان والأئمة الأربعة.

□ وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمته الله: «لن يُصْلِحَ آخِرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».

ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عُوْضُوا عن ذلك بما أحدثوا من البدع والشرك وغيره، ولهذا كرهت الأئمة استلام القبر وتقبيله، وبنوا بناءً منعوا الناس أن يَصِلُوا إليه، واللَّه أعلم.

وتأمل - أيضًا - قول الشيخ رحمته الله في آخر الكلام: «ولا ريب أن أصل قول هؤلاء هو الشرك الأكبر، والكفر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وأن ذلك يستلزم الردة عن الدين، والكفر برب العالمين» = كيف صرح بكفر مَنْ فعل هذا وردَّته عن الدين، إذا قامت عليه الحُجَّة من الكتاب والسنة، ثم أصر على فعل ذلك؛ وهذا لا يَنَازَع فيه من عرف دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ؛ واللَّه أعلم.

فصل: [في تعريف المرتد وحكمه]:

□ قال في «الإقناع» و«شرحه»: «باب: حكم المرتد، وهو الذي يكفر بعد إسلامه نطقًا، أو شكًا، أو فعلًا، ولو مميِّزًا، فتصح ردة كإسلامه، لا مكرها؛ لقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ولو هازلًا، لعموم قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾

(١) يعني بالدعاء. واللَّه تعالى أعلم.

[المائدة: ٥٤] الآية، وأجمعوا على وجوب قتل المرتد.

فمن أشرك بالله تعالى كفر بعد إسلامه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، أو جحد ربوبيته أو وحدانيته كفر؛ لأن جاحد ذلك مشرك بالله تعالى، أو جحد صفة من صفاته، أو اتخذ له صاحبة أو ولدًا = كفر، أو ادعى النبوة، أو صدق من ادعاها بعد النبي ﷺ كفر؛ لأنه مكذب لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، أو جحد نبياً، أو كتاباً من كتب الله، أو شيئاً منه، أو جحد الملائكة، أو واحداً ممن ثبت أنه ملك = كفر؛ لتكذيبه القرآن، أو جحد البعث كفر، أو سب الله ورسوله كفر، أو استهزاء بالله أو كتبه أو رسله = كفر؛ لقوله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

قال الشيخ: أو كان مبغضاً لرسوله، أو لما جاء به اتفاقاً، أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم، ويدعوهم، ويسألهم = كفر إجماعاً؛ لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام، قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين الذي شرعه الله = كفر، للآية السابقة، أو وجد منه امتهان للقرآن كفر.

وإن أتى بقول يخرج به عن الإسلام، مثل أن يقول: «هو يهودي، أو نصراني»، فهو كافر، أو سخر بوعده الله أو وعيده فهو كافر، لأنه كالاستهزاء بالله، أو لم يكفر من دان بغير الإسلام، أو شك في كفرهم».

□ إلى أن قال: «ومن قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو قال: من الأولياء من يسعه الخروج عن

الشرعية، كما وسع الخَصْرَ الخروج من شريعة موسى = فهو كافر. ومن سب الصحابة رضي الله عنهم أو واحدًا منهم، واقترب بسبه دعوى أن عليًّا إله، وأن جبرائيل غلط^(١) = فلا شك في كفر هذا؛ بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره. وأما من لعن أو قَبَّح مطلقًا، فهذا محلُّ الخلاف، توقف أحمد في تكفيره وقتله.

ويحرّم تعلُّم السحر، وتعليمه، وفعله، وهو عَقْدُ ورقى، وكلامٌ يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور، أو عقله أو قلبه من غير مباشرة. وله حقيقة، فمنه ما يقتل، ومنه ما يُمرض، ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجته، ومنه ما يُبَغِّض أحدهما إلى الآخر، ويحبّب بين اثنين، ويكفر بتعلّمه وفعله، سواء اعتقد تحريمه أو إباحته، كالذي يركب الجماد من مكة وغيرها، فيطير به في الهواء.

وأما الذي يعزّم على الجن، ويزعم أنه يجمعها فتطيعه، فلا يكفر، ويعزّر تعزيرًا بليغًا دون القتل، كالمنجّم والضارب بحصى أو شعر، والنظر في ألواح الأكتاف إذا لم يعتقد إباحته، وأنه لا يعلم به، عَزُر ويُكف عنه، وإلا كفر.

□ وقال في شرحه عند قوله: «أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر»، قال: «وقد عمت به البلوى في زمنه في مصر والشام».

(١) أي: غلط في نزوله بالوحي! حيث زعم الروافض - قبحهم الله - أن جبريل عليه السلام كان ينبغي أن ينزل بالوحي على عليّ عليه السلام، لكنه أخطأ ونزل به على محمد صلى الله عليه وسلم. نعوذ بالله من الخزي والفضيحة.

والله أعلم، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم تسليماً
 كثيراً إلى يوم الدين صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى أن يرث
 الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، آمين.



الفهرس

فهرس محتويات الجزء الأول

٧	مقدمة فضيلة الشيخ خالد بن مساعد الرويتع
١٠	مقدمة فضيلة الشيخ فهد بن يحيى العمّاري
١٣	مقدمة خادم الكتاب
١٨	مجموعة التوحيد:
٢٠	تنبيه مهمّ على النسخ المطبوعة:
٢١	عملي في الكتاب:

﴿ ١ ﴾ كتاب التوحيد - ٢٧ ﴿

٢٩	[١] كتاب التوحيد
٣٢	[٢] باب: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب
٣٦	[٣] باب: مَنْ حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب
٣٩	[٤] باب: الخوف من الشرك
٤١	[٥] باب: الدعاء إلى شهادة ألا إله إلا الله
٤٥	[٦] باب: تفسير التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله
٤٧	[٧] باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه
٥٠	[٨] باب: ما جاء في الرقي والتمايم
٥٤	[٩] باب: من تبرك بشجرٍ أو حجرٍ ونحوهما
٥٧	[١٠] باب: ما جاء في الذبح لغير الله
٦٠	[١١] باب: لا يُذبح لله بمكانٍ يُذبح فيه لغير الله
٦٢	[١٢] باب: من الشرك النذر لغير الله

- [١٣] باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله ٦٣
- [١٤] باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره ... ٦٥
- [١٥] باب: قول الله تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١١١) ٦٨
- [١٦] باب: قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (١١٢) ٧٢
- [١٧] باب: الشفاعة ٧٥
- [١٨] باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١١٣) ٧٧
- [١٩] باب: ما جاء في أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ٧٩
- [٢٠] باب: ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟! ٨٣
- [٢١] باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعبد من دون الله ٨٧
- [٢٢] باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك ٩٠
- [٢٣] باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ٩٢
- [٢٤] باب: ما جاء في السحر ٩٦
- [٢٥] باب: بيان شيء من أنواع السحر ٩٨
- [٢٦] باب: ما جاء في الكهان ونحوهم ١٠١
- [٢٧] باب: ما جاء في التثيرة ١٠٤
- [٢٨] باب: ما جاء في التطيّر ١٠٦

- ١٠٩ باب: ما جاء في التنجيم [٢٩]
١١٠ باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء [٣٠]
١١١ باب: قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [٣١]
١١٢ باب: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ [٣٢]
١١٣ باب: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٣٣]
١١٤ باب: قوله تعالى: ﴿فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [٣٤]
١١٥ باب: من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله [٣٥]
١١٦ باب: ما جاء في الرياء [٣٦]
١١٧ باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا [٣٧]
١١٨ باب: من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله؛ فقد اتخذهم أربابًا من دون الله [٣٨]
١١٩ باب: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أُمرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [٣٩]
١٢٠ باب: قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [٤٠]
١٢١ باب: قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [٤١]
١٢٢ باب: من جحد شيئًا من الأسماء والصفات [٤٢]

- [٤٢] باب: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) ١٣٣
- [٤٣] باب: ما جاء فيمن لم يَقْنَعْ بالحلف بالله ١٣٥
- [٤٤] باب: قول: «ما شاء الله وشئت» ١٣٦
- [٤٥] باب: من سَبَّ الدهر فقد آذَى الله ١٣٩
- [٤٦] باب: التسمي بـ«قاضي القضاة» ونحوه ١٤٠
- [٤٧] باب: احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك ١٤١
- [٤٨] باب: من هزل بشيء فيه ذِكْرُ الله أو القرآن أو الرسول. ١٤٢
- [٤٩] باب: باب قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ فَأَنِمْ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٠) ١٤٤
- [٥٠] باب: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١١٠) ١٤٧
- [٥١] باب: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ١٤٩
- [٥٢] باب: لا يقال: «السلام على الله» ١٥٠
- [٥٣] باب: قول: «اللهم اغفر لي إن شئت» ١٥١
- [٥٤] باب: لا يقول: «عَبْدِي، وَأَمْتِي» ١٥٢
- [٥٥] باب: لا يُرَدُّ من سأل بالله ١٥٣
- [٥٦] باب: لا يُسأل بوجه الله إِلَّا الجنة ١٥٤
- [٥٧] باب: ما جاء في «اللو» ١٥٥
- [٥٨] باب: النهي عن سب الريح ١٥٦
- [٥٩] باب: قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ ١٥٧

- [٦٠] باب: ما جاء في منكري القَدَر ١٥٩
- [٦١] باب: ما جاء في المصوّرين ١٦٢
- [٦٢] باب: ما جاء في كثرة الحَلِف ١٦٤
- [٦٣] باب: ما جاء في ذمة الله وذمة نبيّه ﷺ ١٦٧
- [٦٤] باب: ما جاء في الإقسام على الله ١٦٩
- [٦٥] باب: لا يُستشفع بالله على خلقه ١٧١
- [٦٦] باب: ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسدّه طرق الشرك ١٧٣
- [٦٧] باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ١٧٥

﴿ ٢ ﴾ كشف الشبهات - ١٨١ ﴿

- ١٨٣ حقيقة التوحيد، وإقرار الكفار بتوحيد الربوبية:
- ١٩٣ الشفاعة الشرعية وشروطها:
- ١٩٦ شركُ الأولين أخفُّ من شرك المعاصرين:
- ١٩٨ من أعظم شبهات المشركين:
- ٢٠٢ شبهةٌ أخرى للمشركين:
- ٢٠٢ شبهةٌ أخرى للمشركين:
- ٢٠٥ شبهةٌ أخرى للمشركين:
- ٢٠٦ شبهةٌ أخرى للمشركين:
- ٢٠٧ خاتمة: بذكر مسألة عظيمة:

﴿ ٣ ﴾ مسائل الجاهلية - ٢١١ ﴿

﴿ ٤ ﴾ شرح ستة مواضع من السيرة - ٢٣٧

- الموضع الأول: قصة نزول الوحي: ٢٣٩
- الموضع الثاني: أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضده - وهو التوحيد - لم يكرهوا ذلك واستحسنوه: ٢٤٠
- الموضع الثالث: قصة قراءته سورة «النجم» بحضرتهم: ٢٤٢
- الموضع الرابع: قصة أبي طالب: ٢٤٢
- الموضع الخامس: قصة الهجرة: ٢٤٣
- الموضع السادس: قصة الرِّدَّة بعد موت النبي ﷺ: ٢٤٥

﴿ ٥ ﴾ تفسير كلمة التوحيد - ٢٤٩

﴿ ٦ ﴾ القواعد الأربعة - ٢٥٧

- القاعدة الأولى: ٢٥٩
- القاعدة الثانية: ٢٦٠
- القاعدة الثالثة: ٢٦١
- القاعدة الرابعة: ٢٦٢

﴿ ٧ ﴾ تلقين أصول العقيدة للعوام - ٢٦٥

﴿ ٨ ﴾ ثلاث مسائل - ٢٧٣

- المسألة الأولى: ٢٧٥
- المسألة الثانية: ٢٧٥
- المسألة الثالثة: ٢٧٥

﴿ ٩ ﴾ رسالة في معنى «الطاغوت» - ٢٧٧

- فأما صفة الكفر بالطاغوت: ٢٧٩

- وأما معنى الإيمان بالله: ٢٧٩
- حقيقة الطاعات: ٢٧٩
- والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة: ٢٨٠
- الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله: ٢٨٠
- الثاني: الحاكم الجائر المغيّر لأحكام الله: ٢٨٠
- الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله: ٢٨٠
- الرابع: الذي يدّعي علم الغيب من دون الله: ٢٨١
- الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة: ٢٨١
- شرط الإيمان الصحيح: ٢٨١

❦ [١٠] الأصول الثلاثة - ٢٨٣ ❦

- الأصل الأول: في معرفة العبد ربّه: ٢٨٥
- الأصل الثاني: في معرفة دين الإسلام: ٢٨٧
- الأصل الثالث: في معرفة نبينا محمد ﷺ: ٢٨٩

❦ [١١] الجامع لعبادة الله وحده - ٢٩٥ ❦

❦ [١٢] فوائد من سورة الفاتحة - ٣٠١ ❦

❦ [١٣] نواقض الإسلام - ٣٠٧ ❦

❦ [١٤] ستة أصول عظيمة - ٣١٣ ❦

❦ [١٥] فوائد حول قوله ﷺ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ ❦

فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ❦ - ٣١٩

❦ [١٦] فوائد حول قوله ﷺ: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ ❦

إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ❦ - ٣٢٣

[١٧] شرح رسالة أصل الإسلام وقاعدته - ٣٢٩

تكفير المعين: ٣٣٩

[١٨] أنواع التوحيد وأنواع الشرك - ٣٤١

أما التوحيد فهو ثلاثة أنواع: ٣٤٣

النوع الأول: توحيد الربوبية: ٣٤٣

النوع الثاني - وهو توحيد الألوهية -: ٣٤٤

النوع الثالث: فهو توحيد الذات والصفات: ٣٤٥

ما يضاد التوحيد: ٣٤٦

النوع الأول: شرك أكبر: ٣٤٦

النوع الأول: شرك الدعوة: ٣٤٧

النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد: ٣٤٧

النوع الثالث: شرك الطاعة: ٣٤٧

النوع الرابع: شرك المحبة: ٣٤٨

النوع الثاني: الشرك أصغر - وهو الرياء -: ٣٤٨

النوع الثالث: شرك خفي: ٣٤٨

والكفر كفران: ٣٥٠

أحدهما: كفر يُخرج من الملة: وهو خمسة أنواع: ٣٥٠

النوع الأول: كفر التكذيب: ٣٥٠

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق: ٣٥٠

النوع الثالث: كفر الشك - وهو كفر الظن -: ٣٥٠

النوع الرابع: كفر الإعراض: ٣٥١

النوع الخامس: كفر النفاق: ٣٥١

- ثانيهما: وكفرٌ أصغر لا يخرج من الملة: وهو كفر النعمة: ... ٣٥١
 النفاق فنوعان: اعتقادي، وعملي: ... ٣٥١
 فأما الاعتقادي فهو ستة أنواع: ... ٣٥١
 وأما العملي فهو خمسة أنواع: ... ٣٥١

﴿ ١٩ ﴾ التوحيد، وطروء الشرك على المسلمين، ﴿

ومحاربة العلماء له - ٣٥٣

﴿ ٢٠ ﴾ الجواب عن أسئلة من عمان صدرت من جهمي ضال - ٣٦٩ ﴿

- الإيراد الأول: اشتقاق اسم «الله» ﷻ: ... ٣٧١
 الإيراد الثاني: الفرق بين القضاء والقدر: ... ٣٧١
 الإيراد الثالث: استشكله حول استواء الله ﷻ: ... ٣٧٣

﴿ ٢١ ﴾ الجواب عن «لا إله إلا الله»، ﴿

وتحقيق معنى التوحيد - ٣٨٣

﴿ ٢٢ ﴾ أوثق عرى الإيمان - ٣٩٣ ﴿

- فصل: في ذكر الآثار عن السلف: ... ٤٠٦
 فصل: في التنبيه على حاصل ما تقدم: ... ٤٠٩

﴿ ٢٣ ﴾ حكم موالة أهل الإشراك - ٤٢١ ﴿

﴿ ٢٤ ﴾ حكم السفر إلى بلاد الإشراك والإقامة فيها - ٤٤٥ ﴿

- المسألة الأولى: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار الحربية
 لأجل التجارة أم لا؟: ... ٤٤٧
 المسألة الثانية: هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلد الكفار - وشعائر

- الكفر ظاهرة - لأجل التجارة؟: ٤٤٨
 المسألة الثالثة: هل يفرّق بين المدة القريبة - مثل شهر أو شهرين - ،
 والمدة البعيدة؟: ٤٤٨
 المسألة الرابعة: في معنى قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا إِذَا مَثَلُهُمْ﴾ ، وقوله ﷺ في
 الحديث: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرَكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»: ٤٤٨
 المسألة الخامسة: هل يقال لمن أظهر علامات النفاق - ممن يدعي
 الإسلام -: إنه منافق أم لا؟: ٤٤٩
 المسألة السادسة: في الموالاتة والمعاداة؛ هل هي من معنى «لا إله
 إلا الله»، أو من لوازمها؟: ٤٥٢

﴿٢٥﴾ [معنى كلمة التوحيد، وتضمنها الكفر بما يعبد

من دون الله - ٤٥٥

﴿٢٦﴾ [رسالة في معنى كلمة التوحيد - ٤٦١

﴿٢٧﴾ [تعريف العبادة، وتوحيد العبادة - ٤٦٥

﴿٢٨﴾ [الكلمات النافعة في المكفريات الواقعة - ٤٨٣

- فصل: أنواع الشرك: ٥٠٤
 حكم من سب الرسول ﷺ: ٥١٣
 فصل: قول ابن القيم في اتخاذ القبور أعيادًا: ٥١٥
 فصل: ابتلاء الناس بالأنصاب والأزلام: ٥٢٢
 أنواع البدع عند القبور: ٥٢٤
 فصل: رد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَلَى ابن البكري في مسألة
 الاستغاثة: ٥٢٨

٥٦٦	فصل: في تعريف المرتد وحكمه:
٥٧٣	فهرس محتويات الجزء الأول

